نائـــل

نـــائـــــل

روايـة

د . شريف الطوانسي

اسم الكتاب: نـائــل
اسم الكاتب: د. شريف الطوانسي
تدقيق لغوي: شيرين عابدين
تصميم الغلاف: فارس حسـن
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – يناير ٢٠٢٠ م
رقم الإيداع: 2020 / 4393

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

بابا، بابا

لم تتوقف (شذى) عن الجري ولم يصبها التعب رغم كل هذا اللف والدوران باحثة عن أبيها الذي اختبأ عنها. كانت لعبتهما المفضلة (الاستغماية). رغم أنها تعرف كل أركان البيت التي يختبئ بها كل مرة إلا أنه يجيد الاختباء منها في مكان جديد. تضطر هي للبحث عنه كثيرًا حتى تنهك فيظهر هو فجأة من العدم ضاحكًا ضحكة عابثة قائلًا "وجدتك" فتظل تضرب فيه بلكماتها الضعيفة الواهنة لبنت السبع سنين، بينما هو يستمتع بهذه اللكمات الانتقامية؛ لأنه غلبها مثل كل مرة، ثم يحتضنها في النهاية وتستلم هي لأبيها الحبيب.

يقوم بحملها بذراعيه بكل حنان، بينما تضع هي رأسها على كتفه لتسلم له نفسها؛ فهي تعلم أنه أبوها الذي يذوب فيها عشقًا وتذوب فيه بكامل إرادتها. اتجها بعدها إلى منضدة السفرة بينما كانت الأم تعد طعام الغداء. جلس الأب وابنته على حجره وهو يحتضنها من خصرها، بينما هي تهز قدميها في الهواء. شعرها يتطاير من نسمة الهواء العليل القادمة من النافذة المطلة على الحديقة. الجو صيفي جميل، وشهية الفتاة ما زالت مفتوحة للعب مع أبيها والذي سيغادر بعد قليل إلى عمله. الأسرة مكونة من الأب (رفعت) والأم (ليلى) وابنتهم (شذى). الأسرة تقيم في شقة بالدور الأرضي في أحد شوارع الدقي الهادئة. شذى، وما أدراك من شذي، لا توجد في مكان إلا وقد جلبت معها السعادة والمرح لتشرح قلب كل من يرى ابتسامتها المضيئة على وجهها والغمازتين على خديها ليزداد وجهها جمالًا وسحرًا يأسر القلوب. جميلة هي منذ أن ولدت، وكلما تقدم العمر بها تأكد الجميع أنها ستزداد وضاءة ورشاقة وجاذبية، ظل الكل يداعب الأبوين مع مرور الوقت ونموها وظهور ملامحها وقوامها بعبارات مديح وإعجاب من عينة "سنخطبها لابننا". ورثت البشرة

البيضاء الناصعة والشعر والعيون البنية من أبيها، كأن القدر كتب عليها أن ترث من أبيها ملامح الوجه وقسمات القلب والصوت حتى صارت متعلقة به أيما تعلق.

سئمت شذى من حديث والديها عن أحوال البلاد والعباد ومرض هذا وموت هذا؛ فهي كطفلة لا تجد متعة إلا في اللعب مع والدها الحبيب أو مع أبناء عمها الذين يقيمون بالإسكندرية عند زيارتها أو عند زيارتهم هناك. نزلت من على حِجر أبيها ومشت ناحية البلكونة ووقفت تشاهد الشارع الهادئ والذي تمر به السيارات من حين لآخر بسرعة بطيئة كونه شارعًا جانبيًا بعيدًا عن الشوارع الرئيسية السريعة. أغلقت عينيها لتسرح بخيالها ويداها على سور البلكونة فاردةً ذراعيها كأنما تستعد للطيران. كلام والديها في الخلفية تحاول ألا تلتفت إليه حتى لا تضيع المتعة، ثم فتحت عينيها لتجده واقفًا أمامها، هل رأته من قبل في نفس المكان؟ ربما هو صبي في سن العاشرة أو أكبر، شعره قصير أسود وعيناه خضراوان يظهر لونهما الناصع من على بعد، كان جالسًا على سور العمارة المجاورة على نفس جهة الشارع، بكل تبجح ينظر إليها جاعلًا وجهه لها وظهره للشارع، ظل يرمقها كأنه جاء خصيصًا لمراقبتها، لم تدرِ ماذا تفعل وهو يحدق بها بكل إصرار كأنه مصمم على تتبعها، كأنه مصمم على اقتناصها واصطيادها، لكنها لا تعرفه وهو لا يعرفها، أو ربما هو يعرفها منذ وقت بعيد وهو يراقبها. ابتسم لها ابتسامة تدل على افتتانه بها واستلطافه لها ورغبته في أن تبادله الاستلطاف والحديث. ابتسمت له ابتسامة خفيفة من طفلة بريئة وسرحت في عينيه قليلًا. هناك أمر ما في عينيه، ثمة سحر أو طاقة تخرج منهما كالمغناطيس، بمجرد أن تقع عليها العين تذوب بداخلها ويتبعها العقل والجسد كله، لم تعد مرتاحة لهذا الموقف فأفاقت فجأة من هذه النظرة المتبادلة الصامتة وتلك الابتسامة المريبة على وجه الصبي، وبدأت تمشي رويدًا

مبتعدةً عنه، وعينه لا تنزل من عليها، ومن ثم دخلت إلى الشقة، لكن مهلًا، أين أبواها؟ أين ذهب الجميع؟ ظلت تتلفت ولم تجد أحدًا. منذ قليل كان الأب جالسًا على الكرسي الذي على رأس المنضدة، بينما الأم تتحدث من داخل المطبخ، تأتي كل حين لتضع الطعام وهي تواصل الحديث، ثم تعود إلى الداخل لتكمل الحديث بصوت عالٍ. الآن الكل اختفي، بدأ قلبها يخفق بعنف وهي تبحث عنهما في كل أركان الشقة "بابا، ماما". لمّا يئست خرجت إلى البلكونة علَّها تجدهما بالخارج متجهين ناحية السيارة مع أنه من غير الممكن أن يتركاها هكذا، وجدته في نفس مكانه جالسًا على السور بنفس الابتسامة الغامضة وتركيزه بالكامل عليها، زفرت وحاولت تجنبه بينما تبحث بنظرها عنهما لكنها لم تجد أحدًا، فجأة اختفي الصبي لم يعد موجودًا حتى على السور، غريبة كيف اختفى فجأة؟ يئست؛ فقررت العودة إلى الداخل مرة أخرى علَّها تجد أحدًا، صرخت، وارتفعت يداها بحركة تلقائية، ثم قفزت للخلف لتصطدم مؤخرتها بالسور؛ فقد وجدت الصبي عند باب البلكونة من الداخل، كيف دخل وكيف تجرأ ليقفز إلى الداخل بدون إذن، واقفًا مثلما هو يلبس قميصًا أبيض وبنطالًا من القماش كحلي اللون، بينما يداه داخل جيبي البنطال، وعيناه الخضراوان تحدقان بها، بدا لوهلة كالتمثال اليابس، أو كالشيطان المارد، لم تدر ماذا تفعل؟ فظلت تتراجع إلى الوراء وعيناها مثبتتان به، وهو قد بدأ يتحرك صوبها ببطء ونفس الابتسامة والنظرات المخيفة على وجهه، بدأت تتنفس بعنف ثم صرخت

- بابا.

****

حلم آخر، كابوس صحت عليه (شذى)، قامت من نومها وجلست على السرير وهي تتحسس رقبتها وصدرها وقد ابتلا بالعرق الناجم عن هذا الكابوس اللعين؛ كابوس آخر يذكرها بحقبة مضت من حياتها عندما كانت طفلة في السابعة من عمرها، والآن قد كبرت وصارت في الخامسة والعشرين من عمرها، عندما كانت محاطة بأبيها وأمها، قبل أن تفقد أباها الغالي منذ ثلاث سنين. كلمات الدنيا لا تكفي لتصف كيف انهارت من داخلها بعد أن فقدت أبيها، شعرت أنها ببساطة قد ماتت أيضًا، أكثر ما فقدت الإحساس بالحب والأمان، نعم الأمان، شعرت أنها أصبحت سهلة الاصطياد، سهلة المنال، لم يكن أبوها بالشخص القوي جسديًا ذي السطوة حتى يعطيها كل هذه الحماية الجسدية التي قد يتوقعها البعض، لكن يكفي وجوده المعنوي في حياتها، أن تسمع صوته، كلماته، حتى إنها تتذكر صوت سلسلة مفاتيحه عندما يكون عائدًا من العمل ليفتح الباب، كان صوت فتح الباب بعد اشتياق لرؤيته كصوت هابط من الجنة جاعلًا قلبها يخفق كالحصان الثائر في مربطه. كل هذا ضاع وكانت قد اعتمدت على وجوده في حياتها كوقود لها تمتلئ منه قبل أن تتحرك متجهة لأي هدف، تحاول أن تتناسى وفاة والدها بعد مرور هذه السنين، ولو أنه مستحيل إلا أن أمها وكلامها لها ونصائحها ووقوف الناس حولها جعلها تتحرك في النهاية بعد أن تجمدت مكانها عدة شهور، كادت تفقد حياتها من قلة الطعام أو من فكرة مرت على عقلها في انتحار سريع يخلصها من آلامها.

ربما لهذا السبب ظلت فتاة فاتنة الجمال مثلها بدون زواج؛ ذلك بسبب ارتباطها الشديد بأبيها الذي رحل وأخذ معه قلبها إلى الأبد.

بعد رحيل أبيها ظلت هي وأمها بنفس الشقة، واستمرت هي بعملها بأحد البنوك بعد أن تخرجت في كلية التجارة، بينما أمها تعمل بإحدى الوزارات بوسط البلد، مستواهم المادي متوسط، يمتلكون سيارة واحدة قديمة الموديل تستعملها الأم للذهاب للعمل، بينما تستقل شذى حافلة العمل التي تقلّها يوميًا، لا يمنع ذلك أن تستخدمها شذى لقضاء بعض المأموريات والتسوق في نهاية الأسبوع، هل ما زالت شذى جميلة رغم فقدان أبيها وصدمتها؟ بالطبع؛ قوام مرسوم بعناية، العيون البنية الفاتحة والشعر البني كلون البندق، متوسطة الطول، والشعر ينساب على كتفيها بنعومة ودلال، ورقبتها الطويلة تمنحها هيئة الغزال الشارد على سفح الجبل ينظر بعينيه الواسعتين وبرقبته الطويلة الشامخة، من ينظر إلى عينيها يجد الكثير من المعاني؛ الرقة، الخجل، الانطواء، الحزن على عزيز فقدته، ربما زادها الحزن جاذبية كأنها تقول إنها تفتقد إلى الذكر الوحيد الذي يملأ حياتها وقلبها، لكنه كان حبًا أبويًا نقيًا، وهي الآن جاهزة لحب رومانسي من النوع الآخر، ولكن لمن يستحق، وللأسف لم تجده حتى الآن، لكن في الواقع كان يملؤها الحذر كل الحذر من أي غريب يقترب منها، الخلاصة أنها مراد أي شاب يبحث عن عروسة، بينما هي كالنحلة التي تهرب من كل الذكور في موسم التزاوج، ملابسها متوسطة القيمة المادية، لا تلبس أي من الماركات العالمية، لكنها متوافقة تنم عن ذوق أنثوي راقٍ، ليست بشديدة الاحتشام ولا بالمثيرة، لا تلبس الحجاب رغم التزامها بالصلاة بين الحين والآخر وصوم رمضان، ورغم بعض النصائح التي تظهر من هنا أو هناك فهي ترفض الحجاب، حياتها تنحصر بين البنك والبيت والأصدقاء ولا ترحب بالغرباء.

****

قبل وفاة أبيها كان الرفض دائمًا لارتباطها الشديد به، ثم جاء انشغالها بمرضه، ثم وفاته، ثم العيش على ذكراه، هل ارتباط الفتاة الشديد بأبيها قد يصل أحيانًا إلى درجة المرض؟ ربما، بل هو بالفعل مرض في حالتها، وهذا ما قد حدث بين شذى وأبيها، ظلت تنشد رجلًا بنفس مواصفته، وسامته، ذوقه، رومانسيته، كان يفاجئها بالهدايا كما يفاجئ الحبيب حبيبته، ذهابهم إلى السينمات والمطاعم وظن الناس الخاطئ أعن وجود قصة حب بينهما رغم فارق السن، الفتاة في العشرين والرجل في الخمسين، قد يخطئ أحد المارة من شدة انسجامهما في الحديث، يأخذها إلى السينما ويضحكان كثيرًا ويبكيان أحيانًا تأثرًا بأحد مشاهد الفيلم، قد يجعل الناس مرتبكة لتفسير هذا المشهد خصوصًا أن مسألة علاقة الحب من هذا النوع قلما وجدت بين أب وابنته هذه الأيام، من الأب الذي سيضيع وقته مع ابنته يقوم معها بأفعال المراهقين؟ لم تفكر في الزواج في حياتها، وربما هو كان سعيدًا بذلك رغم محاولته إخفاء ذلك أكثر من مرة؛ لأن زوجته تتهمه دائمًا بأنه السبب في ميل بختها لتعلق البنت به بصورة غير عقلانية، وصلت الأم لمرحلة من اليأس من أن ابنتها ستتزوج يومًا ما، كلما تقدم لها أحد من الأقارب أو الجيران أو من زملاء العمل فالرفض مصيره، أحيانًا لأسباب منطقية، وأحيانًا لأسباب سخيفة، في كل مرة يستقبل الأب الشاب المتقدم لخطبتها بكل احترام وهو يعلم من داخله أن ابنته الوفيه سترفضه لسبب أو لآخر، كان هناك اتفاق غير معلن بين الأب وابنته أن يظلا حبيبين إلى الأبد، يحضر لها أجمل الهدايا، ويكتب لها أرق الأشعار في عيد ميلادها.

وفجأة انهار هذا كله، بدأت لعنة المرض، المرض السابق للموت والذي حين يضرب فإنه يضرب بلا رحمة، يشعر ساعتها الإنسان ما يبدو أنها نهايته، لايدري

كيف ولكنه يشعر، لو جَمَعت أطباء العالم كلهم ما فهموا ما يشعر به الإنسان حين يعلم أن لحظة وفاته اقتربت.

ساعتها بدأ هو بنفسه تشجيع ابنته على الزواج، شعر أنها كانت لعبة سخيفة وشعر بالندم على عدم دفع ابنته للزواج بجدية، وأنه كان يشاركها هذة اللعبة الصبيانية السخيفة، لكن الوقت قد فات، ربما كان من الأفضل لو تزوجت من قبل أن يمرض، لكن ليس الآن وهي ترى أباها يموت أمام عينيها ببطء، ولمّا لم يعد من الممكن استقبال أحد بسبب مرضه الذي استمر شهورًا؛ فقد توقف الحديث عن الموضوع تمامًا، أما لحظات وفاته وانهيارها بعد فراق أبيها فمعروفة ومتوقعة، شعورها بأنها لم تعد تنتمي لهذا العالم، عدم تصديقها ومحاولة إقناع نفسها أنها على سفر وأنه سيعود، ثم تفكيرها في الانتحار عدة مرات، هو نفسه قبل وفاته كان يخشى أن تفكر في إيذاء نفسها، وكان يلمّح لها بلطف وحزم أنها لا بد أن تهتم بنفسها، وأن تأكل جيدًا، وأن أمها مسئولية في رقبتها، وأنه لو مات فهو يريدها أن تكمل المسيرة وتحافظ على اسمه من بعده وأن دعواتها له وهو في قبره هي التي ستسلي وحشته، ربما ما أنقذها حين تذكرت كلماته ونصائحه فتمالكت نفسها واستطاعت هي وأمها أن تخرجان من الصدمة.

****

صديقتها (ندى) هي من عوضتها عن هذا كله، صديقة عمرها والمقربة لها، وقفت بجوارها أثناء محنتها ومن قبلها كثيرًا في محن كثيرة، عرفتها من أيام الجامعة ومن وقتها وقّعا عقد الترابط والوفاء إلى الأبد. (ندى) أقل جمالًا، ولذلك فكانت أسرع زواجًا، هل الجمال عامل يجعل الفتاة أقل حظًا؟ (من كتر خطابها

بارت)، من السذاجة قول ذلك بكل بساطة، لكن أحيانًا يكون هذا الواقع، الفتاة متوسطة الجمال أو حتى الدميمة لن يلتفت إليها إلا إنسان بسيط لا يطلب من الدنيا الكثير فهو راضٍ بكل ما يقسمه الله له، لن يلتفت إلى هذه أو هذه، هدفه هو تكوين أسرة والاعتناء بالأطفال واستكمال الحياة بكل روتينها ومللها بدون ضجر، هل هذا كلام حقيقي ويقاس عليه كل الحالات؟ بالطبع لا، لكن هذا ما قد حدث بين ندى وزوجها على الأقل.

عندما نعرف أن الله يعوض الإنسان عما افتقده فيرزقه من سبيل آخر، هذا ينطبق على الصديقتين. (شذى) فتاة أنعم عليها الله بأبٍ حسدتها عليها صديقاتها، لكن حظها لم يكن الأفضل في مقابلة رفيق حياتها الذي ستتزوج منه، سواء كان بسبب تعلقها بوالدها أم لا، لكنها حقيقة واقعة.

أما (ندى) فهي العكس، كان نصيبها مع أب غليظ الخصال عديم التفاهم، لا تذكر أنه احتضنها برفق منذ أن ولدت حتى كبرت وصارت في مرحلة المراهقة والشباب، كانت العادة أن يعتدي عليها لفظيًا وأحيانًا جسديًا بالدفع والشد إذا أخطأت أو نسيت، لا تنسي الليلة التي عاشتها عندما عرف أنها رسبت في مادتين في الكلية، وبدون ذكر تفاصيل، لكنها كادت تتبول على نفسها من فرط الرعب من أبيها الذي صب عليها جام غضبه، عندما تقدم لها زوجها (سامح) وافقت على الفور حتى تهرب من العذاب والجحيم التي تعيش فيه من شجار مستمر بين الأبوين، وبين الأب وبينها هي أو أحد أخوتها، وكان اختيارًا موفقًا مصحوبًا بعناية إلهية. زوجها شخص قمة في الحنان والتفاهم، احتضنها وعوضها عما رأته من والدها، ربما كانت تحسد (ندى) صديقتها من قبل على أبيها رقيق القلب أحيانًا، بل

كانت تحسدها كثيرًا، وعندما تزوجت (ندى) وظهر من زوجها كل هذا النبل والكرم ابتسمت لها (شذى) كأنما تقول لها انظري كيف عوضك الله بعد كل هذا الصبر.

هنا تم تبادل الأدوار؛ فشذى الآن بلا أب ولا زوج، أما ندى فقد فازت بزوج يحسدها عليها الكثير، ورحل أبوها ولم تحزن عليه كثيرًا، ربما حزنًا خارجيًا من باب الواجب الاجتماعي فقط.

****

من هنا شعرت (ندى) بالمسئولية تجاه صديقتها العزيزة، صارت تقوم بدور الأب الذي فقدته (شذى). لم يقتصر الأمر فقط على السؤال عنها ومفاجأتها بالهدايا بمناسبة وبدون مناسبة، بل امتد الأمر بها أن اتخذت مسألة أن تبحث لها عن عريس يصلح كزوج مثالي كالذي تملكه هي مهمة مقدسة، حاولت في البداية مع (سامح) زوجها على اعتبار أن الطيب لا يصادق إلا الطيبين إلا أن هذا لم يفلح.

- هذه المرة لن ترفضيه، مهندس ومعيد بالجامعة، و...

قالتها ندى وهي تحدثها على الهاتف المحمول فردت شذى: قولي سلام عليكم أولًا.

قالتها (شذى) بحزم وحسم ردًا على مناوراتها لتغلق الباب سريعًا، ردت ندى بشيء من اليأس: حسنًا، سلام عليكم، أين أنتِ؟ أنا اقتربت من المول.

ردت شذى: أنا هناك عند نفس الباب.

تقابلتا وقبلت إحداهما الأخرى على الوجنتين سريعًا، جلستا في مطعم صغير بالطابق الأرضي لأكل وجبات سريعة قبل الدخول على المحلات للتسوق، حاولت (ندى) مرة أخرى فتح الموضوع مع صديقتها، لكنها صدتها للمرة الألف فزفرت

(ندى) في يأس ثم استسلمت وهي تغير الموضوع وانهمكا في الأكل بعد يوم طويل ممل من العمل.

****

- أنا دكتور شادي.

وقف مبتسمًا ابتسامة مليئة بالخجل والتوتر وهو واقف أمامها يعدل هندامه، ويحاول أن يضبط ربطة عنقه بحركة لا إرادية تنم عن العصبية والتردد، وقفت (شذى) ترمقه بتحفز واندهاش، وقفا عند باب البنك من الداخل وحاولت أن تكون بعيدة عن الحارس والذي يستطيع سماع الكلام من على بعد أميال في مقدرة عجيبة منه، ومن ثَمّ في لمح البصر ينتشر الكلام بين الزميلات بعد أن يعرف هذا الحارس اللعين المعروف بهذه العادة السيئة، عادة الغيبة والنميمة.

- دكتور شادي من؟

متوسط القامة ممتلئ الجسد، بطنه ينتفخ من خلال قميصه تكاد أزرار قميصه تنفح منها، بدايات الصلع بدأت تهجم على مقدمة ووسط رأسه، ضم حاجبيه في استغراب مصحوب بالحنق قائلًا بصوت خفيض حذر:

- ظننت أن سامح زوج صديقتك ندى قد أوصل لك أنني أريد طلب يدك.

في البداية لم تفهم شيئًا، لكن مع مرور الوقت استطاعت أن تربط الأحداث ببعضها.

- إذن فهم دلّاك على مكان عملي حتى تقابلني.

قال: نعم.

وابتسم وفي صوته قليل من النهجان الناجم عن إصابته بالسمنة

- نعم و...".

ردت بحزم: لكني لا أفكر في الزواج حاليًّا.

بدأ يحمر وجهه قليلًا من الخجل، وشعر أن عليه أن يرحل تجنبًا لمزيد من الفضائح، لا يوجد ما هو أسوأ من أن يتم رفض شاب بهذه الطريقة المهينة، لكنها الحياة، والزواج عرض وطلب، وربما يرزقه الله بمن هو أفضل منها، وربما تندم هي على رفضه، وربما... وربما... الدنيا مسرحية تتواصل أحداثها كما كتبها الله، ولو امتلك كل إنسان المقدرة على معرفة الغيبيات لاختلفت الحياة كثيرًا، ولتجنب الكثير أخطاءً قد وقعوا فيها، أو ربما كانت حياتهم ستسوء أكثر إذا عرفوا الغيب، لكننا لا نتمني حياتنا حسبما نرغب، ولكنها إرادة الله وحكمته التي غلبت كل شيء.

****

بعدما أنهت عملها استقلت الحافلة وعادت إلى البيت لتستقبلها أمها التي لاحظت تعكر مزاجها فسألتها بحذر: خير إن شاء الله؟

قالت باقتضاب: لا شيء.

استسلمت الأم وهي تعلم أن ابنتها عنيدة؛ فجلست وبدأت في تناول الطعام معها، ظهر على الأم بعد أن صارت على مشارف الخمسين بدايات علامات الشيب بخصلات رمادية على مقدمة رأسها.

قامت (شذى) بتغيير ملابسها وجلست على الكمبيوتر الخاص بها تراجع بعض المشاريع الخاصة بعملها، نظرت إلى صورة والدها المعلقة على الحائط. الكل يعلم أنها أخذت كل الملامح منه، أخذت صفة الأنثى من أمها وأخذت منه طريقة كلامه ونظراته ومشيته وضحكته و... و... هي شعرت أن أباها ينظر إليها من خلال الصورة يلومها ليس بعنف، لكن بحب، "عليكِ أن تأخذي موضوع الزواج بجدية يا عزيزتي، أريد أن أراكِ سعيدة مثل كل البنات الأخريات، أفتقدكِ بشدة، لا تبكِ مرة أخرى على وفاتي، أنتِ المستقبل وأنا الماضي، أفتقدكِ بشدة مرة أخرى، لاترددي واستمري في حياتك، بنيتي حبيبتي، قومي واجلسي مع أمك وعديني أن تأتيني بخبر قريب يفرحني".

أفاقت من غيبوبتها بعد أن غاصت في صورته، هل يا ترى هو الذي يتحدث إليها فعلًا أم أن هذا عقلها الباطن يوهمها بذلك كي ترضخ لكلام أمها ومن حولها؟ سارعت في هذه اللحظات العزيزة التي تختلي فيها بصورة والدها وذكراه لتستمع من على الكمبيوتر لأغنية (أنا لك على طول) لعبد الحليم، بينما هي سارحة تتذكر حينما كان يجلس في غرفته يستمع لنفس الأغنية على جهاز الكاسيت وتراه من ظهره يدندن بها، كلها ذكريات جميلة يحيا عليها الإنسان ليتذكر بها أحباءه، هل

مثل تلك الذكريات الجميلة تقتل؟ قد تقتل الإنسان؛ لأنه صار سجينًا لها، غير قادر على مغادرة سجنها ليموت في النهاية من الظمأ أو الجوع، بمجرد سماعها لتلك الأغنية تتذكر كل شيء، تتذكر من كان يسمعها ويغنيها بنفسه، تحييها لمجرد مرورها من خلال قلبها لتجعله ينبض بقوة بعد ارتخاء من مله ممن يحيطون به بعد أن فقد حبيبه الأول والأخير، كانت دومًا تتذكر أباها بتلك الأغنية، وأحيانًا تتجنب سماعها حتى لا تثير أشجانها.

****

لماذا يكون الحديث دومًا عن الزواج؟ في كل الأوساط وفي كل الأعمار؟ كأنما هو سباق لا يرحم. من لحق بالزواج أولًا فقد كسب الرهان لينظر لمن حوله بكل تفاخر رافعًا رأسه، سباق سقيم سئمت منه شذى، وكانت كلما قابلت زميلة لها في العمل قد تمت خطبتها قريبًا تلقي إليها النظرات الماكرة كأنما تقول لها: هل أنتِ مغتاظة مني؟ هل تحقدين عليَّ؟

تعرضت (شذى) لكمّ من السخافات فقررت ألا تعلق على ارتباط أحد أو انفصال أحد مرة أخرى، ليفعل كل شخص ما يحلو له، لكنها ظلت من داخلها تتساءل:

- هل لا بد أن أتزوج كي أصير إنسانة كاملة؟ هل هذا ينتقص مني أن أظل عزباء؟ ليقول الناس بعد أن أتزوج إني صرت أستحق لقب أنثى؟ الأنثى هي الأنثى وهكذا صنعها الله ولا تحتاج إلى ذكر ليثبت ذلك.

بعد أن قابلت من قابلت وتحدثت مع من تحدثت سواء من بنات تم خطبتهن وارتباطهن حديثًا أو من رجال يتوددون إليها لم تعد ترى علامات الحب حولها؛ فهي تعلم ما هو الحب الحقيقي؛ فقد تعلمته من أول حبيب لها، من أبيها، كانت من ضمن ما تذكره عودته من العمل أحيانًا متأخرًا، ورغم رغبته في رؤيتها إلا أنه لا يريد إزعاجها؛ لأنه ينتظرها يوم طويل مرهق في الكلية صباح اليوم التالي، هي مستيقظة في سريرها وعيونها مغلقة، لكنها مستمتعة بمشاهدته لها من طرف السرير، ربما هو يعلم أنها مستيقظة، وربما هي تعلم أنه يعلم ذلك، هي لعبة مثل ألعاب كثيرة اعتادوا لعبها معًا منذ الصغر، وفي النهاية رحل وتركها، هكذا بكل بساطة، يا إلهي ما تتوقف عن التفكير فيه ولو لدقيقة واحدة! عليها أن تنفض الذكريات قليلًا ليس كليًا حتى لكي تستطيع مواجهة الحاضر من حولها.

جاءها نائب المدير يطلب منها أن تساعد زميلاتها على شباك العملاء لغياب أحد الزملاء يومها، ولكثرة عدد العملاء في ذلك اليوم، نزلت وهي متأففة، فهي قد اختارت أن تعمل بالأعلى بالإدارة؛ لأنها لا تحب الاحتكاك بالجمهور كثيرًا؛ فشخصيتها تحب الانطواء والخصوصية، وبينما تراجع بعض الأوراق في يديها جاءها صوته: بعد إذنك أريد إيداع مبلغًا من المال على هذا الحساب.

ارتجف قلبها لرؤيته ولا تدري لماذا، هذا ما قد حدث، كان يلبس يومها قميصًا أبيض وبنطالًا رماديًا وحذاءً بنيًا. طويل القامة أسود الشعر وأخضر العينين، طويل الوجه بملامح هادئة ونبرة ناعمة تتسلل إلى القلب، وإن كان كلامه لا يخلو من بعض التهتهة والتنخم كمن يخرج الكلام منه بصعوبة، قالت وصوتها يرتجف:

- حسنًا، يمكنك ملأ هذه البيانات الموجودة بالاستمارة والعودة مرة أخرى.

ربما تتذكر أنه حدث من قبل أن يقترب منها شاب مماثل بهذا القدر من الوسامة والرجولة فتشعر أنه يرتجف من إعجابه بها وبجمالها؛ فتزداد ثقة في نفسها وتتلذذ بانتصارها عليه، لكن هذا الشاب لم يكن من هذا النوع، فقط استمع لكلامها كما يستمع الابن لأمه وفعل ما تريد بالضبط، قد يكون هذا هو المفتاح لقلوب الفتيات العنيدات من أمثال (شذى) خصوصًا أنها بالفعل عنيدة ذات شخصية قوية نشأت على أنها دومًا على صواب، هكذا رباها أبوها و هكذا دلّلها. وجدته يكحّ بعنف عدة مرات، عرضت عليه كوبًا من الماء فرفض بلطف وشكرها قائلًا: إنها، إنها بعض الحساسية من جيوبي الأنفية.

أخذت منه المبلغ وقامت بإيداعه، عادت له لتسليمه الإيصال فوجدته يستمر في الحكة، ويشهق بين كل نوبة وأخرى سألته مرة أخرى:

- هل أنت بخير؟ متأكد أنك لا تريد كوبًا من الماء؟

ظنت أنه سيرفض مرة أخرى كما يفعل بعض الرجال ليظهر مدى صلابته أمامها، لكنه بكل بساطة قال: نعم إذا سمحتِ.

أعجبها الرد التلقائي فقالت له أن ينتظر لحظة واحدة، عادت له بالكوب وهو ما زال يتلفت حوله بقلق بدون سبب واضح فأعطته كوب الماء فشرب وهو ما زال يتلفت حواله بحذر، سألته بكل عفوية: هل هناك أمر ما؟

رد عليها بحيرة صادقة: ماذا هل فعلت شيئًا؟ أعتذر عن أي شيء غير لائق فعلته.

ردت بابتسامة صغيرة: لا، لكني أراك تتلفت حولك هل هناك شخص يجري وراءك؟

نظر لها مباشرة فارتجف قلبها مرة أخرى وبعنف أكثر وقال

- لا، لا يوجد أحد، فقط هو الإرهاق من العمل، شكرًا على كوب الماء، بعد إذنك.

رحل بعدها وهو يعاود الكحة في طريقه إلى الخارج، انتهى اليوم ككل يوم واتجهت عائدة إلى بيتها ولم تتحدث لأحد طوال الطريق، حينما وصل البيت جلست على السرير مباشرة تفكر في هذا الشاب، اسمه (نائل الحديدي)، بالتأكيد لم تنس اسمه. هل فعلًا حرك شيئًا فيها؟ نظرت لصورة والدها، مهلًا، هل يشبه أباها؟! ربما هو يشبه ملامح أبيها إلى حد ما، بالطبع لا، ما هذا الكم من السخافة؟ فلا يوجد من يشبه أباها، لم ولن يخلق.

****

استمر العمل في البنك على نفس الوتيرة لعدة أيام وفي أحد الأيام جاء أحد الموظفين يطلب من (شذى) أن شخصًا ما يريد التحدث إليها على وجه الخصوص، نزلت (شذى) إلى الدور الأول لتجده واقفًا، نائل الحديدي.

انتفض قلبها بقوة وثبتت عيناها عليه، فبعد أن حاولت أن تنساه عاد إليها، هكذا بعذر أو حتى بلا عذر، لا يهم، لا تنكر أنها سعدت لرؤيته من داخلها، لكنها بالطبع لن تظهر له سعادتها؛ فهي مسألة حياة أو موت أن تظهر لأحد إعجابها به، اقتربت منه وقالت: خير؟

اعتذر لها بشدة عن عودته لها، لكن مشكلته فضّل حلها عن طريقها هي بالذات؛ فهي من قامت بعمل هذه المعاملة البنكية له من قبل حين كانت تقف بشباك البنك، أكد لها أن المشكلة منه هو، حكى لها أنه يمتلك شركة استيراد وتصدير تعمل على توريد قطع غيار ماكينات للمصانع التي يتعامل معها، قال لها إنه قد أعطاها رقم حساب بالخطأ وأنه يريد استعادة أمواله وإرسالها للحساب الصحيح، وأنه عندما جاء إلى البنك سأل عنها؛ لأنها كانت هناك منذ البداية واعتقد أنها قد تساعده أفضل من غيرها، ربما هو بالفعل يحتاج إليها، وربما أنه يتحجّج لرؤيتها، لا يوجد تفسير آخر. أعطاها رقمه وطلب منها أن تتصل به بعد يومين؛ لأنه يريد استشارتها في أحد الأمور المالية لشركته، ثم تركها ليستقل سيارته ذات الموديل الحديث الراقي واللون البراق، هي توقعت ثراءه من ملبسه وطريقة كلامه ومشيته والساعة التي يلبسها والنظارة الشمسية وكذلك من السيارة الفاخرة التي استقلها بعد أن أنهى حديثه معها.

إذن من الواضح أنه معجب بها منجذب إليها، ومن الواضح أيضًا أنها لا تصده كما هي العادة مع أي جنس مذكر يقترب منها، لا تدري فهي مرعوبة من مجرد التفكير في احتمالية الارتباط بأي شخص، هل بدأت في رفع القيود والموانع بسبب ضغوط الناس المستمرة ابتداءً من أمها التي تنتظر في أي لحظة سماع خبر كهذا، انتهاءً إلى ندى صديقة عمرها؟ في الحقيقة لا يعنيها أحد إلا هذين الشخصين بالذات، وأباها رحمه الله، والذي كانت تتمنى وجوده في مثل هذه المواقف، أو ربما لو كان موجودًا لرفضت فكرة الارتباط أصلًا كما جرت العادة.

بعد يومين اتصلت به من رقمها الخاص ولا تدري لماذا فعلت هذا بدلًا من أن تتصل من تلفون البنك! طمأنته أن الإيداع تم إلغاؤه، وأنه من الممكن الحضور لعمل إيداع جديد وقتما يشاء. عاد في اليوم التالي بعد أن سأل عنها فنزلت إليه في الدور الأرضي ورحبت به بشدة وقامت بعمل الإيداع للرقم السليم، اعتذر لها قائلًا إنه صمم أن تأتي هي لعمل الإيداع بنفسها؛ لأنه يستبشر بها ويرى أنها تعرف تفاصيل معلوماته وحسابه، وأنه يريد أن يتجنب المزيد من اللغط حتى لا يضيع وقته مرة أخرى، بدا الأمر أنه استلطاف من الطرفين، وكل طرف يفتح الطريق أكثر أمام الآخر، لكنه عاد بعد أسبوعين، اتصل بها، تفاجأت، قال لها بكل صراحة إنه معجب بها وإنه يتقدم لخطبتها.

****

- ماما هناك عريس متقدم لخطبتي.

لم تصدق الأم (ليلى) ما نطقت به ابنتها، ابتسمت ابتسامة كبيرة ثم جلست بجوارها على الأريكة بالصالون.

- من؟ من أين؟ ما اسمه؟ ماذا يعمل؟

ردت (شذى) وهي مبتسمة ابتسامة متوترة: جاء لي كعميل في البنك لإيداع مبلغًا من المال وكانت هناك مشكلة وحللتها له، أخذ رقمي واتصل بي بعدها ليطمئن أني قد حللت له المشكلة، ثم فاجأني اليوم بطلب يدي على التليفون.

وصل فضول الأم ذروته، ردت (شذى) على أسئلتها وقالت إنه يسكن في المعادي، وأن شركته في مدينة نصر بجوار بيته القديم، والذي تركه بعد وفاة والديه، وأن بيته القديم بجوار خالته التي تقيم بمدينة نصر أيضًا، علقت الأم على وفاة والديه بنوع من التعاطف، لكن ذلك أثار بعض التساؤلات عن كيفية التعامل مع شخص متقدم لابنتها ليس معه أبوين تستطيع التحدث إليهما كجزء من التعارف الكلي للشخص وخلفيته، بالطبع عرفت شذى كل ذلك منه بعد أن طلب منها يدها على الهاتف، قالت لأمها إنها تريد التفكير في الأمر، ولا تريد التسرع، لكنها لا تمانع أن يأتي لزيارتهم، بالطبع بالنسبة للأم فهو تقدم كبير وخطوة غير عادية أن توافق (شذى) على زيارتهم بهذه السهولة.

شعرت الأم أنه أخيرًا سيأتي اليوم الذي تنفك فيه عقدة ابنتها، بالطبع تريد أن تراه أولًا، وأن تطمئن أنه ذو أصل، وأنه سيراعي الله في ابنتها، لكن مجرد إظهار ابنتها للموافقة المبدئية هو معجزة لا تحدث إلا مرة كل مائة عام، اتصل نائل بها في اليوم التالي واتفقا أن يزورهما الجمعة القادمة، علمت منه أكثر عن خالته المقربة له والتي تسكن في مدينة نصر بجوار مقر شركته، أخبرت (شذى) صديقتها (ندى) والتي فرحت بشدة وطلبت منها إحضار أي صورة له في أقرب فرصة كي ترى كيف يبدو.

بدأ التعارف كالعادة من خلال مكالمات الهاتف لساعات طويلة واللقاءات في الأماكن العامة، يبدو الفارق في المستوى المادي لصالحه، كانت تخشى هذا من قبل، أن ترتبط بشخص أغنى منها بمراحل فتكون الكفة في صالحه، كانت تتمنى تقارب المستوى، لكنه ليس كذلك، هوأغنى منها بفارق قوي، من مستوى ملابسه والمدارس التي التحق بها منذ الصغر وحديثه عن إجازاته ورحلاته الخارجية والداخلية، هو خريج أحد المعاهد الخاصة ذات المصاريف المادية العالية، لاحظت عدة أمور أثناء لقاءاتهما في أي مطعم أو نادي، اهتمامه الشديد بالنظافة، إلي حد الوسوسة، إذا أحضر النادل كوبًا من العصير لا يمكن له شربه إلا بعد مسح الكوب بالمنديل جيدًا، كما لاحظت أنه يحافظ على ترتيب متعلقاته بصورة منظمة، بصورة مبالغ فيها، يحتفظ بمجموعة من الشعائر التي هي أقرب إلى المقدسات الدينية، غسيله ليديه عدة مرات قبل تناول الطعام، احتفاظه بمناديل معقمة في كل مكان لتنظيف كل ما تمتد يداه له.

سألته بهدوء لا يخلو من الحذر مضاف إليه قليل من الرقة حتى لا تبدو فظة: لقد تحدثنا كثيرًا عني وعنك، عن والديك رحمهما الله، عن والدي رحمه الله، عن رحلتك في الحياة وكيف أن خالتك ظلت ترعاك بعد وفاة والديك، ثم قيامك بتحويل البيت الذي كبرت فيه إلى المكتب الذي تديره حاليًا وكذلك انتقالك للعيش بالمعادي، لكن بقي أن أسأل سؤالاً يبدو أنه لا مفر منه إن كنت لا تمانع.

اعتدل في جلسته وشبك أصابعه على المنضدة ثم رد بسرعة: تفضلي تحت أمرك.

سألته: لماذا أنا؟

ابتسم ابتسامة خفيفة، هي لا تنكر وسامته، ابتسامته تفتح الباب أمامه لغزو قلب أي فتاة بإرادتها أو بغير إرادتها، هي تحاول أن تسيطر على نفسها حتى لا تقع أسيرة وسامته ولباقته ومرونته في الكلام والحركة والرد، رد عليها: أنا بالطبع أبحث عن زوجة منذ فترة تشاركني حياتي، قابلت الكثير، وكما تعلمين طباع البنات وأخلاقهم هذه الأيام وكيف أن كثيرًا منهم غير مؤهل للزواج، لكنني لمحت فيكِ الجدية في التعامل وكيفية الرد باحترام وأناقة دون تطاول أو تقصير في العمل، لا تنسي أن طبيعة عملي تجعلني قادرًا على الحكم جيدًا على من أمامي.

ردت بحذر: إذن، فهل سبق أن خطبت من قبل أو ارتبطت؟

رد بثقة: سؤال لو فكرتِ فيه لوجدتِ أنه لن يجدي، مع احترامي لكِ، هل يعنيكِ كيف يبدو هذا البيت وكيف كان شكله قبل بنائه أم كيف يبدو الآن؟ بالطبع شخص مثلي في سن الثلاثين قد مر بتجارب كثيرة، لم أتزوج بعد؛ فأنا أري أنه قرار جسيم لا يمكن اتخاذه بهذه السهولة.

فكرت من داخلها في صمت، كلامه موزون ومقنع، لكن يدعو للقلق في بعض الأمور، بالطبع يبدو النضج في حديثه وأفكاره وهي مقتنعة بفكرة أن الفتاة لا يعينها ماضي الشاب أمامها بقدر أخلاقه حاليًا واستعداده للزواج، لكن تلك التجارب الكثيرة التي مر بها، ما مدى عمقها؟ خصوصًا وأنه يملك المال الوفير والشقة الفاخرة التي يقيم بها وحده، صحيح أنها غير محجبة لكن ما زالت لمسة التدين والعادات والتقاليد متملكة من قلبها؛ فهي تصلي قدر الاستطاعة وتصوم وتتعامل مع زملائها بكل احترام، سألته: هل تصلي؟

ضحك ضحكة خفيفة وقال كمن يسمع نفس السؤال دائمًا في نفس المواقف: نعم، أصلي، لا أذكر متى آخر مرة انتظمت فيها في الصلاة، لكني بالطبع

صليت وأصلي الأعياد والجمعات، لكني أسأل أيضًا نفس السؤال لكل من يسألني، هل يحب الله من يصلي بانتظام ويكذب أو يسرق أو يظلم أو... أو...؟ لا أدري كيف تفكرين، لكن تلك وجهة نظري ولن أغيرها لأني أؤمن أن أهم شيء للإنسان أن يكون إنسانًا بالفعل ككلمة قبل أن يصلي.

لا تنكر إعجابها بكلامه، صحيح أنها ما زالت ترى أن الصلاة بانتظام لا تتعارض مع كون الإنسان إنسانًا أم لا، وأن الصلاة ليست مقياسًا لإنسانية الفرد أو أخلاقه، لكنها تؤمن أن كل هذا الجدل يمكن أن يتغير مع الوقت والحب، لن تضغط عليه بعد الآن فابتسمت بلطف وقالت: أرجو ألا تستاء من أسئلتي الكثيرة، وأنا بالطبع أحترم أراءك، لكنك تعلم أني مقبلة على أمر ليس بالهين؛ فالزواج هو قرار العمر الصعب الذي يترتب عليه سعادة الإنسان أو تعاسته.

لا تدري كيف ذكرت كلمة (الزواج) بهذه السهولة، هل وافقت على (الزواج) وهي الآن في مرحلة الإعداد له؟ انتبهت لما قالت ولذكرها لهذا اللفظ والذي يعني أنها قد وافقت مبدئيًا، فابتسمت، فلمح هو هذه الابتسامة وفهم الغرض من ورائها؛ فضحك بمرح وضحكت لضحكته، وانكمشت في كرسيها من الخجل والرهبة، ستعود لأبيها في غرفتها، تقصد لصورته، وتتحدث معه كثيرًا عما يجري في قلبها من أفكار ومشاعر وانفعالات، وما يعتريها من رهبة لا تخلو من نشوة مما هي مقبلة عليه، انتهي اللقاء بينهما في أحد الكافيهات الهادئة وأوصلها لسيارتها على وعد بإكمال الحديث في الهاتف بعدها.

****

تحدثت مع أمها قليلًا عما يدور بينهما من حوارات ونقاشات وجدالات، هي تعلم أن أمها ستقف ضدها وإلى جانبه في أي جدال سيدور بينهما، بالطبع لم تكن الأمور بهذه السلاسة طوال الوقت، تطرقت (شذى) مع (نائل) في عدة مواضيع، وكانت الأمور تصل في النقاش بينهما إلى شيء من الحدة تنتهي بانسحاب أحدهما لتلطيف الجو، تحدثا مرة أخرى عن موضوع الصلاة بانتظام وحدث جدل انتهى بهجومه عليها لعدم ارتدائها الحجاب أيضًا كحجة عليها عن كيفية الحكم على العلاقة بين الإنسان وربه، أدى هذا إلى انسحابها من النقاش، لاحظت بعض الآراء الغريبة من خلال كلامه، عن الناس، عن زملائه، كيف أنه لا يثق في أحد، وأن الناس تحقد عليه لوسامته وغناه وتفرده بكل صفات الكمال والعظمة، شعرت منه بصفة الغرور، مع أن أول انطباع عنه كان التواضع والبساطة، وكلما حاولت مواجهته قام بتغيير كلامه واعتذر وأوضح أنه فقط يحاول إظهار ثقته بنفسه أمامها حتى ينال ثقتها في أنه سيقدر على إدارة أمورهما الحياتية بعد الزواج، كما أنه لا يثق بأحد بعد تعرضه لمواقف صادمة من أناس كانوا الأقرب له لكنهم انقلبوا عليه بكل خسة ونذالة، هي لن تنكر كلامه وتفكيره فمن هنا لم يصدم في هذا أو ذاك؟!

كانت تحكي ل (ندى) أكثر؛ لأنها تشعر أن أمها لن تعطيها الرد الشافي، أمها لم تكن حكمًا عدلًا؛ فكانت تشعر أن (ندى) تستشعر تساؤلاتها وقلقها أكثر من أمها، لكنها كانت تطمئنها بأن كلامه لا يستدعي الذعر، وأن كل الرجال لهم مالهم وعليهم ما عليهم، حكت لها (شذى) عن وسوسته التي لا تطاق والتي تظهر من خلال لقاءاتهم في كل مرة للأكل أو جلوس في مكان ما، فهو يخشى أن يأكل من شيء لمسه

أحد أو نفخ فيه حتى، طلب من النادل مرة أن يقوم بإحضار طبق من المكرونة؛ لأنه لمحه وهو يلمس طرفه بإصبعه، وليست هي المرة الأولى، ضحكت (ندى) قائلة: احمدي الله أنه نظيف بزيادة أفضل من هذا الذي يعيش معي حتى إني أتوسل إليه ليستحم.

ضحكت (شذى) وهي لا تدري كيف ترد، لا بأس فكل إنسان له عيوبه وخصائصه، يبدو أنها تقع رويدًا رويدًا في شرك الزواج ولا مفر هذه المرة، قالت لنفسها: لماذا يا أبي رحلت وتركتني في هذه اللحظات الفاصلة في حياتي؟ كنت أحتاجك بجواري كي أستمع لنصائحك لتفكّ لي ألغاز هذا الرجل المتقدم لخطبتي.

****

جلست شذى مع نفسها مرات كثيرة، الآن تتكون الصورة أمامها أكثر وضوحًا، هو شاب وسيم من أصل أسرة غنية، ناجح عمليًا قادر على تسيير أعماله، شركته التي يديرها تعمل بكفاءة، واضح إصراره على الحفاظ على روتين يومه بصورة مرضية، لاحظت كيف أنه لا يعنيه إحراجها إذا حاولت الإمساك بالقلم الذي يحمله معه؛ لأنه لا يسمح لأحد باستعماله، كيف أنه حين يجلس معها على المائدة لا بد أن يحافظ على ترتيب الملاعق والأطباق بطريقة معينة كي يستطيع البدء في الأكل، إذن ماذا تفعل؟ هل هذا سبب لرفضه؟ لا تدري هل هذا فقط ما يتصف به أم أن هناك المزيد لم ينكشف بعد عنه؟ مسألة جداله معها في مسألة الصلاة أيضًا وأهميتها وجدواها وجدوى الدين بصفة عامة.

صارحت أمها، حكت لها عن كل شيء، الأم معجبة به جدًّا؛ فهو إنسان منظم نظيف يتحدث باحترام ويتنحنح دومًا ليس لأنه مريض، لكنه يعيد كلماته عدة مرات كنوع من التهذيب؛ ليتأكد من أن كلامه قد وصل بالصورة الصحيحة، ما اعتبرته الأم أدبًا جمًّا، بينما اعتبرته شذى وسوسة لا تطاق، ما زالت تشعر شذى أن أمها لن يجدي معها الحديث؛ فأمها تريد أن تكتمل فرحتها لا أكثر لتطمئن عليها. ظلت تنتقل بين أمها وصديقتها ندى لتبوح بما يعتريها من داخلها هنا وهناك.

تلك الملاحظات السلبية جاءت فقط من قلقها الزائد، هناك الجانب الإيجابي، الوسامة، الرقي في التعامل، العمل المستقر، الوضع المادي؛ لذلك لا داعي لسلخ جلده وإلا لأقلع عن الأمر برمته لتعود شذى لنقطة الصفر، لتنتظر من جديد شابًا للتقدم إليها، ليكتشفوا بعض العيوب من نوع آخر فيه، ما دامت العيوب هنا وهناك فلمَ الحيرة. طلبت منه أن تقابل الموظفين عنده في المكتب الذي يديره وأن تزوره في المكتب، رحب ولم يعترض.

كانت تعد نفسها حينما اتصل بها أنه ينتظرها في سيارته، نزلت لتركب، فنزل ليفتح لها الباب، هل يا ترى نزل ليفتح الباب لأنه رجل يعرف أصول الاتيكيت أم لأنه لا يريدها أن تلمس مقبض باب سيارته خوفًا من انتشار المكروبات؟ ستفترض الاحتمال الأول وإن كانت الطريقة التي فتح بها الباب لها لا تؤيد الاحتمال الأول بل الثاني، طريقة من كان يجري على الباب بكل توتر وقلق لا تنم على الرومانسية مطلقًا، يبدو أنها ستعتاد هذا مع الوقت، لا مانع، ظلت تردد داخل نفسها، لا أحد بلا عيوب، لا أحد بلا عيوب.

لاحظت طريقته الهادئة في القيادة، لكنه هدوء يحمل في طياته عصبية وجزع لا حدود لهما، من يشاهد من بعيد ليس كمن يعيش من الداخل وعن قرب، أحيانًا تكون الشخصيات من الخارج خادعة، لا يفهم لبّها إلا من عاشها عن قرب.

وصلا لمكتبه، لم تخفِ إعجابها بأناقته وترتيبه ونظافته وبريق أثاثه، الموظفون يكنون كل احترام له، طمأنها ذلك قليلًا، الكل يعامله بحب وتقدير، الحارس والموظفون بالقاعة الخارجية والسكرتارية، هو مكتب صغير يعمل به في حدود ثلاثين موظفًا وموظفة، دخل إلى مكتبه الخاص، لم ترد أن تجلس أو أن تتلاعب في شيء حتى لا تثير حفيظته، شعرت أنه فهم لكن في ذات الوقت لم يظهر لها ذلك، بل بدا أنه شعر بالراحة أنها بدأت تتفهم طبائعه، هو يريد إيصال رسالة أنه لا يقدر مقاومة هواجسه وأفعاله التي تبدو متطرفة قليلًا، انتظرت حتى أشار إلى المكان الذي من المفترض أن تجلس عليه، هذا هو مكان جلوس الضيوف حتى ولو كانت هي زوجته المستقبلية.

تحدثا كثيرًا وعرض لها نظام العمل بمكتبه وكيفية التعامل مع التوكيلات الخارجية لاستيراد الماكينات وقطع الغيار للعديد من المصانع، والتعامل مع الجمارك ومع مراكز التوزيع وخلافه، كان يحاول إظهار أن هاجس النظام والترتيب -دون ذكر كلمة وسوسة- هو سبب نجاحه وتفوقه، لا تدري إن كانت مقتنعة فعلًا لكن الكلام لا يبدو سيئًا بل معقولًا، إذا كانت هذه شخصيته بما لها وما عليها فلمَ لا، ربما تتعرض لبعض الإحراج أو الضيق، خصوصًا حينما يصمم على اتباع قوانين النظافة الخاصة به حتى عليها، لكنها في النهاية زوجته المستقبلية، فكيف سيلتحم جسداهما مثلًا إذا ظل على وسوسته هذه، هل سيمسح شفتيها بالمنديل قبل تقبيلهما كل مرة؟

****

يبدو أن خبر ارتباطها قد بدأ ينتشر في البنك؛ فطبعًا الكل لاحظ هذا الشاب الوسيم بنظارته الشمسية الجذابة وبسيارته الفارهة، ينتظرها خارج البنك لتستقل معه سيارته، لم تعد تستقل الحافلة معهم كثيرًا. بينما كانت تسير إلى مكتبها بعد أن حضرت متأخرة إلى البنك سمعت من ينادي:

- آنسة شذى، تأخير ربع ساعة بحالها.

تحولت ملامح وجهها إلى الحنق والغيظ الشديدين، إنه أحد زملائها الموظفين والأعلى منها بحكم الأقدمية، الأستاذ خالد، تسميه هي وصديقتها ندى الأستاذ شيخون، بشرته قمحية تنمو على وجهه لحية سوداء ممشطة، شيخون فهو شيخ نصب نفسه كإمام البنك، هو الذي يسير بين الناس بالنصائح الدينية، طبعًا من يعرف أنها غير محجبة يستطيع أن يستنتج جيدًا كم النصائح التي أعطاها إياها

للبس الحجاب، المشكلة ليست في النصيحة نفسها بل في الشخص الذي تأتي منه النصيحة، هي تعرف جيدًا أن هذا الشيخون لا يستقر في أعماقه أي ذرة إيمان حقيقية، فالإيمان إذا استقر في القلب فعلًا جلب معه بعضًا من الطيبة وحسن الخلق والتسامح، أما هذا فلا يملك أي من هذه الصفات، خبث الثعالب، قذارة الخلق بالحديث عن هذا وذاك بالسوء، عدم التماسح وانتهاز الفرصة للانقضاض والانتقام، هو فقط يتخذ من التدين ستارًا ووسيلة لا غاية؛ وذلك للتقرب لرؤسائه، يمثل دور الشاب الأنيق، بينما ملابسه تنم عن ذوق رخيص، التفتت له قائلة:

- نعم يا أستاذ خالد، تأخرت ربع ساعة وأنا مسموح لي بالتأخر مرتين في الشهر، وأنت تعلم وأنا أعلم القوانين طبعًا.
- نظر لها بخبث مليء بكم من السماجة والصفاقة وقال: أنا فقط أخشي عليكِ؛
- لأن الارتباط العاطفي قد يعطل الإنسان عن أداء مهامه الوظيفية، خصوصًا لو ظل الشخص يتحدث في الهاتف حتى الصباح، أنا أريد مصلحتك.

شعرت أنها ستقوم برفع كفها لصفعه بقوة، لكنها تمالكت نفسها وقالت بصبر: أنا لم أسهر على الهاتف، إذا لم تصدق يمكنك فحص هاتفي المحمول، ونحن لا نملك خطًا أرضيًا، ويمكنني إحضار هاتف أمي أيضًا لتتأكد، هذا بخلاف أن هناك ما يسمى بالحياة الشخصية والخصوصية.

رد بكل هدوء مستفز: نعم، لكن كما تعلمين نحن نريد الحفاظ على قواعد العمل، كما أن الدين يمنع اختلاء المرأة بالرجل حتى لو في السيارة أو حتى على الهاتف، لا تغضبي مني أنا أنصحك فقط أنتِ مثل أختي الصغيرة، يهمني مصلحتك وأن تعرفي الصالح من الطالح ومن يريدك فعلًا، ومن يريد فقط أن يلعب بكِ.

زفرت وقد بدأت في التحرك لتنهي الحديث: لا تقلق، أنا أعرف أمور نفسي جيدًا وحين تحديد ميعاد الفرح قريبًا سأوجه الدعوة لك شخصيًا.

لاحظت تحول ملامحه للحنق الشديد مع ظهور الشحوب جليًا على وجنتيه لسماعه كلمة الفرح، إذن فهناك فرح وهناك زواج والأمر ليس صداقة عابرة، هي تعلم جيدًا كيف أنه لم ينسَ لها أنها رفضته حينما حاول التقدم لطلب يدها من قبل، هي رفضت؛ لأنها ترفض لبس الحجاب. هذا هو الكلام الذي ينشره عن السبب الظاهر الذي تعمد نشره لحفظ ماء وجهه، لكن ليس هذا السبب، بل ما يبطنه هو من سواد في الصدر هو السبب، شعرت أنها انتصرت عليه بذكرها مسألة الزواج وتغير ملامح وجهه، فابتسمت في تشفٍ، وغادرت المكتب تاركة إياه وراءها محاط ببعض الموظفين صغار السن، هو دومًا ما يحيط نفسه بالموظفين صغار السن للتأثير فيهم والتجسس على أخبار المكان وما يجري هنا وهناك، بينما هي من صفوف المقاومة هي وبعض الموظفين من الرجال والنساء.

- نائل، أريد أن أقابل خالتك.

قالتها فرد بسرعة، فرد عليها: لقد قابلتها من قبل مرتين.

لاحظت توجسه فتحركت ناحية القلق عندها قليلًا، هي الآن تحاول أن توازن بين قلقها وطمأنينتها منذ أن عرفته، قالت: قابلتها بسرعة لم أجد أي وقت لأتحدث معها، مرة كنا في فرح ابنتها ومرة صدفة في النادي وهي تسير لتتريض، لكني أريد أن أجلس معها أتحدث، أريد أن أعرف من هي الإنسانة التي رعتك حتى كبرت، أظن أنه من حقي؛ لأننا مقبلان على الزواج.

ابتسم سريعًا وقال: حسنًا سنتقابل في النادي الجمعة القادمة.

****

أوقفت شذى سيارتها ونزلت لتعبر الشارع قاصدة منزل صديقتها رانيا التي تقطن بالطابق الثاني حيث تقيم في حي الهرم، سمعت عبارة غزل من متحرش لم تعرها اهتمامًا؛ فهي معتادة على ذلك، وترى أن أفضل الحلول هو التجاهل؛ فالمتحرش يعتقد أن الفتاة إذا ردت عليه حتى لو بالسباب فذلك دعوة منها له للاستمرار، دخلت على صديقتها التي فتحت لها الباب ورافقتها إلى غرفتها، رانيا خريجة آداب علم نفس وتعمل في مركز للتأهيل النفسي، بعد الثرثرة والحديث عن الجديد، لم يخلُ الكلام من سؤال رانيا عن نائل، قالت رانيا بكل فرح

- أخيرًا عقدتك انفكت، كلنا كنا قد فقدنا الأمل فيكِ، قلنا قد ربطك أحدهم بعمل من السحر، هذا ما يقولونه دائمًا عن الفتاة الجميلة التي تبقى بلا زواج.

ردت شذى بابتسامة: أنا ما زلت في الخامسة والعشرين، لا أدري لم كل هذا؟

طلبت رانيا منها أن ترى صورته ففتحت لها شذى هاتفها المحمول لتريها صورة لهما التقطاها معًا في أحد المطاعم أثناء تناول الغداء، شهقت رانيا من الانبهار

- يا إلهي، إنه وسيم حقًّا، قمر، قمر، يكفي عيناه الخضراوان، أناقته، ابتسامته الساحرة، من أين حصلتِ عليه؟

ولما علمت أنه كان عميلًا في البنك ندبت حظها أن تخصصها قادها للعمل مع المرضى النفسيين وليس مع عملاء البنوك من رجال الأعمال، توقفت شذى قليلًا لتعد نفسها لقول أمر ما في قلبها تحمله وتريد أن تبوح بما يعتريها، فهمت رانيا سكوتها ونظراتها، فسألتها: هل هناك أمر ما؟

ردت عليها شذى: رانيا، أنا أتيت لك؛ لأني أعرف أنك ذكية وأمينة بخلاف نقاء قلبك وهذا قلما يوجد في هذا الزمان، هناك أمر أريد أن أحكي لك عنه يخص نائل، هذا الأمر حكيت عنه لأمي ولندى، لكن أرى أنك طرف محايد سيسعفني بكل أمانة، أنتِ تعلمين كيف أن أمي تريد أن تفرح بي؛ لذلك فهي لا تحكم على أي شيء يخص نائل بالعدل، قلبها يقودها إلى إيجاد مبررات، لخوفها عليَّ لأبقى بلا زواج ومن سيصونني بعد أن ترحل هي وخلافه، أنا لا أنكر إعجابي بنائل، شخصيته ساحرة، لا أنكر أنه وسيم ولبق ومهذب بل وكريم لأقصى حدود لكن هناك أمر يقلقني.

حكت لرانيا كيف أنه من الظاهر مصاب بوسوسة في كل شيء، تعرضت لمواقف محرجة بسبب إصراره على نظافة كل شيء، كيف أنه إذا سار في الشارع يسير بصورة عجيبة ليتفادى أي بقعة على الأرض حتى وإن بدت شيئًا تافهًا، طريقة سيره لا بد أن تكون في خط مستقيم، وبما أن الأرضية تتكون من البلاط على شكل مربعات متساوية الحجم، فلا بد أن يسير في نفس الصف وأن تطأ قدمه منتصف البلاطة، أحيانًا تنظر له باستغراب فيشعر بالحرج ويحاول أن يغير الموضوع، ذات مرة زارهم في البيت وأمها أعدت لهم الطعام ولا يمكن لأحد تخيل كمية الإحراج التي حدثت حينما طلب أكثر من مرة تغيير الملاعق؛ لأنه شعر أن هناك طعامًا قديمًا لم ينزع من الملعقة بعد، غسيله ليديه قبل وبعد الأكل بصورة مبالغ فيها، هذا بخلاف حركات أصابعه القلقة العصبية حيث لاحظت أكثر من مرة أنه لا بد وأن يمرر إصبع الإبهام على باقي الأصابع بسرعة وإعادة الحركة أكثر من مرة حتى يتوقف بنفسه أو حتى توقفه هي بنظرة منها ليشعر بالحرج كالعادة ويتوقف. قالت شذى بهدوء به لمحة من الحزن:

- أنا متأكدة أنه يعلم أنني أعلم، أحيانًا أشعر أنه يستسمحني بصورة غير مباشرة بعد أن يحدث موقف هنا أو هناك بأن يرميني كلامًا معسولًا مليئًا بالمشاعر الحلوة، أفهم كأنما يقول لي، سامحيني فأنا لا أقدر أن أسيطر على هذا، هو أمر خارج عن إرادتي لكني أقسم أني أحبك، هو يقولها بعينيه وبقلبه لكنه لا يجرؤ أن ينطق بها وأنا بالطبع لن أتحدث معه في هذا الأمر، أنا فقط جئت هنا لأستشيرك كصديقة عزيزة، ما رأيك؟.

تنهدت وجلست بجوارها وقالت: انظري يا سيدتي، من كلامك فهو فعلًا مصاب بمرض الوسواس القهري، هذا أمر لا شك فيه، هو ببساطة عبارة عن أفكار تأتي بإلحاح شديد تنبع من داخل المخ تسبب قلقًا شديدًا وضغطًا نفسيًا لأصحابها لتنتهي بضرورة القيام بفعل ما لإزاحة تلك الأفكار والشعور بالرضا.

استمعت لها شذى بإنصات شديد، هي الآن تستمع إلى ما قد يكون فعلًا عند الرجل الذي خطبها وعلى وشك الزواج منها ومن المفترض أنهما سيقضيان حياتهما معًا للأبد، أكملت رانيا أن هذا المرض به جزء وراثي، وأحيانًا يكون عامل التربية والنشأة داخلًا فيه، قالت لها شذى إن والديه توفيا في حادثة سيارة وهو في سن الخامسة عشرة ثم تولت خالته تربيته ورعايته حتى الآن حيث يبلغ من العمر ثلاثين عامًا، سألتها رانيا عن علاقته بوالديه فقالت إنه حكى لها أن أبواه كانا طيبين وكانت طفولته طبيعية حتى فقدهما، قالت إنه ذكر أن خالته أدت واجبها على أكمل وجه معه لكنه ما زال يفتقد وجود أبويه في النهاية، قالت شذى إنها من ضمن الأسباب التي جعلتها تتعاطف معه جدًّا فقالت إنه من الطبيعي لإنسان مر بهذه الظروف أن يتأثر ويصاب بهذا المرض أو ذاك، ابتسمت رانيا بسعادة وقالت: التعاطف هو أول الطريق إلى الحب.

ابتسمت شذى لكلمتها، قالت لها رانيا: انظري يا شذى، سأقول كلامًا أنا متأكدة أنك سمعتيه من طنط أو من ندى، لا يوجد إنسان كامل، هذا مرض مثل أي مرض، قد يحتاج إلى أدوية أو علاج نفسي ما، لكن ما أراه أن هذا المرض أو هذا الأمر لا يؤثر في حياته العملية مثلًا؛ فهو يدير شركة ناجحة ودخله متيسر، وموظفوه على علاقه جيدة به، وهذه على الأقل علامة جيدة، لكنه في النهاية قرارك، يمكنك أن تنفصلي عنه إذا أردتِ وهناك غيره الكثير وأنتِ فتاة جميلة وألف من يتمناكِ.

سكتت شذى وهي تفكر، أصعب شيء حينما يتخذ الإنسان قرارًا مصيريًا في حياته، يتمنى لو امتلك القدرات الخارقة التي تمكنه من رؤية ما يدور بداخل من أمامه، من معرفة ما سيحدث في المستقبل لو أكمل طريقه معه، لكن تلك هي الدنيا، صندوق مغلق نفتحه لنجد بداخله صندوقًا آخر وهكذا، حتى الموت.

شكرتها شذى واستأذنت فاحتضنتها رانيا وقالت لها إنها تتمنى لها كل الخير وأن تفكر وتستخير، وإنها تشعر أنه إنسان طيب ومحترم، لكنها لا تدري ماذا تقول لها، وهل زواجها منه فكرة صحيحة أم حماقة؛ فلأمر يرجع لها في الأول والآخر، وكم من رجال يبدون أصحاء نفسيًا ثم يظهر منهم من الأفعال والمصائب ما تجعل أمرًا مثل الوسوسة القهرية أمرًا هينًا.

****

استقلت شذى سيارتها وهي تشعر بالتعب من التفكير المرهق بعد هذا الحديث الطويل مع رانيا وتحركت بسيارتها في الطريق إلى المنزل، نزلت بعد أن أوقفت سيارتها أمام بيتها وسارت حينما سمعت من ينادي عليها "آنسة شذى". تعرفت صاحب الصوت في الحال فبدأ التوتر والتحفز يجري في دمها، التفتت إلى الشاب الواقف أمامها، حضرة الرائد كريم، أحد الأشخاص غير المرغوبين في حياتها، مثله مثل الأستاذ أو الشيخ خالد الذي يعمل معها في البنك، أما كريم فهو مثال آخر للإنسان سيئ النيات، أسود القلب، خبيث الدوافع، وفي ذات الوقت بارد الأعصاب لا يتأثر بأي كلام يقال تعبيرًا عن نفور منه أو بإشارات تدل على التجاهل، هو من ضمن سلسلة المعجبين بها لكن لسوء الحظ هو جارها، أعلنت رفضها له حينما حاول خطبتها أكثر من مرة، يظن أنه منذ أن تخرج في كلية الشرطة أنه خارق الصفات عظيم الخصال، وأنه صار من ملوك هذا الزمان، استغلالًا للسلطة واستعلاءً على الناس، ولمجرد أنه أظهر إعجابه بها فهذا إنما هو أمر لها بالخضوع له ولمكانته الاجتماعية الجديدة، ولذكائه المصطنع ونكاته السخيفة.

حاول التقدم لطلب يدها أكثر من مرة قبل وفاة والدها، والآن شعر بالاستقواء بعد وفاته وبقائها مع أمها وحيدتين، يحاول التقرب منها تارة والتقرب من أمها تارة أخرى، شعرت أنه يريدها عندًا وليس حبًا فهو لم يعتد أن ترفضه فتاة لوسامته وقوامه الرياضي وملبسه الأنيق ووظيفته وغيره من الأمور التي يظن أنها تجعله فوق البشر، قالت شذى لنفسها إنه من الغريب أن يظن أن هناك من ستقبله بهيئته تلك، لكن للأسف هناك عدد غير قليل من الفتيات سيقبل به، بل سيسعون وراءه بكل قوة، هي فقط من فهمته؛ لأنها تحدثت لأبيها المرحوم كثيرًا عنه وعن كلام الناس واتفقت مع أبيها أن هذا الشخص ليس بالذي تستأمنه أي

فتاة على حياتها ومستقبلها، ليت أباها كان حيًا الآن ليرى نائل ويتحدث معه ويستشكف خباياه ويسبر أغواره؛ فأبوها كانت له نظرة ثاقبة لقراءة أي إنسان، خصوصًا حينما يمس أعز ما يملك، ابنته. تحدث معها كريم بطريقة سخيفة على غير العادة؛ حيث اعتاد كل مرة الحديث معها بطريقة ناعمة مرنة، قال لها:سمعت أنك ارتبطتِ بتاجر خردة، قلت أبارك لكِ.

فهمت أنه ربما عرف من أمها؛ فهو يستوقفها في طريقها إلى البيت دومًا ليحاصرها بسيل من الأسئلة عنهما على اعتبار أنه جارهما ويريد الاطمئنان عليهما، علمت أنه يريد استفزازها فردت بقوة: هو ليس تاجر خردة بل صاحب شركة استيراد وتصدير، وفعلًا ارتبطت به، والله يبارك لك، وإن كنت لا أدري كيف وصلت لك الأخبار.

رد بنظرة حادة وقال: أنا، بحكم وظيفتي، أستطيع أن أعرف الكثير عن أي شخص، كما أني لم أخطئ كثيرًا في وصف وظيفته، كلهم متشابهون، أنت مثل أختي، أعلم أننا لم نكن موفقين معًا، لكني أشعر بالمسئولية تجاهك بصفتي جارك خصوصًا بعد رحيل والدك الغالي الذي كنتِ تعشقينه و...

استفزها مجرد ذكر والدها الراحل على لسانه، فردت وقد بدأت في التحرك لتعلن انتهاء الحديث: أشكرك، أنا قادرة على إدارة أمور حياتي وأعرف ما لي وما عليَّ ولست صغيرة، وإذا كان هناك نصيب وتزوجت منه سأدعوك أنت وطنط وعمو وأختك مريم لحضور فرحي.

شعرت باللذة وهي ترى علامات الغضب على وجهه لذكرها كلمة الفرح، وبينما هي تتحرك مبتعدة لحق بها قائلًا: على فكرة، أنا من الممكن أن أسأل عنه

وعن أصله، ربما تحتاجين لمعرفة خلفيته؛ فهو شريك عمرك المستقبلي، ولا تدرين ما قد يخفيه عنك.

تمالكت أعصابها وقالت بسرعة: شكرًا، لا أحتاج ذلك.

ومشت بسرعة وهو في الخلفية يقول بصوت عالٍ: تعجبني ثقتك الشديدة بنفسك، لكن تذكري أني سأظل هنا وستحتاجين إليَّ يومًا ما، وسأذكرك.

لم ترد عليه وأكملت طريقها.

****

دخلت البنك كالعادة مسرعة؛ لتأخرها حتى لا تسمع كلمات لا تسرها من (شيخون) والذي لا يستطيع السيطرة على لسانه الذي ينطلق كالأفعى؛ يسب في هذا، وينم عن هذا، ولا يتورع حتى عن الخوض في أعراض الناس ما دام أن هذا يتماشى مع مزاجه وأغراضه الدنيئة، قابلت عم جمال الحارس والذي لا يسيطر هو الآخر على لسانه، لكن هناك اختلاف لحالة عم جمال، هو ينقل الكلام لكن بقلب أبيض، يتمنى الخير للجميع، هو فقط ساذج من طيبة قلبه لا ينقي كلامه بل يمر سريعًا ليخرج بكل مصائبه المضحكة، قال لها بصوت عالٍ فاضح: صباح الخير على أحلى عروسة، يا رب نراكِ في الكوشة قريبًا.

ابتسمت له شذى، فبالرغم من حماقته وارتفاع صوته إلا أنها حماقة حميدة ليست خبيثة، هو يريد أن يرى الكل سعيدًا، هو لا يفهم أن هناك أشرارًا، وأن الكل يتمنى الخير للكل، لا تفهم كيف ظل يفكر هكذا رغم سنه المتقدمة ما يجعله ذلك أكثر خبرة منها، القلوب الطيبة لا تصدأ، تظل طيبة، كالنهر الذي لا يجف، كالمطر الذي لا يتوقف إلابعد أن يروي ظمأ الجميع، هو كذلك، يمر على كل موظفي البنك ليتأكد أن الكل بخير، ويلقي دعواته على الجميع، هذا فقط ما يملكه، عم جمال لا

يملك شيئًا حرفيًا، يعيش على المرتب والإعانات من أهل الخير من البنك، ولا يعطي في المقابل إلا الدعاء، وسره باتع، كثير أقسموا أن دعواته تتحقق، كم من مرة دعا لشخص ما لمرضه أو لغياب هذا حتى يعود لأسرته لتتحق الدعوة، عيبه هو سذاجته الزائدة وصوته العالي، ردت بابتسامة: شكرًا يا عم جمال، دعواتك دومًا.

رد عليها: يا رب يا ابنتي، ربنا يفتحها في طريقك، إن كان خيرًا فهو خير وإن كان شرًا فالله قادر على إزاحته عنك ولو بعد حين.

نظرت له نظرة سريعة وفكرت قليلًا في كلامه، لا تدري لماذا دعا هكذا بدلًا من أن يعطيها دعاءً سريعًا مبشرًا بدون ذكر الخير أو الشر، لم تركز في كلامه وسارت مسرعة، هي تريد أن تنهي العمل بسرعة لتذهب لزيارة نائل وخالته. ذهبت للمعادي بعد العمل لمتابعة سير العمل في شقته بالمعادي من تجديدات ودهانات وغيره، لم يكن موجودًا هناك بل كان في مكتبه بمدينة نصر مشغولًا بعمله، بعد أن اطمأنت على شغل العمال اتجهت إلى بيت خالته التي استقبلتها بكل ترحاب، جلسا في الصالون، وأحضرت لها بعض العصائر والحلويات، بدآ في الحديث عن أحوال بعض، ابنها في الجامعة وابنتها متزوجة حديثًا وهي مطلقة وتعمل بإدارة إحدى المدارس الخاصة، حاولت شذى استغلال تأخر نائل لتبدأ بالحديث عنه، قالت لها: طنط، أنا كما تعلمين على وشك الزواج من نائل، أنا أعرف أنه ابن أختك وأنه تربيتك، لكني أحب أن أسمع عنه أكثر منك، أنا زرته في مقر شركته وموظفو الشركة يحبونه ويحترمونه، هو ليس له أهل أعرفهم إلا أنتِ، أنا لا أنكر حبي له لكني ألاحظ أن له أحيانًا بعض التصرفات الغريبة.

تغيرت ملامح المرأة وقالت لها: كيف؟ مثل ماذا؟ هل صدر منه شيء يجرحك أو يسبب لك ضيقًا؟

سارعت شذى بالقول: إطلاقًا، هو قمة في الطيبة والأخلاق ولم يجرحني ولو بالإشارة حتى، أنا أقصد حبه للنظام والنظافة بصورة مبالغ فيها وأمور من هذا القبيل.

شعرت أن عينيها زاغت داخل جحريها وأنها لم تكن تود أن تدخل في حديث مثل هذا، شعرت شذى أن المرأة توترت كأنها في مصيدة وتود الفكاك منها، في النهاية استسلمت لها خالته وقالت: انظري يا ابنتي، هو بالفعل مصاب بالوسوسة ولا أدري إن كان هذا قد يؤثر في علاقتكما، لكن، لكن أحب أن أؤكد لك أنه ابن ناس وابن حلال والله.

شعرت شذى أن المرأة عندها الكثير لتقوله لكنها لا تريد، أكملت المرأة قائلة بحذر: هذه الأمور يمكن أن تحل، أنا نصحته أن يزور بعض الأطباء بصورة مستمرة، وأن يأخذ بعض الأدوية المهدئة، لا يوجد ما يمنع، نحن الآن نتحدث عن العلم وتقدم الطب، لا يوجد حرج في هذا، هو حساس وكذلك مجتهد، وانغماسه في عمله يعرضه للضغوط النفسية، صح يا ابنتي؟

سكتت شذى واعترى وجهها بعض الشحوب من التفكير والقلق، هنا دخل نائل وعلى وجهه علامات التربص كأنما كان يجري مسرعًا ليجد ما كان يخشاه، أقلقه أكثر شحوب وجه شذى، كأنما سقط قلبه بين قدميه، سلم عليهما وجلس بينهما كأنما يحاول إنهاء الحديث بأي شكل، اعتذر لشذى بلباقته المعتادة لتأخره بسبب إنهاء بعض الأعمال بالمكتب، نظر لخالته بسرعة نظرة تجمع بين التحذير والمعاتبة وحاول ألا تلحظ شذى ذلك، اتجهوا إلى غرفة الصالة لتناول الغداء، لينتهي الحديث الذي كانت شذى تعد له منذ فترة، لكنها لم تستطع الحصول على كل ما تريد معرفته، لكنها حصلت على جزء من الصورة، دعاها نائل للخروج

بعدها، أخذها إلى ذلك المطعم الفاخر على ضفاف النيل، هو يعلم جيدًا حبها لمنظر غروب الشمس على ضفاف النيل، جلس بجوارها ووضع ذراعه على كتفها، وبيده اليسرى أخرج علبة أنيقة، فتحها ليخرج لها خاتمًا من الألماظ وضعه في يدها، ثم قبل يدها، خفق قلبها بشدة، إن لم يكن هناك احتمالية للوقوع في حبه فالآن لم يعد هناك إلا احتمال واحد، أنها تحبه، رغم عيوبه ومرضه، إلا أنها لا تقدر على مقاومة كل هذا الكم من المشاعر، من إنسان نقي القلب مر بالكثير في حياته؛ فقد أبويه منذ الصغر، نحت في الصخر للحفاظ على عمله، لم يشتكِ أحد من سوء خلقه كما رأت وسمعت، تشعر أنه يود لو يذهب لآخر العالم لإرضائها، خطوط مقاومة قلبها تتساقط واحدًا تلو الآخر، وهناك صوت من الداخل كان دومًا يحذرها، انقلب هو الآخر على نفسه وصار يشجعها على الاستمرار معه.

ظلت في حالة من النشوة والسعادة والخاتم يتلألأ في يدها، ويدها الأخرى أسيرة يده لا تقدر على الإفلات منه بينما هو يقود السيارة لإيصالها إلى منزلها، إن كان هناك بعض الشكوك التي راودتها بعد الحديث مع خالتها، فقد استطاع هو بحنكة ومهارة التخلص منها وإذابتها.

نامت وهي تشعر بقلبها ينبض في مكانه، شعرت أمها أيضًا بسعادتها فسعدت لسعادة ابنتها، نامت شذى وهي تحتضن الوسادة محاولة لإفراغ مشاعرها.

استيقظت في اليوم التالي والذي كان يوم الجمعة فلا عمل اليوم، لم تستطع أن تمنع نفسها من الاتصال بصديقتها رانيا لتخبرها بالحديث الذي دار بينها وبين خالته، وافقتها رانيا في الكلام، زيارة الطبيب ستساعد نائل بالتأكيد، ربما بعد الفرح حينما تستقر الأمور، لا يبدو أن هناك خطورة أو طارئ للتفكير في هذا الأمر حاليًا، لندع اللحظات الجميلة تأخذ وقتها، بعدها نقوم بحساباتنا إن اضطررنا.

يوم الزفاف، كان يومًا أسطوريًا، لم يكن أسطوريًا لأنه قد تمت إقامته في قصر أو في أحد الفنادق العريقة، أو لأن أعظم مطربي العصر كانوا يشيدون بأجمل أغانيهم في الحفل، بل لجمال العروسين وبهائهما، تحدث الجميع عن جمال العروسة ووسامة العريس، ندى ورانيا في كل مكان يسعون لترتيب الأمور والتأكد من تنظيم الفرح والتأكد من جاهزية البوفيه، الفرح تم إقامته بأحد فنادق القاهرة ذات الخمس نجوم، صمم نائل رغم ارتفاع مصاريف أن يتم حفل الزواج في مكان يليق بهما وقرر أن يتكفل بأي زيادات في التكاليف، من ناحيتها كان الضيوف من أقاربها من خيلانها وأعمامها وصديقاتها وزملائها في البنك، أما هو فلم يأتِ من عائلته إلا خالته وابنها، لاحظت أن خالته اتخذت جانبًا بعيدًا هادئًا، لم ترد أن تظهر في الصورة كأنها تريد أن تتنصل من الظهور كخالته، لن تعكر صفو اليوم بهذه الملاحظات، تذكرت أبيها، بكت، كانت تتمنى حضوره في ذلك اليوم، قالت ذلك لأمها التي بكت هي أيضًا لذكر سيرته، احتضنتها وقالت لها إن أباها الآن يشاهدهما وروحه تطوف حول المكان وهو لا يريد أن يرى دموعها في يوم مثل هذا.

مر اليوم جميل وأجمل ما فيه العروسان والذي شعر الناس أنهما عروسان من إحدى الدول الأروبية أو من لبنان أو تركيا، اختيار فستان العروسة كان متوافقًا جدًّا مع بدلة العريس، طولها مناسب لطوله، حتى وهما يرقصان الرقصة البطيئة، والدخان من حولهما مع موسيقا هادئة تنبعث من جوانب القاعة، كانت رقصة العمر، هو أنيق وهي جميلة الجميلات، وانتهى الفرح وبدأت حياة الزوجية.

****

اتجهوا بعدها للإسكندرية لقضاء شهر العسل، أقاموا بأحد الفنادق الراقية المطلة على البحر، بدأت تتقرب إليه بشدة، أحبته من قلبها فعلًا، حتى عيوبه اعتادت عليها، إذا كان يصر على أمر ما تركته ينفذه حتى يرتاح، إذا صمم على غسيل يديه أكثر من مرة قبل الطعام تركته على راحته، لم تعد تعلق حتى لا تجرح مشاعره، إذا صمم على أخذ صورة لهما أكثر من مرة لأسباب تافهة تتعلق بأنه موجود في جانب الصورة أكثر قليلًا مما ينبغي، أو أن ابتسامته سخيفة قليلًا، لكنها لا تتحدث عما يفعله مثلما يفعل بعض الناس عامة من إعادة التقاط الصور مرتين أو ثلاثة أو حتى عشرة، هي تتحدث عن قضاء نصف ساعة كاملة لأخذ بعض الصور؛ لأنه مصمم على وضع معين وهو يريد أن يصله بالكمال والتمام، أن يجلس هو بينما هي واقفة بجواره، صمم أن يتم أخذ الصورة في بهو الفندق، والبحر في الخلفية، طبعًا حاول استخدام خاصية التصوير الذاتي للكاميرا لالتقاط الصورة، لم تعجبه الصورة مرة واحدة، حاولت ألا تتأفف حتى لا تفسد اللحظة وهما في شهر العسل، طبعًا بعد تعذيب مستمر تم استدعاء أحد موظفي الاستقبال بالفندق، شعرت بالإحراج بينما رواد الفندق ينظرون وبعضهم يضحك في السر من تصرفاتهما وقضاء كل هذا الوقت لأخذ صورة واحدة.

رغم ذلك كله، لم تعد تشعر بالضجر، كلها أفعال صبيانية، اعتبرته كطفل صغير وهي أمه، هو فقد أبويه صغيرًا لذلك فهي التي ستعوضه عنهما، ستحاول معه، إذا اضطرهما الأمر ستصطحبه إلى الطبيب، كلها أمور بسيطة، وإذا كان على كلام الناس ونظراتهم فليذهبوا إلى الجحيم.

****

قرر أن يأخذها لتناول الغداء في المطعم الملحق بالفندق، جلسا وأخذا في الثرثرة بكل انسجام، توقف بجوراهما رجل في الأربعينيات من عمره يلبس البدلة الخاصة بموظفي الفندق حينما لمح نائل، سارع إليه قائلًا: أهلاً، أستاذ حسام، لم أرك منذ سنين، أنا عماد الليثي، تتذكرني؟ كيف حالك يا عزيزي؟

نظرت له شذى باستغراب وشاركها نائل ذلك الاستغراب أيضًا قائلًا: من حسام؟ حضرتك أنا اسمي نائل الحديدي، وتلك زوجتي، ونحن نقضي شهر العسل هنا، لا داعي لهذه السخافات.

قال الرجل والحيرة تملؤه: كيف يا أستاذ حسام أنا لا أتوه عنك، أنت أقمت هنا منذ سنتين لمد شهر كامل، وكنا أصدقاء جدًّا وتحدثنا بعدها على التلفون لمدة شهور، ماذا فعلت في مشروع شركتك للاستيراد والتصدير؟

رد نائل بكل عصبية: أنا اسمي نائل ولا أعرف من حضرتك، تفضل من هنا وإلا شكوتك لإدارة الفندق.

تراجع الرجل بعد أن شعر بأن ثمة أمر ما خطأ في الموضوع، ملامح وجهه تظهر أنه متأكد مما يقول، لكنه لا يريد إثارة المزيد من المشاكل، اعتذر لهم بشدة وانصرف، نظرت له شذى قائلة: من هذا يا نائل؟

تحدث معها بعصبية بصوت عالٍ: قلت لك لا أدري، من حسام هذا؟ لا أدري عما يتحدث هذا المجنون.

انتبه لنفسه أنه يتحدث بصوت عالٍ فشعر بالحرج واعتذر لها فتقبلت اعتذاره بسرعة حتى لا يتم تكدير جو الرومانسية الذي كانا فيه، لكن كيف عرف هذا الرجل أن نائل يعمل في الاستيراد والتصدير؟!

****

مرت عدة أشهر بعد الزواج والأمور على ما يرام، لاحظت تحسنه وقلة أفعاله المرتبطة بوسوسته، أصبح يقضي وقتًا أقل في تنظيف ملابسه وأغراضه وغسيل يديه، سعدت لذلك، شعرت أن هناك بصيصًا من الأمل؛ إذن فحالته ليست متأخرة، يمكن السيطرة عليه.

مرت على صديقتها رانيا بعد العمل، لحسن الحظ رغم انتقال شذى للعيش في المعادي بعد الزواج إلا أن رانيا ما زالت على مقربة من عملها، فضلت شذى أن تمر عليها في المنزل بدلًا من أن تحدثها على الهاتف خوفًا من أن يرجع نائل فجأة ليسمعها تتحدث عنه.

تحدثت معها على تحسن حالته وانتظامه وتبدل عاداته للأفضل، شعرت رانيا بالراحة وقالت ربما تحسن الأمر بعد الزواج، وافقتها شذى وقالت إنها تتمنى لو استمر هذا التحسن للأبد، سألتها رانيا إن كانت تعلم أنه قد زار أحد الأطباء أو بدأ على علاج ما، أنكرت شذى ذلك وقالت إنه لا يذهب لأي أطباء، صمتت رانيا قليلًا ثم قالت: أريد أن أقول لكِ أمرًا لا أريد أن أزرع الشكوك، لكن ماذا لو كان يذهب من ورائك، فهل سيثير ذلك حفيظتك؟ هل تتتبعينه طوال الوقت؟

سكتت شذى وظلت تفكر، هل بالفعل يفعل هذا من ورائها؟ قاطعت رانيا تفكيرها قائلة: انظري يا شذى، حتى إن فعل هذا، فلا عيب أو ضرر، نحن متعلمون ومثقفون ونظرة الناس اختلفت للمرض النفسي، ربما أنا أو أنت نحتاج إلى الدواء أو المتابعة مع الطبيب النفسي يومًا ما.

صمتت شذى قليلًا، لا تدري ماذا تقول، تعاود السؤال نفسه، هل تسرعت بالزواج منه؟ هل تسرعت بالزواج بصفة عامة؟ لماذا وافقت إذن وهي الآن تراجع نفسها؟ هل كان من الأفضل أن تمحو فكرة الزواج من حياتها من الأساس؟ وتظل

مقيمة مع أمها الحبيبة في ذكرى والداها الحبيب؟! رأت رانيا تلك النظرات وفهمت تلك الأفكار من وراء نظراتها الحائرة فقالت بلطف:

- صدقيني يا شذى تلك الحالة أبسط بكثير من حالات أخرى أراها بنفسي، لايوجد إنسان كامل، أنت تتحدثين عنه وعن دماثة خلقه وأنه لم يرفع صوته عليك حتى الآن أو على أحد، حتى الموظفين في شركته يحبونه.

ردت شذى: وماذا عن خالته التي أشعر أن هناك أمر ما وراءها؟

ردت رانيا تلك وساوس لا قيمة لها ومصدرها الشيطان ليفرق بينكما، من أدراكِ؟ ربما أن خالته هي نفسها غير السوية نفسيًا أو مرت بتجارب ما في حياتها فانعكس على سلوكها.

شكرتها شذى وقالت إنها ستعود إلى المنزل حيث إن ذاك ميعاد رجوع نائل.

حينما عادت وجدته نائمًا، وجهه تحت إضاءة أشعة الشمس المتسربة من خلف الستائر على وجهه فكان يبدو براقًا مضيئًا ليزيد وسامته وسامة، جلست بجواره ومسحت على شعره الناعم، شعرت بقلبها يخفق لرؤيته في هذه الصورة الملائكية، شعرت كأنما يبتسم وهو نائم، ربما هو يحلم حلمًا ورديًا، وددت لو اخترقت رأسه لترى بما يحلم؟! هل يحلم بفتاة من تلك اللاتي اتخذهن عشيقة له من قبل؟ هي تعلم بحاستها الأنثوية أنه كانت له علاقات متعددة من قبل، لم يبح لها لكنها تستشعر ذلك، لا يهم فالمهم أنه ملكها الآن، شعرت في تلك اللحظة أن عليها ألا تضغط عليه أو أن تسأله عن ماضيه أو عما إذا كان يعاني من مرض ما أو أنه يتردد على زيارة بعض الأطباء، قامت من جواره من على السرير وهو مستغرق في نومه، ثم همت للذهاب للمطبخ لتحضير الغداء، وعند باب الغرفة سمعت "كنت

أحلم بك!". نظرت إلى الوراء لتجده قد فتح عينيه بينما لا يزال مستلقيًا على السرير، ما زالت ابتسامته الجميلة تعلو وجهه وهو ينظر إليها، قالت:

- لم أرد أن أزعجك، و...

وجدته يمد يده إليها أن تعالي اجلسي بجواري، شعرت بالحرج قليلًا ثم سارت إليه وجلست، رغم مرور بعض الوقت على زواجهم إلا أنها ما زالت تشعر بالخجل منه، ويبدو أنه كان مستمتعًا بهذا الإحساس وأنها ما زالت تحمل بعض من عذريتها على الأقل عذرية في قلبها، ظل يقبلها من أعلى إلى أسفل لتستسلم سريعًا له، بعد الانتهاء من إقامة علاقة حميمية جديدة، قام هو بالاغتسال أولًا، شعرت بأنها ترتبط به أكثر وأكثر، شعرت أنها ستتقبل أي عيوب منه؛ لأن قلبها قد بدأ يغلب عقلها بالفعل، كان مزاجه رائقًا جدًا ذلك اليوم، حتى أداؤه الحميمي كان متميزًا هذه المرة، الأمور تتحسن من كل الجهات، لعله خير. قاما بعدها إلى تناول الطعام وبدآ يتبادلان الحديث هي عن عملها وهو عن عمله وذكرياتهما القريبة والبعيدة، سألها: إذن يبدو أن أكثر صديقتين لك هما ندى ورانيا.

ردت بنعم فسألها: قلتِ لي ماذا تعمل صديقتك رانيا؟

قالت وهي تتناول الطعام "أخصائية نفسية". فجأة سمعت أحد الأطباق يتهشم بعد أن سقط على الأرض، نظرت وجدته منفعلًا قليلًا كأنما سمع شيئًا لم يعجبه، هل أزعجته فكرة أن لها صديقة تعمل في الطب النفسي؟ أم أنها توهمات، سألته: هل هناك أمر ما؟

نظر لها وقد بدا كالشخص الذي تعصب قليلًا ثم بدأ في تمالك نفسه وقال: لا شيء، الطبق سقط مني، بسيطة.

ثم أكملا الحديث، سمعا صوت طرق الباب فقام ليفتح، لم ترَ من الطارق لكنها خمنت أنه صبي من الصيدلية قام بإحضار شيئًا ما حيث سمعت الفتى يقول: حضرتك أستاذ نائل، هذا طلبك من صيدلية المنار.

لم تسمع الحديث كاملًا لأنها شعرت أنه تعمد إخفاض صوته، لكنها سمعت الفتى يقول "لكن هذا الطلب جاءنا من عنوانك يا فندم". رد نائل بعصبية وقال "وأنا قلت إني لم أطلب هذا الدواء". ثم أغلق الباب بقوة، عاد إلى المنضدة وتنفس نفسًا عميقًا، ابتسم لها لتلطيف الجو ، أكملا الطعام وحاول تغيير مجرى الحديث، طلب منها بعد ذلك أن تغير ملابسها؛ لأنه يحضر لها مفاجأة، لم تدرِ أي نوع من المفاجآت لكنها توقعت أن تكون هدية، فأثناء الخطبة كان حينما يقول تلك الجملة تعني تناول الطعام في واحدة من تلك المطاعم الفاخرة التي لم تسمع بها من قبل والتي يبدو أنه كان يحفظها عن ظهر قلب أو أن يشتري لها هدية والتي غالبًا تكون من الموجوهرات الثمينة، اتضحت هذه المرة أنها بالفعل إسورة وخاتم من الألماظ لم تكن لتتخيل أنها ستلبسها في يوم من الأيام. الفارق المادي يتضح مع مرور الأيام، وتعليقات الناس من الأصدقاء والجيران ومن البنك تنم عن ملاحظة الناس لنوعية ملبسها ومتعلقاتها والمجوهرات التي صارت ترتديها.

****

تلقت شذى الاتصال من صديقتها ندى بكل حرارة إلا أن الاتصال كان مليئًا باللوم والعتاب والاتهام بالنذالة، وأنها لم تعد تسأل عن صديقة عمرها من بعد الزواج، طلبت منها شذى أن يلتقيا بعد العمل ليتبادلا الحكايات والأحاديث، كما كانت العادة قبل الزواج، تقابلا في أحد المولات ليتناولا الطعام في أحد مطاعم

الوجبات السريعة، حكت لها ندى كل شيء بكل صراحة؛ فهي تثق في صديقة عمرها كل الثقة، حكت لها عن موضوع الوسواس القهري وحديثها المستمر مع رانيا عن ملاحظاتها، حكت لها شذى أنه خلال هذا الشهر التي عاشته مع نائل لم تلحظ أمرًا جديدًا غير اهتمامه الزائد كالعادة بالنظافة وترتيب المنزل بصورة زائدة وضياع ساعات طويلة وإلغاء المواعيد من أجل هذا، تحدثت معها ندى بتعقل وذكرت لها أن هذا كان معروفًا منذ قبل الزواج وهي تعرف به والكل يعرف ورغم ذلك فقد وافقت عليه. قالت لها ندى إن زوجها يملك بعض الصفات الرديئة مثل بعض البخل وعدم الرغبة في الإنفاق وانعدام الذوق في الملبس والمأكل وغيره، وأنه سليط اللسان في بعض الأحيان مما يدخلها في بعض المشاحنات السخيفة مع الأهل والجيران، وإذا عاتبته غضب وانقلب عليها، يبدو أن شذى ستتوقف عن الشكوى من الآن؛ لأنها كلما اشتكت لأحد سمعت من المبررات والشروحات ما لا يمكن رده ومجادلته، فالأفضل لها أن تتوقف عن الشكوى وتتقبل حياتها معه واضعة في الاعتبار تلك المميزات التي يمتلكها زوجها والتي حفظتها عن ظهر قلب من كل الناس.

قررت بعدها شذى الذهاب لزيارة أمها؛ فهي لم ترها لمدة ثلاثة أيام كاملة وهو أمر جديد وغير معقول ولم يحدث منذ أن هلت شذى على أرض البسيطة.

استغلت شذى حالتها المزاجية الجيدة من نائل لزيارة أمها فهي تعرف جيدًا أنها إذا ذهبت لأمها في حالة سيئة فإن ذلك سينعكس على أمها بالسلب؛ فأمنية أمها الآن أن تراها سعيدة وأن ترى حفيدها منها.

وصلت المنزل واستقبلتها أمها بالترحاب والأحضان، ورغم أنها لم تزرها لمدة ثلاثة أيام إلا أن شذى تعلم جيدًا أن أمها رغم أنها ظاهريًا ستبدو مستاءة لغياب ابنتها عنها كل هذا الوقت إلا أن أمها من الداخل ستصل إلى قمة السعادة حينما تراها وهي تمتدح في زوجها، وكذلك حينما تريها آخر هداياه من حلي ومجوهرات تنم عن كرمه وحبه الشديد لها.

إذن فمن المطلوب كي تسعد قلب أمها أن تظهر سعادتها وتتظاهر بها وتعظمها، هل من العدل أن يزرع الإنسان السعادة فيه زرعًا من أجل إسعاد الآخرين؟ هل من المفترض أن يطرد ما بداخله من شكوك وتوجسات طردًا لكيلا يعكر صفو جو المعيشة الزوجية؟ على الأقل أمام الناس فهو صفو ظاهري.

****

توقف نائل بسيارته التي اعتاد ترتيبه محتوياتها بدقة والحفاظ على نظافتها ونقاء رائحتها، ونزل أمام صيدلية (المنار) والتي يبدو أنه دخل لإصلاح ما حدث بالأمس، دخل وتحدث إلى الفتاة الواقفة وحدثها عن أنه قد طلب بالأمس فعلًا بعض الأدوية ثم جاءه فتى التوصيلات وحدث بعض من سوء الفهم واعتذر لها وللصبي وطلب منها نفس الأدوية بنفس الجرعات، ذكر للصيدلية الواقفة أنه من الآن سيأتي بنفسه لشراء أدويته؛ حيث إن طلبها للبيت سيزيد من الحيرة والارتباك، شكرهم وغادر الصيدلية بعد أن ملأها بعبق فواح نم عن ذوقه الرفيع في اختيار العطور التي يستعملها، مظهره الخارجي ومشيته وعطره وهندمته لملابسه وسيارته قد تسحر أي فتاة تراه من الخارج بما فيهم الفتاة الواقفة بالصيدلية.

بعد أن رحل بسيارته بعدة دقائق، دخلت شابة جميلة أنيقة رشيقة ينسدل الشعر البني على كتفيها، إنها شذي، دلفت إلى تلك الصيدلية والتي تبعد عن مكان إقامتهما بخمس دقائق بالسيارة، لقد كانت تتبعه، هي تعلم جيدًا أنه قد صرف فتى التوصيل بالأمس؛ فهي تحفظ صوت هذا الفتى، وتعرف هذه الصيدلية بعد أن طلبت منهم عدة طلبات بعد انتقالها لشقة زواجهم، إذن فهو الفضول والشغف الذي يقتل المرأة، هي تعلم أنه سيستشيط غضبًا إذا عرف أنها تتبعته إلا أنها أخذت الطريق مشيًا بعد أن نزل من البيت وذكر أنه سيذهب إلى السوبر ماركت لشراء بعض الأشياء، شكت في كلامه وتتبعته وبالفعل صدق حدسها حينما دخل الصيدلية، دخلت وتحدثت إلى الفتاة الواقفة وقالت:

- لو سمحتِ، أنا زوجة الأستاذ الذي قد دخل منذ قليل لشراء بعض الأدوية، أستاذ نائل.

ردت عليها الفتاة نعم، أي خدمة.

لم تدرِ شذى ماذا تقول فترددت ثم قالت: هو طلب مني أن أعود لشراء كميات أكثر من نفس الدواء الذي اشتراه منذ قليل، هل من الممكن إحضار علبة أخرى.

نظرت لها الفتاة ببرود ممزوج بنوع من التحدي والكراهية التي لاتدري ما مصدرها، هل بسبب الغيرة كونها متزوجة من رجل بهذه الوسامة والأناقة؟ ربما، لكن ذلك لا يعنيها الآن، ردت الفتاة باقتضاب: والله يا فندم إذا أراد جرعة أخرى من الدواء فيستطيع أن يعود مرة أخرى ليطلبها بنفسه؛ فنحن نحافظ على خصوصية المرضى حتى أمام ذويهم، هو حتى طلب ألا نرسل الدواء للبيت مرة أخرى.

ثم انتهت الفتاة، هي لا تريد الإدلاء بالمزيد من المعلومات أمام تلك المدعية والتي أتت بصورة مريبة، نظرت لها شذى بغيظ وتابعت تلك الفتاة كلامها قائلة: أي خدمة أخرى؟ آسفة لا أستطيع الإفصاح أكثر من هذا.

لم ترد عليها شذى وغادرت وهي تشعر بالحنق، هي تريد أن تعرف ما هي الأدوية التي يتعاطاها؟ فقط تريد أن تعرف، هو لا يفصح عن شيء، وهي فقط تريد أن تعرف، هذا حقها، حسب حدس المرأة المعروف بدقته فهو يضع الأدوية في سيارته والتي لا يسمح لها بقيادتها منفردة فلو احتاجت أن تذهب إلى مكان ما يمكنها أن تستعمل التاكسي في غيابه، هذه هي قواعده، وعدها بشراء سيارة لها قريبًا، أما سيارته فهي من ضمن أسراره؛ إذن فهي لم تصل إلى شيء في ذلك اليوم وعادت خائبة.

****

وصلت إلى البنك ونزلت من التاكسي مسرعة لوصولها كالعادة متأخرة بضع دقائق، حاولت التسحب لتصل إلى الطابق الثاني دون أن يلحظها أحد. بعد أن تخطت درجات السلم مسرعة بخفة سارت في الممر الذي يؤدي إلى غرفة مكتبها، لكنها سمعت صوت زميلها الأستاذ خالد وهو ينادي عليها بصوت عالٍ من القاعة التي تلي مكتبها في نفس الدور قائلًا

- مدام شذى، تعالي نريد التحدث إليك.

كان واقفًا وسط زميل وزميلتين من مكتبين بجوارها، لم يعجبها أن ينادي عليها ويتحدث بصيغة الجمع، شعرت أنه يتخذ دور الزعيم بلا داعي، ولماذا يقول "نريد التحدث إليك"؟ هل صار يتحدث بدور الشعب، هي تعرف جيدًا أنه يريد الوصول إلى المناصب العليا بأي طريقة وقد اتخذ الطريق الذي يسهل عليه

تقمصه، دور شيخ الدين المستنير، لكنها ذكية، وتلك مشكلة تجعل من الصعب خداعها مع شخص تعرفه منذ سنين يعمل معها، وتعرف جيدًا كيف كان قبل أن يصير شيخًا، وكيف أنه انقلب هكذا عندما شعر أن تأثيره ضعيف في من حوله، وهو يحب السيطرة، ويتنفس الوصولية والانتهازية، رغم أنها تعلم أنه من المفترض أن تتجاهله في كل مرة حتى لا يتمادى في أسلوبه المستفز إلا أنها تعلم طول لسانه وإتقانه لنشر الإشاعات وأذية من لا يتوافق معه، لقد كان أكثر ما يقلقها هو الفترة التي ستلي زواجها وكيف سينتقم منها وهو أقدم منها في محل عملها وأشد سطوة، هو لن ينسى أنها رفضته من قبل، وفي تلك إهانة له، وهي الآن تحت رحمته، ذهبت فقال لها بصورة رسمية مصطنعة:

- مبارك لكِ الزواج، نعلم أنه مر شهر، لكننا انشغلنا كلنا ونسينا أن نبارك لك، رغم أنك لم تدعي أحدًا".

قالت: الله يبارك فيك.

تجاهلت الجزء الأخير؛ فهي قد قامت فعلًا بدعوة بعض زملائها من البنك لكنها تجاهلته قطعًا، قال بصوت عالٍ لا تدري ما الداعي لعلوه: سندعوا لك الآن أنا والزملاء.

ثم أخذ يدعو: اللهم يسر لها أحولها، اللهم بارك لها زواجها وارزقها الذرية الصالحة.

والكل يؤمن من خلفه وهي تشاهدهم محاولة اصطناع ابتسامة على وجهها حتى لا يتهمها البعض برفض دعواته المباركة، ثم قال لها بصوت منخفض قليلًا بنغمة ممزوجة حتى النخاع بالسماجة:

- هل هناك أي أخبار عن الذرية الصالحة؟ ها ها، أين زوجك حتى ندعوه أن يزيد من همته أكثر من ذلك؟

قالت: بالتأكيد سأبلغه وسأبلغك أول شخص حينما يرزقني الله بالذرية الصالحة حتى تطمئن.

قال مسرعًا قبل أن تستدير وتغادر: لكن ألن تدعي زوجك هنا لنلتقيه ونتسامر معه.

ردت: هو لا يمتلك الكثير من الوقت ليأتي هنا.

سألها: في أي مجال يعمل؟ ق

قالت باقتضاب: أعمال حرة.

لم ترد أن تسترسل في الحديث حتى لا يعرف عنها شيئًا، ثم بدأت تسير متجهة لمكتبها، فقال بصوت عالٍ: على العموم، سأدعو لك دومًا بالسعادة والصلاح والهداية وأن يهديك الله للطريق الصحيح ويغفر لك ذنوبك ويزقك الحشمة والوقار.

التفتت له ونظرت نظرة نارية، هي تعلم أن النية من هذا الدعاء غير سوية خصوصًا وهو ينظر إلى ملابسها التي لا تعجبه كالعادة، لبست يومها بنطالًا من الجينس أزرق عليه بلوزة بيضاء، وشعرها ينسدل على كتفيها، وعلى رأسها نظارة شمسية مرفوعة إلى منتصف رأسها بعد أن خلعتها عن عينيها عندما ولجت إلى البنك، نظرت له قليلًا وكان في نيتها أن ترد عليه بحدة لتقول من داخلها: أنا أعرف طريقي إلى الله ولا أحتاج نصائحك الذهبية.

لكنها فضلت أن تصمت وأكملت طريقها إلى المكتب بينما سمعته يقول لزملائه: لا ننسى اليوم الدرس الذي سألقيه عن فضل الحجاب للمرأة المسلمة.

كانت تفكر فعلًا في الاستدارة والعودة إليه لصفعه لكنها أكملت طريقها ودخلت إلى مكتبها وأغلقته بابه بقوة.

****

نزلت من التاكسي بعد أن عادت إلى منزلها بعد يوم مجهد من العمل الطويل بدأ بحديث عكر مزاجها بدأه أستاذ خالد لتكمل باقي يومها بتأفف، حاولت مكالمة نائل، لكنه لم يرد فخمنت أنه مشغول في المكتب، لكنها عندما وصلت رأت سيارته فاندهشت؛ لأنها تعلم أنه يحادثها دومًا أو يرسل لها رسالة وهو في الطريق إلى البيت إذا قرر أن يعود مبكرًا، وجدت البواب عند باب العمارة يلقي عليها التحية ليقول لها

- أستاذ نائل وصل مبكرًا ويبدو أنه كان مجهدًا ومرهقًا، إذا أردتم شيئًا كلميني على المحمول سآتي فورًا لكم، سلامات.

قالت وقد بدأ القلق يتسرب إليها: كيف كان نائل؟ تقول مجهدًا؟

قال: لاأدري، كان يبدو وجهه شاحبًا ومخطوفًا والرعشة تسري في جسده، ربما مصاب بدور برد أو شيء من هذا القبيل.

استقلت المصعد ودخلت من الباب، دخلت إلى المطبخ أول شيء فلم تجده؛ فدخلت مسرعة إلى غرفة النوم لتجده ملقيًا على السرير، لكنه لم يكن نائمًا كما كانت تظن، وجدته ينتفض في السرير والعرق يغمره، ويداه ترتعشان وهو يمدهما لها وقال بصوت مبحوح: أنا، أنا، لست بخير.

ألقت شنطتها وجرت إليه وهي تصرخ: ماذا حدث؟ ماذا بك؟

قال بصوت مرتعش: اطلبي... اطلبي... دكتور... دكتور هاني.

وأشار إلى تليفونه المحمول فجرت على الفور إليه لتبحث عن رقم دكتور هاني هذا، وبينما تبحث وجدت رقمًا يتصل (سامح سليم)، تتذكر هذا الاسم فهو يعمل عند نائل في المكتب، ردت عليه من ارتباكها فسمعته يقول: أستاذ نائل كيف حالك الآن؟

ردت: أنا زوجته شذى.

قال بقلق: وأين أستاذ نائل؟ هل هو بخير؟ لقد غادر اليوم مبكرًا، لم يبدُ على ما يرام، وكانت الرعشة تتملكه كأنه مصاب بدور حمى.

وضعت يدها على جبهته لتجد فعلًا الحرارة مرتفعة فقالت: يبدو كذلك سأطلب الطبيب.

رد عليها في التلفون: حسنًا، لن أعطلك حتى تطمئني عليه وبلغي سلامي لأستاذ نائل.

أغلقت معه وعادت لتبحث عن رقم دكتور هاني ووجدته فاتصلت ليرد عليها: ألو، من معي؟

قالت مسرعة: أنا زوجة الأستاذ نائل الحديدي، هو مريض لديك، وهو ليس بخير، ونحتاجك بأقصى سرعة.

فسألها عن حالته فأخبرته بحالة زوجها، فسألها الطبيب بعض الأسئلة وردت حسبما ترى أمامها، وحاولت أن تسأل نائل لكن إجاباته وصوته كانا متقطعين، في النهاية طلب منها الطبيب أن تطلب الإسعاف وتأتي به إلى المستشفى، وأعطاها العنوان، طلبت الإسعاف وظلت جالسة بجواره لا تدري ماذا تفعل، لم تتعرض لموقف كهذا من قبل، كم جلست بجوار والدها الحبيب كثيرًا أيام مرضه بالمرض اللعين، وكانت تتردد به على المستشفى كثيرًا في أواخر أيام حياته، لكنها لم

تتوقع أن يحدث هذا مع زوجها يومًا ما، وخصوصًا بعد زواجهما بفترة قصيرة، كما أن ما يحدث له لم تره من قبل في حياتها، فهذا ليس بدور برد أو إنفلونزا؛ فالموضوع أكبر من هذا، هو أقرب إلى الصرع على ما يبدو.

وصلت الإسعاف بعد نصف ساعة وقامت بالاتصال بالبواب ليأتي ويساعد رجال الإسعاف ليقوموا بحمله على نقالة إلى عربة الإسعاف، لاحظت وجود بعض الجيران المتطفلين يشاهدون من نوافذهم فتجنبتهم، صعدت لأخذ مفاتيح السيارة من جيب البنطلون الخاص بزوجها ثم نزلت لتستقل السيارة وتسير وراء سيارة الإسعاف، اتصلت بأمها وهي في الطريق لتخبرها بما حدث وأعطتها العنوان كي تلحق بها هناك، وصلت الإسعاف وأوقفت سيارتها على الرصيف المقابل حيث وصلوا إلى العنوان الموصوف من قبل، وجدت عنوان المستشفى (مستشفى الأمل للصحة النفسية)، ازدادت حيرتها أكثر وقد بدأت بعض الخيوط تتجمع أمامها، يبدو أن دكتور هاني هذا هو طبيب أمراض نفسية، ويبدو أن هذا له علاقة بما عرفته واستنبطته هي من ملاحظاتها ومن حديثها مع صديقتها رانيا، لكن ما دخل هذا بما يحدث الآن، يبدو أن هناك ما لا تعرفه عن زوجها، وهناك جانب آخر، لكنها لا تعرف كيف تصل إليه، يبدو أنه حان الوقت لكي تعرف، دخلت مع رجال الإسعاف وزوجها على نفس الحال لم تتغير رعشته أو تخشب جسده، دخلوا إلى قسم العناية المركزة حسب تعليمات الطبيب، طلب منها النائب المقيم أن تغادر العناية وتتجه إلى الاستراحة وسيقومون بالنداء عليها حينما يحضر دكتور هاني، وصلت أمها واحتضنتها وحكت لها كل ما حدث لتنتقل الحيرة إلى الأم أيضًا والتي ظنت في البداية أن الأمر هو دور حمى سينتهي بعد يومين.

مرت ساعتان ثم جاءت الممرضة لتنادي عليها وتطلب منها أن تأتي إلى مكتب الطبيب، دخلت هي وأمها وسألتها الممرضة عن السيدة التي ستدخل معها؛ فردت شذى أنها أمها وتريدها معها في الداخل عند الطبيب، دخل الاثنان ليجدا الطبيب في أواخر الخمسين تقريبًا، يلبس البالطو الأبيض مع نظارة سميكة وصلعة من المنتصف وشعر خفيف على الجانبين وجسد قليل، رحب بهما وأجلسهما، قال: نائل هو ابني وأنا سعيد أن أقابل زوجته وحماته، أهلًا بكما في مكتبي المتواضع.

ردت شذى بحدة لم تكن تقصدها، لكنها لم تتملك نفسها من فرض القلق والحيرة، لم يكن لديها الوقت الكافي لتبادل بعض الأحاديث الاجتماعية، سألته مباشرة: دكتور، ما خطب نائل؟ أنا أول مرة أراه بهذا الشكل.

صمت الدكتور لهنيهة، حاول أن يجمع كلامه ليلقيه بالطريقة السليمة، ثم قال: أنتِ زوجته ولا بد أن تعرفي كل شيء فهذا حقك، نائل مريضي منذ وقت طويل لمدة عشر سنين أو أكثر، هو مصاب بمرض الوسواس القهري مصاحب باكتئاب وبعض أعراض الذهان، حالته معقدة قليلًا، ويستلزم الأمر منه الالتزام بالدواء وتلك للأسف مشكلة مع نائل أنه لا يلتزم أحيانًا بالجرعات المحددة.

ظلت شذى وأمها صامتتين لا تنطقان، شذى تعرف وكذلك أمها لكن دون اعتراف صريح من نائل، ودون أن يتطرق إلى ذهن أحد أنه يتابع مع طبيب كل هذه السنين، الأمر إذن ليس مجرد وسوسة وحب نظافة زائد، سألته شذى:

- وما معنى هذا الذهان؟

رد عليها: هو نوع من الاضطراب في الأفكار تجعله غير قادر على الحكم على الأشياء بصورة سليمة في بعض الأحيان.

شعرت أن الطبيب نفسه منزعج من المعلومات التي يلقيها عليهم، هو فعلًا كان يشعر بهذا، أولًا هو لا يريد أن يفشي كل أسرار مريضه إلا في وجوده لكنه فعل ذلك؛ لأن المريض كان في غير وعيه وبالتالي فلا بد من الحديث مع أقرب الناس إليه، زوجته، أيضًا هو يشعر بالانزعاج؛ لأنه يعلم من قبل أن نائل قد مر بتجارب سابقة ومحاولات للزواج انتهت غالبيتها بسبب حالته تلك، هو يعلم ومتأكد أنه لم يحكِ شيئًا لزوجته شذى، لكنه في موقف يدفعه ليتحدث ويحكي، هو يعرف نائل جيدًا، شاب وسيم من مستوى مادي مرموق يمتلئ بحيوية الشباب والشعور بالكرامة والاعتداد بالنفس وحالة من رفض الاعتراف بالمرض خصوصًا المرض النفسي باعتبار أنه إهانة وعار، حاول من قبل نصح نائل بالتخلي عن فكرة الزواج لكنه صمم وقال له إنه على ما يرام، وإنه يثق في علاجه ووعده بالالتزام به.

كانت شذى كالمخمورة التي سكرت حتى الثمالة مما سمعت، زوجها الذي تزوجته حديثًا لتكتشف عنه أمور لم تكن في الحسبان، صحيح أن المرض قضاء وقدر، لم تكتشف مثلًا أنه مدمن للمخدرات، لكن الموضوع كان صدمة كبرى بالنسبة لها ولأمها أيضًا، سألته: حسنًا، وماذا جرى له، لماذا كان يرتعش هكذا؟ ما زلت لا أفهم علاقة كلامك بحالته التي كان عليها اليوم؟.

قال لها بهدوء: نائل غير ملتزم بالعلاج، أحيانًا ما ينسى أن يأخذ الأقراص لأيام طوية، ثم يعود ليأخذها بصورة مركزة للتعويض، أخبرته من قبل أن هذا غير ممكن لكنه لا يستمع لأحد.

قام من مكانه وهما يتابعانه بعينيهما وهو يدور حول المكتب:

- هو مصاب حاليًا بمتلازمة سيروتونين، يصاب بها من يتعاطى أدوية الاكتئاب بصورة مبالغ فيها فتتراكم في الجسم لتأثر في الأعصاب بهذه الصورة التي رأيتها عليه، هو

أصيب بها مرة من قبل لذلك استطعت تعرف السبب بسهولة هذه المرة، أخذ الأمر مني سابقًا وقتًا أطول لأنه أمر قد يبدو محيرًا لبعض الأطباء، لكن بعد اعترافه لي أنه يتناول الأدوية بصوة اعتباطية فهمت السروراء ذلك هذه المرة.

قالت الأم: وما الحل يا دكتور؟ هل سيتعافى؟

رد عليها مطمئنًا: لا تقلقي هو يبدو بخير، بعض المحاليل وخوافض الحرارة وسيكون بخير في الصباح الباكر بعد تصريف كميات الدواء التي بجسده مع مرور الوقت.

ثم توقف عند الباب واستأذنهم مسرعًا؛ لأنه يريد أن يمر على المرضى، هو في الواقع أراد أن يرحل عن المشهد مسرعًا؛ لأنه يعلم شعور شذى وأمها الآن، وهو لا يريد أن ينغمس في هذا الموقف المربك.

****

استقلت السيارة مع أمها وقبل أن تتحرك فكرت أن تنظر في صندوق التابلوه علها تجد بعضًا من الأدوية التي كان يخبئها عنها طيلة الوقت، وجدت ثلاث علب عليها أسماء باللغة الإنجليزية (فينلافاكسين، ريسبيردال، دوكسيبين) كان قد خبأها جميعًا بعناية داخل كيس أسود، ووجدت علبتين فارغتين، والثالثة بها قليل من الأقراص المتبقية، يبدو أنه قد التهم الأقراص فعلًا حسب تخمين الطبيب، وضعتهم مكانهم مرة أخرى، قررت أن تذهب لتبيت عند أمها حتى تعود في اليوم التالي لزوجها في المستشفى.

لم تكن شذى على ما يرام فما تعرضت له وما عرفته غير من حياتها كليًا، لم تكن تعرف أن الأمر سينتهي بها هكذا، زوجها مريض نفسي، كان من المفروض أن تنتظر وتتريث وأن تراقبه أكثر وأن تتركه من قبل الزواج بعد أن لاحظت عليها تلك العلامات المريبة، استمعت لكلام الناس المعسول أنه على ما يرام وأنه لا داعي للقلق، تمنت لو لم تستمع لكلام صديقاتها ندى ورانيا ولكلام أمها، شعرت بالحنق الشديد، هي تعلم أن أمها ليست في حال أفضل وأن قلبها منفطر على ابنتها مما يحدث، جلست أمها بجوارها على الأريكة واحتضنتها وظلت تربت عليها، التفتت لها شذى وقالت باكية: لم يكن من المفترض أن أتزوجه، لقد قلت لكم من البداية أنه ليس بالشخص الرزين، ليتني لم أستمع لأحد، ليتني استمعت لقلبي ورفضته وظللت آنسة بلا زواج.

انفطر قلب أمها لكلامها أكثر؛ وأكثر فردت عليها بصوت دامع أيضًا: حبيبتي، كنت أريد أن أفرح بك، لم أكن أعلم أيضًا والله، لم أكن أعلم أن كل هذا سيحدث، كنت أشجعك من باب حبي لك وأن أراكِ عروسة في بيتك، وأري أبناءك يجرون حولك لأطمئن عليكِ.

صرخت شذى: أنا لم أكن أحتاج لحبك، كنت أحتاج لحمايتك، كنت أريد من يحميني لا من يحبني.

دعمت عيون الأم أكثر وأكثر وبدأ نفسها يضيق من الحزن والانفعال، شعرت شذى بما بدر منها فتمالكت أعصابها قليلًا ثم احتضنت أمها ومسحت دموعها وقالت لها بصوت منخفض: أمي سامحيني يا حبيبتي، أنا فقط انفعلت عليكِ، أنا راضية بنصيبي، كل شيء سيكون على ما يرام، أنا... أنا أحبه، وسأقف بجانبه، هو زوجي في النهاية، لكن هدئي من روعك، أنا أحتاجك في حياتي، سامحيني لو انفعلت عليكِ.

هدأت الأم قليلاً، خصوصًا عندما سمعتها تقول إنها تحبه وإنها ستقف بجواره حتى النهاية، بعدها لم يكن لدى أحد الرغبة في الكلام فدخلت شذى لتنام في غرفتها القديمة من قبل الزواج واطمأنت على أمها، هي تعرف أنها امرأة كبيرة ولا تريد أن تثقل عليها بالكلام، حتى إنها عادت لتطمئن عليها وهي في السرير أكثر من مرة لتتأكد أنها بخير، هي لا تريدها في حالة نفسية سيئة حتى لا تصاب بأزمة قلبية أو شيء من هذا القبيل، لم يعد لها سند في الدنيا إلا هي.

عادت في النهاية إلى غرفتها لتنام، ما زالت صورة والدها في مكانها، جلست إلى جوار الصورة ربع ساعة تنظر إليها وتحدثه عبرها، تشكو إليه ضعفها وخوفها، صرحت له أنها تتمنى لو كان حيًا، حينها لم تكن لتتزوج أحدًا لتكون في هذا الموقف العصيب، كانا سيلعبان معًا نفس اللعبة، هي ترفض العرسان وهو يوافق على رفضها والأم تعترض وتتذمر وهكذا، ألم يكن هذا أفضل مما هي فيه؟ من كل هذه الحيرة والعذاب؟ بدلًا من أن تتردد على المستشفيات النفسية لزيارة الرجل الملقى هناك الذي هو زوجها، ظلت تحدث أباها وتتلقى ردوده من خيالها، هي تعلم أن

حبها لأبيها كان مرضيًا لدرجة أثرت في علاقتها بالجنس الآخر باعتبار أن أي رجل يريد خطفها من قصة الحب الأسطورية التي عاشتها مع أبيها، قصة انتهت من طرف واحد، برحيل أبيها، لكنه لم يتركها ويرحل إلى بلد أخرى بل إلى السماء بجواررربه، في الجنة بإذن الله، فهذا ما يستحقه كما تقول هي بداخلها بعد كل الحب والحنان والرعاية التي قدمها لها.

تذكرت ندى صديقة عمرها، لم تتصل بها لتخبرها بآخر التطورات، ولم تتصل برانيا أيضًا؛ فهي تحتاج منها الكثير من المعلومات والنصائح.

فكرت في ندى مرة أخرى، إذن فقد انقلب الحال فعلًا، قديمًا كانت ندى تحسدها على أبيها الذي كان يعاملها كملكة زمانها بينما كانت ندى تعاني الأمرين من أبيها الذي كان يعاملها معاملة عسكرية كأنها مجند في كتيبة، أو مسجون وهو الحارس المسئول عن تأديبها، فهي مخطئة حتى وإن كانت صائبة.

الآن فقد انقلبت الآية وصارت ندى سعيدة في بيتها مع زوجها منذ سنة وقد يرزقهما الله بطفل لتكتمل سعادتهما أكثر، بينما شذى تبدأ بداية غير مبشرة في حياتها الزوجية، تحتاج أن تتحدث إلى زوجها نائل كثيرًا لتفهم منه وتستمع إليه، هذا حقها على الأقل

****

وصلت في اليوم التالي لتعرف من الممرضة أن زوجها قد خرج من الرعاية وهو حاليًّا في غرفة عادية وينتظر مرور دكتور هاني ليأمر بخروجه، دخلت عليه كان مستلقيًا على السرير، لم يكن نائمًا وكان قد بدا عليه التعافي، اعتدل وجلس وقال "تعالي يا حبيبتي". وأشار لها بالجلوس بجواره على السرير، رغم كل ما مر به إلا أنه كان ما زال متأنقًا، حافظ على شعره مصفوفًا، وسامته لا تنطفئ، كانت قد بدأت تشعر حينما وقعت عيناها عليه حينما دخلت عليه الغرفة أنها تتحدث لشخص آخر بعد ما سمعت من الطبيب عن التاريخ المرضي الطويل له والاكتئاب والذهان وخلافه، لم تستطع رفض طلب زوجها وذهبت للجلوس بجواره، هو شعر بأنها ليست على ما يرام كالعادة وفهم، فهم أنها سمعت من الطبيب وأنها اكتشفت ما أراد إخفائه عنها منذ البداية.

احتضنها علَّ ذلك يخفف قليلًا، مرر يده بنعومة على شعرها وقبلها على وجنتها ونظر لها مبتسمًا محاولًا أن يجعل ابتسامته ساحرة قدر المستطاع، قال لها "أنا أشكرك أنك وقفتِ بجواري، لن أنسي لك هذا الموقف، أنا أثق دومًا في دكتور هاني". ثم قام ليدخل الحمام وقامت هي لتنظر من البلكونة على الحديقة الهادئة وأصوات العصافير، المكان ككل المستشفيات النفسية يتم تصميمه بمعايير تحفظ هدوءه وتناسقه لراحة المرضي نفسيًا كي يساعدهم ذلك على الشفاء، عاد بعد أن غسل شعره وبينما كان يجففه بالمنشفة سألها "هل تحدثتِ إلى دكتور هاني بالأمس؟". قالت "نعم". ولم تعقب، نظر للناحية الأخرى محاولًا إخفاء قلقه وفضوله كذلك مما قيل عنه، قال لها إنه سيخرج اليوم، وأن دكتور هاني ينتظرهم بعد ساعة في مكتبة، دخل الحمام ليستحم ويقوم بتغيير ملابسه،

أما هي فظلت جالسة في البلكونة، هي تعلم أنه يقضي وقتًا طويلًا ليستحم كالعادة ليتأكد من أن الماء قد تخلل كل أجزاء جسده، هذا بخلاف أن المدة تتضاعف إذا كان هذا الاستحمام في مكان غير منزله فهو يقوم بعملية استكشاف وتحليل لأجزاء الحمام وأدوات الاستحمام والصابون ونظافته ونظافة الأرضية والحوائط، هي تعلم ذلك جيدًا؛ فعندما ذهبا لقضاء شهر العسل مرت بذلك كله في الفندق الذي أقاما به، كانت تظن أن الأمر سيقف عند هذا لكن القدر كان يخبئ ما هو أكثر.

خرج بعدها بعد ما هندم نفسه وسارا معًا إلى مكتب الدكتور هاني الذي كان ينتظرهما، جلسا فبدأ الدكتور بالكلام ووجه كلامه لنائل: حمد لله على سلامتك يا نائل يا ابني، حافظ على صحتك فأنت من رائحة الوالد والوالدة رحمهما الله، وأنتم ناس مقامكم عالٍ عندي وأقدركم.

ثم التفت إلى شذى قائلًا: نائل يا ابنتي شخص محترم وابن ناس ولم أرَ منه أي سوء، هو فقط يحتاج إلى العلاج والمتابعة والالتزام، ولقد أخبرتها بكل شيء يا نائل.

التفت إليه نائل فأسرع الطبيب قائلًا: أنت الآن متزوج يا ابني وزوجتك لا بد أن تعرف حالتك وهذا أمان لك ولها، لا يمكن أن أخفي عنها شيئًا، صدقني هذا أفضل لك أكثر منها، هي تبدو عليها الطيبة والأصل وستقف بجوارك.

نظر لها وهو يقول الجملة الأخيرة كأنه يذكرها بأن على الزوجة أن تقف بجوار زوجها في السراء والضراء، في الواقع هي لم ترى منه أي سراء بعد وذلك بعد مرور شهر أو أكثر على زواجهما، فلا تدري ماذا تقول حقًّا، قال الطبيب إنه يريد أن

يعرض عليها قائمة الأدوية التي من المفترض أن ينتظم عليها حسب الجرعات المحددة فردت وهي تنظر بعيدًا عن زوجها: أنا أعلم الأدوية التي يأخذها، رأيتها في السيارة.

بدا نائل وكأنه سيعاتبها بقوة على فتح محتوياته الشخصية في سيارته فبادر الطبيب لإنقاذ الموقف قائلًا: أنا طلبت منها فعلًا يا نائل البحث في سيارتك عن علب الأدوية حتى أعرف ما تتعاطاه الآن، لاحظ أني لا أراك بانتظام، وأنت لا تطلعني على ما تبتاعه ووتناوله من الأدوية، كان لا بد من ذلك مع حالة الطوارئ التي كنا فيها.

أنهيا كلامهما وغادرا بعد أن سلما على الطبيب، ووصلا إلى البيت وقت المغرب تقريبًا، بعد أن وصلا طلبت منه شذى أن يخرجا إلى مكان ما أو أن يتحدثا في السيارة قال لها: يمكننا الحديث في البيت إذا أردت.

قالت: أفضّل أن نكون في السيارة أو مكان هادئ.

وافقها ونزلا إلى السيارة، قاد السيارة قليلًا مع تشغيل بعض من الأغاني الرومانسية الخفيفة، لم يتبادلا الحديث حتى توقف على جانب الطريق على الكورنيش وظل صامتًا قليلًا ثم قال: قلتِ إننا سنتحدث.

فقالت: دكتور هاني قال إنه يعرفك كمريض له منذ عشر سنين وأنك تواظب على العلاج معه.

نظر لها بنظرة باردة وقال: حبيبتي، نحن الآن في القرن الحادي والعشرين، ليس من العيب أن أتردد على طبيب نفسي، كلنا نمرّ بظروف صعبة وطبيعة عملي مرهقة والنجاح له ثمن وأنا ناجح واستطعت أن أطور شركتي ووحدي بعد وفاة والدي ووالدتي.

ثم نظر إليها قائلًا: والمفترض من الزوجة أن تقف بجوار زوجها أليس كذلك يا زوجتي العزيزة؟

نظرت له نظرة طويلة ثم قالت: أنا لا أمانع أن أقف بجوار زوجي، لكن أن تتابع مع طبيبك النفسي لمدة عشر سنين، أليس من حقي أن أعرف هذا منذ أن تقدمت لي؟ فقط أن أعرف لا أكثر". قال "وهل كان هذا ليأثر في قرارك؟ كلنا مليئون بالعيوب، أي شخص قد يصاب بأي مرض في أي لحظة ليجد نفسه عند الطبيب، هل هكذا سيحكم الناس على بعضهم بعضًا؟ أم أنك تحكمين على من معاملتي لك؟

صمتت ولم تدرِ كيف ترد عليه، هو يحاول أن يدير الحديث لصالحه وهي لا تجد ما ترد به عليه، طبعًا هو الآن في موقف أقوى؛ لأنهم يتحدثان بعد الزواج ولو كان كل ذلك قد ظهر قبل الزواج لكانت في الغالب لترفضه، الرجل يلعب على نقطة قوة بعد الزواج وهو أن الزواج صار أمرًا واقعًا، كأنما يخرج لسانه لها ليقول "القانون لا يحمي المغفلين يا عزيزتي".

لكنه في نفس الوقت يحاول إدارة الحوار بحكمة بدون أن يستفزها أو أن يشعرها بحماقتها، بل أن يشعرها بأنها قد قصرت في حقه، بمعاتبته وهو في أضعف حالاته، وهل هناك ما هو أضعف من الإنسان حين يمرض ويحتاج إلى يد المساعدة من أقرب الناس إليه؟

استكمل حديثه قائلًا: أنا أعلم أن الناس يقولون عني إني موسوس ومريض بالوسوسة وأنا غير مقتنع بذلك، هل النظام الزائد مرض؟ هل النظافة مرض؟ أنا لي وجهة نظر مختلفة ولا يعنيني كلام أحد.

ردت قائلة: والمواعيد التي نتأخر عليها دائمًا.

قال: حبيبتي نحن أناس مهمون، لا بد أن نتأخر لأننا محبوبون والكل سيسامحنا، أليس كذلك؟

قالها وهو يضحك فابتسمت هي الأخرى، لا تدري هل بابتسامتها تلك قد تم حل الموقف وقبلت بالأمر الواقع؟ لا تدري لكنها تقر بأنه استطاع إدارة الحوار لصالحه بمهارة.

****

كان من حسن حظها أن حدث كل ذلك يومي الجمعة والسبت فلم يكن هناك عمل كي تعتذر عنه، عادت الحياة إلى طبيعتها وحاولت هي أن تستمر الأمور هكذا، اتصلت بأمها أكثر من مرة وطمأنتها بأنه على ما يرام الآن، وأنها ستحاول أن تتعامل مع الوضع الحالي وستحاول أن تسأل صديقتها رانيا التي تعمل كأخصائية نفسية؛ فهي تعرف أبعاد مثل تلك الأمراض والحالات.

جاء اليوم التالي وعادت لعملها وحاولت أن تتحدث معه بعد أن اتصلت به على مكتبه وهي بالبنك في أي شيء لتحاول أن تحصل على راحة قليلًا من كل ما مروا به مؤخرًا، مر يوم العمل بالبنك كالعادة، واستقلت التاكسي لتصل البيت قبيل المغرب كالعادة.

لاحظت وجود سيارة جديدة بجوار سيارة زوجها فهي تحفظ السيارات المرصوصة يوميًا بالشارع، وصلت إلى شقتها وفتحت الباب لتجد زوجها، جالسًا على الكرسي يرتعش ويداه في السماء ويبدو على وجهه الذعر فجرت عليه وصرخت "ما بك؟". لم يستطع الرد وظل ينظر إليها وعيناه مفتوحتان لا يقدر على النطق، ثم ضحك، ضحك بصوت عالٍ، قام واحتضنها قائلًا "لا تخافي أنا بخير ها ها ها".

التقطت أنفاسها وشعرت بالغضب قليلًا ثم هدأت، إذن فهو يمزح، يا له من مزاح سخيف، سار إلى المطبخ ليلتقط سلسلة مفاتيح وصفّر بفمه لتنظر إليه فألقى إليها سلسلة المفاتيح في الهواء لتلتقطها بيدها وقال "ها أعجبتك السيارة الجديدة؟" لم تصدق نفسها "هل السيارة الجديدة بالأسفل لي؟". قالتها بمزيج من الدهشة والفرحة، قال "نعم، بالطبع ليست للبواب". ثم اقترب منها واحتضنها

"حاولت أن أختبرك الآن وأنا أرتعش لأرى كيف تخافين عليَّ، وقد نجحت في الاختبار، وهذه مكافأتك حبيبتي" قالت "لقد كدت أجن عليك، حرام عليك".

لم ترد أن تذكر نفسها بأنه يتبع هذا التكتيك دومًا، عندما يحدث أمر ما ليس على ما يرام يقوم بإصلاحه بإحضار هدية تليق بهذا الحدث ليمحوه من ذهنها ويعدّ لتمهيد الطريق بينهما، كان أثناء الخطبة إذا حدث موقف محرج مثل أن يتأخر ليتسبب في إحراج لا داعي له أمام أهلها أو أصدقائها نتيجة تأخره في مواعيده فيقوم في اليوم التالي بإحضار هدية لها، صحيح أنه ذكر لها من قبل أنه يريد إحضار سيارة لها لتكون له سيارته الخاصة به وتحتفظ أمها بسيارتها القديمة، على الأقل لن تملك الآن الحق لتفحص سيارته أو تفتيشها لتعرف نوعية الأدوية التي يتعاطاها، لكن إسراعه في هذه اللحظة بالذات لشراء السيارة له مغزى معلوم.

قبلت الهدية بكل سعادة ولم تكن لتتخيل أن تمتلك سيارة جديدة لها وحدها في يوم من الأيام، ركب بجوارها وقال لها إنها ستقود السيارة إلى أي مكان في القاهرة ليتناولا العشاء معًا، اتصلت بأمها لتخبرها ففرحت لها فرحًا شديدًا، خبر آخر يهدئ من روع الأم ويشعرها أنها تعيش بسعادة مع زوج يحبها، حتى وإن كان هذا الزوج يعاني من مرض، المهم أن يعيشوا سعداء ولا يهم أن تكون هناك بعض المشاكل أو أن يكون هناك بعض من المرض؛ فالطب صنع لعلاج الناس فلا حرج في ذلك.

****

اتصلت شذى بصديقتها ندى لتخبرها أنها تريد أن تراها بعد العمل؛ فهي تريد أن تريها مفاجأة فوافقت ندى فهي أيضًا تريد أن تخبرها بخبر مفرح أيضًا.

وقفت ندى عند المول لتجد شذى في سيارتها الجديدة تلبس النظارة الشمسية لتعدل من البلوزة بعد أن ترجلت من السيارة وصارت تسير بثقة نحو صديقتها التي كانت تشاهدها بانبهار، وجدتها تغيرت، صحيح أن شذى جميلة لكنها ازدادت تألقًا ونضارة، طبعت بطبع زوجها والذي لا يقل تألقًا عنها، قبّلتا بعضهما بعضًا، قالت لها ندى: لقد تغيرتي كثيرًا عزيزتي، لا يجرؤ أحد على الحديث إليكِ بعد الآن.

ردت عليها شذى: لا تقولي هذا، أنت توأم روحي، لن يغير شيئًا بيننا.

جلستا في المطعم بالطابق الأرضي كالمعتاد، تحدثت لها شذى عن كل ما حدث ودخول زوجها المستشفى، لم تملك شذى شيئًا لتقوله، هي صديقة عمرها وتتمنى لها الخير ولا تدري ما الخطأ وما الصواب ليقال في أمر كهذا، الزاوج قد تم وما دام زوجها يعاملها باحترام ولا يبخل عليها بشيء إذن فهو أمر داخلي بينهما، ولا داعي لاسفزازها ضده وإشعال النار بينهما، سألتها شذى عن الخبر السعيد الذي تحملها هي أيضًا فقالت ندى وهي تضحك: نسيت والله أن أقول لك، أنا حامل.

ابتسمت شذى فرحًا وهنأتها وقبلتها وباركت لها: أخيرًا، بعد انتظار عام.

ردت ندى: الحمد لله، لكن هي مسئولية أيضًا.

تعجبت شذى من داخلها، يبدو أن قسمة الأرزاق تظل مستمرة بانتظام بينهما، الآن ترزق هي بطفل بعد أن رزقت هي بسيارة من زوجها نائل، حاولتا تجنب

الحديث عن ما حدث من دخول نائل المستشفى وتكرار الحديث عن هذا الأمر، وتحدثتا عن حمل ندى وماذا تريد وتحلم وهل تريد ولدًا أم بنتًا وأين تريد أن تلد.

بعد أن أنهت حديثها مع صديقتها، عادت شذى إلى البيت ولم يكن نائل قد عاد بعد، هاتفت رانيا تتحدث معها قليلًا، حكت لها عن كل ما قد حدث، حاولت أن تأتي لزيارة رانيا للحديث معها لكن رانيا كانت مقيمة في تلك الأيام عند خالتها ولم تكن الظروف تسمح لشذى لتأتي، حاولت أن تسألها شذى إن كان لديها أي معلومات، إن كانت الأمراض النفسية تنتقل من الآباء إلى الأبناء فردت رانيا بصراحة أن ذلك ممكن لكن ليس ضروريًا وأن وراثة أمراض كتلك مثلها مثل أمراض الضغط والسكر وتعتمد على عوامل أخرى كجو البيت وطريقة التربية، كان مفهومًا بالطبع أن شذى تريد أن تطمئن على نسلها إذا أنجبت منه، مجرد تساؤلات، هي تريد أن تتعامل مع الأمر الواقع، هي إلى الآن تعتبره أمرًا واقعًا عشمًا وأملًا أن تنصلح الأمور لتصل إلى أن يستمرا مع بعضهما لتنجب منه أطفالًا، هي تأمل ذلك، لكنها لن تهين نفسها حتى وإن كان يلقب (مريضًا)، مرضه لن يكون عذرًا لتعاستها.

****

مرت الأيام وجاء يوم الجمعة، أحيانًا ما يذهب نائل للعمل في المكتب، وأحيانًا تذهب هي لزيارة أمها خلال نهار الجمعة، لكنها بقيت هي وهو في المنزل، سمعت أذان الجمعة فسألته ألا تريد أن تنزل لتصلي؟

نظر لها بسرعة ثم قال: لا، شكرًا.

لاحظت منذ الزواج أنه لم يصلِ ولا مرة، لم يقل "يا رب" حتى، جلست ساعة ثم سألته: نائل، أنت لا تصلي مطلقًا؟

قال: لا، وهل أنت تصلين.

قالت: نعم، أنت تراني أصلي أحيانًا، ليس دومًا لكني أصلي وأنتظم في الصلاة في رمضان، أفعل ما أقدر عليه.

قال: حسنًا وهل تشعرين بالفرق قبل وبعد الصلاة؟ هل هناك فائدة ما تعود عليك؟.

قالت: بالطبع، أنا أصلي لله، حتى يبارك لنا ونشكره على نعمه.

قال: من الممكن أن نشكره بلا صلاة، كل إنسان يشكره بطريقته الخاصة، وأنا سعيد بطريقتي.

توقفت عن الحديث، هي تعلم منذ أيام الخطبة أنه باستمرار يجادلها ويعيد الجدال بدون نقطة نهاية في تلك المواضيع، هي لا تريد زوجها شيخًا ولا تحب ذلك، لكنها تحب أن ترى منه أي علامة تدل على أنه يمارس بعضًا من دينه أو أنه حتى مؤمن بالله، هي قد علمت عنه ذلك من قبل الزواج لكنها توقعت أن يتغير ذلك أو ربما هو بحالات قربًا وبعدًا عن الدين، لكن ليس أن يكون متطرفًا في بعده هكذا، شعرت أنها لن تحدثه أكثر من ذلك وستحاول معه من حين لآخر لدفعه قليلًا للصلاة حتى ولو كانت صلاة الجمعة والعيد.

فكرت في حل ظريف جعلها تضحك من الداخل وهي أن تحضر له الشيخ خالد ليحدثه قليلًا عن الصلاة، بالطبع فهو حل كوميدي، سينتهي في النهاية بعراكهما وقتل أحدهما الآخر، هي تعلم أن أستاذ خالد لا يعطي نصيحة لوجه الله، وأن هناك مصيبة تتبع نصائحه، وأنه سيقلبهما ضد بعضهما بعضًا إذا دخل بينهما.

شعرت في النهاية أنها لن تصل أبدًا لما تريد، هي تريد رجلًا يحقق معادلتها التي اصطنعتها لنفسها، رجل نصف متدين أو غير متدين لكن به مسحة من الدين، لا أن يكون الدين ممسوحًا منه مطلقًا، أن يعتبر التدين نوعًا من الإيمان بالخرافات لا تجدي، كل مرة يذكرها بالأمثلة السيئة للمتدينين، وفي كل مرة توافقه بعد أن رأت هي أيضًا أمثلة وأقربها في عملها، لكنها تحب أن تشتمل الحياة على نوع من الارتباط بالله والتفكر فيه وفي خلقه، يبدو أن تلك المعادلة لن تضبط معها أبدًا.

****

بعد أن عادت من العمل أوقفت سيارتها على الرصيف أمام العمارة، سمعت جلبة ما هي إلا مشاجرة بين اثنين، صوتهما معروف لها بالطبع، عندما اقتربت تعرفتهما على الفور، زوجها والبواب، يا للمصيبة.

وجدت زوجها يجذب البواب من قميصه بينما يحاول هو أن يدافع عن نفسه بدفع زوجها من كتفه.

- لص ، حرامي.

ظل زوجها يصرخ والناس تحاول فصلهما عن بعضهما بعضًا، صرخت:

- ماذا حدث يا نائل؟

التفت إليها ووجدت على وجهه علامات غضب وثورة كأن شيطانًا قد ركبه، قال لها وهو يسمِع الناس كلهم بصوت عالٍ: هذا اللص ابن الحرامية أراد أن يسرق الأموال التي تركتها بسيارتي، غافلني ووجدته بجوارباب السيارة يحاول فتحها.

صرخ البواب بعد أن فصل الناس بينهما: عيب يا أستاذ نائل، عيب، أنا لست لصًا، أنا كنت أنظف سيارتك، أنت من نسيت زجاج سيارتك مفتوحًا، أنا كنت أؤدي عملي، حسبي الله ونعم الوكيل.

ظل نائل يصرخ وشذى تجذبه وسط شاهدة مارة حتى صعدا إلى البيت، أجلسته وجلست بجواره، وهو ما زال يصرخ ويسب البواب، لم تره بهذه العصبية من قبل، بدا كأنه لا يطيق أحدًا، لا يتحمل أي كائن بشري في مرمى نظره، قالت له محاولة تهدئته:

- أنا لا أظن أن البواب سيحاول سرقة شيء من السيارة، لم أرَ منه إلا خيرًا، أنت تشك في الناس أكثر من اللازم.

رد عليها بحدة: ماذا؟ هل أنا مجنون مثلًا؟ قلت لك وجدته يمد يده داخل السيارة ناحية صندوق التابلوه، هو يعلم أني أترك المال هناك، هو لئيم صدقيني، لا تثقي به.

لا تدري لماذا عندما سمعت عن صندوق التابلوه تذكرت أنه عادة ما يضع أدويته في هذا المكان، ربما أنه كلما حاول شخص ما الاقتراب من هذا المكان ستثور ثائرته بلا تمييز، هو لا يريد أن يعرف أحد هذا الأمر أو أن يكتشف وجود هذه الأدوية، حتى إنها توقفت عن الحديث معه عن هذا الأمر بعد خروجه من المستشفى ولا تدري هل قابل دكتور هاني مرة أخرى، وهل انتظم على أي أدوية أم لا.

طلبت منه أن يأخذها لأمها لتزورها خصوصًا أنه هو أيضًا لم يرها منذ فترة، وصلا ورحبت الأم بهما وقالت إنها ستعد لهما الغداء، لم تبدُ حالته المزاجية بصورة جيدة، ظل واجمًا ينظر إلى التلفزيون ويرد على أسئلة حماته ببطء وعدم تركيز، فجأة سأل حماته "طنط، متى حملتِ في زواجك؟ أقصد بعد كم من الوقت من بعد الزواج؟". تلعثمت الأم، ليس من أجل السؤال نفسه فقد يعتبر سؤالًا عاديًا، لكن بما أنه زوج ابنتها وقد تزوجا حديثًا فالسؤال له أبعاد أخرى، ردت "لا أذكر كان بعد شهور قليلة ربما من الزواج، عقبال عندكما نفرح بخلفتكما إن شاء الله". رد وهو واجم "إن شاء الله". لم يعجب شذى طريقة سؤاله أو رده وقررت أن تحدثه عن ذلك في طريق عودتهما، بعد قضاء بضع ساعات مع أمها عادا إلى البيت وخلدا إلى النوم، آثرت ألا تتحدث معه؛ لأنها تريد أن يمر اليوم بسلام وهي تعلم أنه لا يجيب بلطف وسهولة إذا أرادت لومه على أمر ما ليختلق الأعذار حتى يظهر الغلط منها في النهاية، هو عنيد لا يعترف على نفسه بالخطأ.

تمر الأيام ، حتى جاء صباح أحد الأيام، غادر هو المنزل مبكرًا لمكتبه، بينما تحركت هي بعده، نزلت على السلم متجهة إلى الشارع لتستقل سيارتها، ولكن قبل أن تتحرك وجدت من يشير لها بيده، هو جارها الأستاذ محمد، رجل كبير السن محترم السلوك علاقته طيبة بالكل ويرأس مجلس إدارة العمارة، نزلت من السيارة بينما هو يسير نحوها، حياها وسألها إن كان كل شيء على ما يرام ثم طلب منها أن يستضيفها في منزله لمدة عشر دقائق، وأن زوجته موجودة أيضًا، وأنه يريدها لأمر مهم، حاولت التملص منه حتى لا تتأخر عن العمل لكنه وعدها أن الأمر لن يستغرق بضع دقائق، صعدت معه إلى الدور الأول ودخلت صالة الضيوف وجاءت زوجته لترحب بها ثم دخل إلى المطبخ لتحضر لها عصيرًا لزوم الضيافة، جلس الأستاذ محمد وبدأ الحديث معها بلطف قائلًا: تعلمين يا أستاذة شذى أنكِ أنتِ وزوجك تعيشان معنا لمدة شهرين تقريبًا، هناك بعض الأمور أريدك أن تعرفيها بخصوص زوجك وسلوكاياته، الأمر يتحدث عنه الجميع بعض ملاحظة البعض لبعض الأشياء.

أنصتت له بترقب فأكمل: أستاذ نائل إنسان محترم لكن تصرفاته تثير استياء البعض واندهاشهم أحيانًا، أنت بنفسك حضرتِ مشاجرته مع البواب لاتهامه البواب بأنه كان يحاول سرقة سيارته، هذه ليست الحالة الأولى أو الأخيرة.

تنحنح قليلًا ثم أكمل: زوجك لا يمر عدة أيام حتى يتعارك مع أحد، لا أدري إن كانت أعصابه مجهدة أم يحتاج إلى تغيير جو، حدث أن تشاجر مع أحد الجيران منذ ثلاث أيام لخلافهم على مكان لركن السيارة، ورغم أن الرجل حاول أن يتناول الأمر بهدوء إلا أن زوجك ظل يصرخ وانتهى الأمر بالتشابك بالأيدي، وزوجك هو من بدأ.

صمتت شذى ولم تدرِ ما تقول، لذلك كان هناك علامات خدش على ذراعه ولاحظت أن جزءًا من قميصه مهترئ، شكت وسألته يومها لكنه تهرب ورد بعصبية بإجابة غير واضحة، أكمل الرجل بهدوء: أنا أعلم أن المشاجرات قد تحدث بين أي شخصين، لكن الموضوع مبالغ فيه وزوجك يتعارك مع أي شخص، ولأتفه الأسباب، هل تعلمين أنه صفع أحد أبناء الجيران؛ لأنه عندما مر بجواره بينما الولد واقف مع أصدقائه وسمعهم زوجك يضحكون ظن أنهم يضحكون عليه بدون سبب واضح ثم ذهب للولد وصرخ فيه وصفعه وسط ذهول الجميع، وظل يصرخ في الولد لماذا تضحك عليَّ؟ والولد يقسم أنه لم يتعرض لزوجك بأي طريقة، أما والده فأقسم أنه سيرد الصفعة صفعتين حينما يرى الأستاذ نائل وأنه لن يمرر الأمر بسهولة.

احمر وجه شذى ولم تدرِ ماذا تقول وشعرت بالقلق والتوتر من كل هذه المشاكل التي طفت إلى السطح مرة واحدة، لم تكن لتعلم أن زوجها بهذا السلوك وهذا الطبع، قبل أن تتزوجه رأت أنه محبوب من كل موظفيه في المكتب ولم يشتكِ منه أحد هناك، لم تلحظ منه أي عصبية أو أي فلتات لسان، كانت تراه دومًا مهذبًا راقيًا، بغض النظر عن طباعه التي تأقلمت معها وسلمت بوجودها من غير حول لها ولا قوة، أمّا أن يصل الأمر لهذه الفضائح مع الجيران وبهذه الطريقة المهينة، أكمل الرجل: أنا أعزكم وأحترمكم وأنتم مثل أولادي، ولا أريد أي مشاكل من أي أحد فأنا أحب أن يعيش الناس في سلام، نحن نقطن في حي راقٍ مع أناس راقين في وظائف محترمة ونريد أن نحافظ على هذا الشكل، تحدثي معه، سافروا يومين إلى مكان ما، غيروا الجو، ربما أعصابه متعبة وهي بحاجة لبعض الراحة من العمل، أرجو أن تتفهمي كلامي بدون حساسية، وعلى فكرة تلك بعض الأمثلة وليس كل شيء، لا

أدري كيف أصف لك لكن كأنك تشعرين بأن عفريتًا قد ركبه فيظل يشيح بيديه للمارة ويتحدث مع نفسه بصوت عالٍ وعيناه شاردتان، أنا بالفعل قلق عليه.

ردت: لا بالطبع أنت مثل والدي، سأتحدث إليه بالتأكيد، هو لا يصارحني بما يحدث وأنا تفاجأت بما تقول، لكن أعدك أن كل الأمور ستعود إلى ما يرام.

سلمت عليه وعلي زوجته وغادرت مسرعة، هي قد لاحظت تغييرات في سلوك زوجها، عصبية، صريخ في البيت لأتفه سبب، لكنه يأتي ليعتذر لها في كل مرة، وتنتهي الأمور، لكنها صُدمت بما قاله الأستاذ محمد، هي لم تلحظ عليه مثل تلك التصرفات، ربما لمحت تصرفات من نوع آخر لكن ليس تلك.

****

قررت أن تمر على صديقتها رانيا بعد العمل بسرعة، تحدثا معًا قليلًا على الهاتف في الصباح ولم ترد أن تذكر له ذلك أثناء المحادثة فهو يكرهها كره العمى بعدما علم أنها تعمل في مجال الطب النفسي.

مرت عليها بالبيت وحكت لها كل شيء بالتفصيل منذ أن حجز بالمستشفى إلى أن خرج، وكيف أن سلوكه تدهور بهذا الشكل، أنكرت شذى أن يكون ذلك ضغط عمل عليه وتشعر أن الأمر له علاقة بمرضه النفسي، صمتت رانيا قليلًا ثم قالت: ربما، لكني أشعر أيضًا أن الموضوع يتعلق بمدى انتظامه على الأدوية، تقولين إن طبيبه ذكر أنه لا ينتظم باستمرار على الدواء أو عن المتابعة معه، وأنه قد يأخذ أكثر أو أقل من الجرعة اللازمة وقد يجمع دواءين أو ثلاثة من نفسه دون الرجوع لأحد.

ردت شذى وهي تزفر في حرارة: عندك حق، هو يأخذ الموضوع بكبر وعند، يريد أن يشعر أنه لا يحتاج لأي طبيب، يظن أنه سيعالج الموضوع بنفسه، لا أدري لماذا كل هذا العند، لقد قبلت به وبمرضه، لكن عليه أن يتعاون هو أيضًا معي، هذا كثير، كثير عليَّ، لم أعد أتحمل.

وانفجرت في البكاء فجلست رانيا بجوارها واحتضنتها وربتت عليها وواستها وقالت: اصبري، علَّه خير، حاولي التحدث معه، اقنعيه أن ذهابه للطبيب سيكون أفضل له ولك وأنه لا عيب في ذلك، أنا متأكدة أنه سيستمع لك فهو يحبك.

هدأت من روعها قدر المستطاع، حاولت شذى مسح دموعها حتى لا يظهر ذلك على ملامحها واستأذنت حتى لا تتأخر عليه.

عادت إلى البيت وهي تحاول أن تزيل من وجهها علامات البكاء حتى إنها كانت تنظر للمرآة في السيارة بين الحين والآخر، ستتحدث معه بكل حزم، لا بد أن يزور دكتور هاني معها في عيادته، لا تريد أن تسوء الأمور أكثر من ذلك، لم يكن مطلوبًا منها كل ذلك من البداية، هي عروس حديثة الزواج وليس من المفترض أن تمر بكل هذا خصوصًا أنه لم يصارحها منذ البداية بمرضه، ورغم ذلك قبلت، وتحملت، هي تريد أن يسير المركب كما تذكر أمها دومًا ولا تريدها أن تقف وأن تكون هي السبب، ستقف بجواره لكن عليه أن يقف هو أولًا ويسير في الطريق الصحيح وإلا فستترك له الجمل بما حمل وترحل بلا رجعة.

صعدت إلى الشقة وهي مشحونة بكل ما اعتراها من أفكار ودخلت لتجده جالسًا على الأريكة يشاهد التلفزيون، لم يبتسم وبدا على وجهه العصبية والتحفز كأنما ينتظرها للتحدث معها، شعرت بالإحباط حيث كانت تتوقع أن تنقض هي عليه بالحديث واللوم والعتاب ليكون لها اليد العليا، أما الآن فيبدو كوقت غير

مناسب للانقضاض، سلمت عليه وحاولت تجنبه لتسير إلى الغرفة لتغيير ملابسها، لكنه قطع عليها الطريق وناداها. "شذى، ممكن لو سمحتِ؟أريد التحدث معكِ". وقفت، لم يعجبها أسلوبه، قالت "أريد أن أغير ملابسي أولًا إذا سمحت". قال بعصبية "أين كنتِ إلى الآن؟ تأخير ساعتين بأكمله عن ميعاد رجوعك". ردت "كنت... كنت... في المكتب، طلبوا مني المزيد من المراجعات المالية". لا تدري لماذا كذبت، تريد إخفاء حقيقة أنها كانت مع صديقها رانيا التي لا يطيق سماع اسمها، لا تدري متى ستتوقف عن تلك السلبية، المفترض أن تبدأ هي الشجار معه بعد ما سمعته من جارهم، وأن تظهر له العين الحمراء، وأنها لن تتحمل هذه العيشة، وأن عليه أن يقدرها ويقدر وقوفها بجواره بعد أن دخل المستشفى وعرفت عنه كل شيء، لكنها في لحظة تنسحب وتترك له المجال للهجوم، هي تعلم أن سلبيتها اللعينة ستؤدي بها إلى الجحيم، قال لها بعصبية "ممكن تلفونك لو سمحتِ؟".

صدمت من طلبه وحدقت بعينيها كيف يجرؤ على هذا، لم يتجرأ أحد على طلب شيئًا كهذا من قبل، لم ينتظر ليسأل مرة أخرى إذ انقض على تلفونها وخطفه من يدها وهي غير مصدقة لما فعل، تفحصه ثم قال "رانيا، رانيا، هي السبب إذن، أراكِ اتصلت بها صباحًا ثم من ساعتين، إذن فقد مررت عليها، وقد نبهت عليك من قبل أن تقطعي صلتك بها". ردت بعصبية "أولًا، أنا لا أسمح لك أن تكذبني، ثانيًا اتصالي بها لا يعني أني قد زرتها اليوم فقد...". قاطعها صارخًا "هناك رسالة مرسلة منك لها تقول، أنا عشر دقائق وأكون عندك، مرسلة لرانيا". زفرت وجلست على الكرسي المقابل بعصبية وغطت وجهها بيديها ثم نظرت له قائلة "وما المشكلة؟ هي صديقة عمري، لماذا تحرمني منها؟ تريد أن تحبسني هنا بمفردي؟ لا أكلم أحدًا غيرك". رد عليها قائلًا "لديك أصدقاء كثر أنا لم أحبسك، تستأذنيني لتخرجي مع

ندى أو من أصدقائك من البنك، لا أعترض، أما رانيا فتاة لعينة، لا أريدك أن تتصلي بها أو تريها مرة أخرى". صرخت "لماذا هي بالذات؟". رد بقوة "لأنها إنسانة كاذبة، تريد الإيقاع بيني وبينك". قالت "لم تقول هذا؟ أم أنك تقول هذا لطبيعة عملها؟ لا تريدني أن أتصل بها لأنها أخصائية نفسية و...".

صمتت ولم تدرِ ماذا تقول، وجدت عينيه تتقدان نارًا، وانتفض قلبها من الرعب عندما رأت وجهه متوقدًا كالجمر، أشار بإصبعه في وجهها واقترب منها بشدة وهي جالسة بينما هو واقف، كأنما يهددها ويقول لها، أكملي الجملة، أنا ماذا؟ أكملي وسأقتلك فورًا. كان متخذًا وضع التهديد بجسده بوضوح، كلمة أخرى وسيصفعها، لم تستطع أن تتنفس حتى من شدة الانفعال، أزال إصبعه من أمام وجهها ودخل إلى الغرفة، غطت وجهها بيديها، سكتت بضع دقائق ثم لحقت به، فتحت الباب لتجده مستلقيًا على السرير صامتًا، قالت له "الأستاذ محمد جارنا كلمني اليوم". استدار لها قائلًا "بخصوص ماذا؟". حكت له كل الذي قيل والشكاوى من الجيران، شعر بالتوتر ثم قال "ولماذا تصدقينه؟لماذا تصدقيهم؟ الناس صارت لا تطاق، صفاقة ووقاحة، إن لم أتعامل معهم بحزم سيتمادون بلا توقف، أنا أدافع عن نفسي وعن حقوقي، والجيران لا بد أن تحترم بعضها، وأي شخص يتطاول عليَّ سأسحقه، وأنت، أنت لا بد أن تكوني في صفي لا ضدي يا أستاذة، أنت زوجتي". صارحته شذى "نائل، أنت تعلم أني زوجتك التي تحبك، لنتحدث بصراحة، أنا حضرت ما حدث في المستشفى ووقفت بجوارك، وعرفت كل شيء، وأنا على استعداد على أن أكون سندك حتى النهاية، لكن إذا ذهبنا لزيارة دكتور هاني والاستماع له والانتظام في المتابعة ربما تتحسن الأمور". أشاح بوجهه

ونظر للناحية الأخرى، أكملت "أنت أعصابك ليست على ما يرام وربما لو انتظمت على علاج ما ستتحسن الأمور ونرتاح جميعًا". رفض الرد عليها.

شعرت في عينيه بالغضب لكنها شعرت أنه ليس غضبًا فقط بل أنه مصاحب بشيء آخر، بالعجز، الإحساس بالعجز، شعرت أنها قد دخلت عبر عينيه وسبحت داخل أفكاره التي تطوف برأسه، هذا العجز قادم من شعوره أنه يحتاج دومًا إلى الدواء ليتصرف كإنسان طبيعي، ليتفاعل مع الناس ويعيش وسطهم بلا مشاكل ولا أزمات، أن يشعر الإنسان بعجزه وبأنه لا يمكن له أن يعيش إلا بالدواء، والأسوأ من هذا كله إن كان مرضًا نفسيًا، ربما لو كان مصابًا بالضغط أو السكر لكان أهون له، لكن أن يصاب في صلب نفسه، كأنما هي إهانة له، شعرت كأنه يقول بصوت عالٍ "أنا لست بمجنون ولا بمخبول، لا أحتاج طبيبًا نفسيًا ليعلمني كيف أعيش أو أتحدث، أو أن يصحح لي طريقة تفكيري، هذه إهانة". شعرت بتلك الكلمات في عينيه، بدون الحاجة إلى أن ينطقها، شعرت أنها تقترب منه أكثر بعد أن لمحت نظرة العجز في عينيه، كانت أول مرة تستشعرها، جلست بجواره ووضعت رأسها على كتفه، ربما تريد أن توصل له فكرة أنها ما زالت أضعف منه وأنه ليس بهذا الضعف والهوان، ما زالت تحتاج إليه فتضع رأسها على كتفه كأنه هو سندها، لا تدري هل فعلت هذا فعلًا عن حب أم أنها أرادت أن تسيطر عليه لتقوده إلى ما تريد، أن يستمر على علاجه، وأن يتوقف عن عناده وتكبره، صار جُل أملها أن يكون إنسانًا طبيعيًا تعيش معه، إذا كانت بضع الأقراص وبعض الزيارات للطبيب ستصلح كل شيء فلا مانع، المهم ألا يفسد ذلك حياتهما، استسلم لها في النهاية ووعدها أن يذهبا إلى الطبيب في أقرب وقت، صممت أن يحدد يومًا ما فحدد أن

يذهبا يوم الجمعة أو السبت فقالت إنها ستتصل بالعيادة في الصباح التالي لحجز ميعاد.

****

وصلا إلى الطبيب صباح السبت ورحب بهما، طلب نائل من شذى أن تخرج من الغرفة حتى يتحدث إليه بصراحة وأريحية، صممت شذى على البقاء ولم تجد حرجًا عليه في ذلك ووافقها الطبيب فبقت، سأله الطبيب عن أحواله وكيف يشعر، قال له إنه يشعر بالعصبية الزائدة وأنه لا يطيق أحدًا، قال إنه يشعر كأن الناس تتبعه وأنه إذا رأى أي شخصين يتحدثان في الشارع كأنهما يتحدثان عنه أو يسخران منه، وأنه يشعر بأنه لا يوجد من يحبه وأن الكل يكرهه، حتى زوجته، فهي تعايره بمرضه النفسي وأنها راضية بحياتها معه رغمًا عنها؛ فقط لأنها أصبحت في حكم الواقع زوجته ولا تستطيع أن تفلت منه، قال للطبيب إنها لا تحترمه ولا تحترم رجولته وأنه يتعامل معها باحترام، بل أنه أحضر لها سيارة جديدة هدية وأنه لا يدري لماذا ترد له كل هذا الإحسان بإساءة، قال الدكتور بينما شذى تنظر لزوجها بشيء من الغيظ على ما قال عنها "أنا لا أظن أنها كذلك، نائل يا ابني، أنت تحتاج إلى العلاج، شئنا أم أبينا، سواء هي طلبت منك ذلك أم لا، التزم بالعلاج يا ابني والتزم بالجرعات المقررة، أنا أعرف ما يحدث جيدًا، تبدأ بأخذ العلاج حتى إذا شعرت بالتحسن قلت لنفسك أنا بخير ولا أحتاج للمزيد من العلاج، فتتوقف فتسوء الأعراض فتدرك ذلك فتبدأ مرة أخرى في أخذ العلاج بجرعات زائدة ظنًا منك أن هذا سيساعدك على السيطرة على أعراضك أسرع وأسرع، أنا أعرف هذا بالخبرة يا ابني، لست وحدك فلي مرضي وخصوصًا في سنك يظنون أن العلاج هو

إهانة لكرامتهم بينما هو ليس كذلك، أنت لست بمجنون، نحن أناس متعلمون". رد نائل "أنا أعلم أني لا بد وأن ألتزم بالعلاج، لكن ليس من العدل أن أرجع كل المشاكل التي أمر بها أو أواجهها في حياتي لأخذي الدواء من عدمه، أنا لست بهذا السوء يا دكتور وحالتي سهلة، وربما لا أحتاج للأدوية يومًا ما، هو فقط ضغط العمل".

شعر الطبيب باليأس من مجادلته، هو يعلم حالته وأنها ليست بالهينة، ويشعر بالشفقة على المسكينة التي تعيش معه، حاول الطبيب أن يحذره من قبل من أن يتزوج، لكنه كان يرد عليه بأن ذلك يؤذي مشاعره وكرامته وأنه سيتحسن بعد الزواج، بعد أن يستقر عاطفيًا، لكن يبدو أن هذا لم يتحقق، وهو لا يملك أن يرغمه على شيء، هو مجرد طبيبه، حتى إن نائل لم يكن ليتابع معه باستمرار، فيختفي شهورًا ويظهر بضع زيارات بإيعاز من خالته ثم يختفي مرة أخرى، حتى إنه فوجئ به أنه متزوج وأن زوجته تتصل به لتخبره أنه في حالة حرجة، التفت الطبيب إليها ليتحدث معها وطمأنها وقال لها إنه قد وصف بعض الأدوية لنائل، وأنه نبه عليه أن يلتزم بالجرعات المحددة بالتوقيت المحدد دون تغيير إلا بعد العودة إليه، نظرت شذى إلى عيني نائل لترى كم سيكون صادقًا فوجدته يقول للطبيب "طبعًا أكيد، شكرًا دكتور، هيا يا شذى". لم ترتح لنغمته كأنه يجاري الطبيب ليتخلص من مجالسته ويرحل.

****

وصلت للبنك لتسير بهدوء بعد أن وصلت قبل ميعادها بخمس دقائق كاملة، شعرت أن هذا إنجاز عظيم وأنها لا بد أن تقلد بجائزة الموظفة المثالية لقيامها بهذا الإنجاز العظيم، من باب السخرية طبعًا، قبل أن تلج إلى باب البنك فكرت في أن تتوقف عند محل بقالة عند الجهة المقابلة للبنك لشراء زجاجة ماء في هذا الجو الحار، بينما تسير لمحت أستاذ خالد مستقلًا سيارته وفي السيارة معه إحدى الموظفات والتي تعرفتها من وجهها، هي إحدى الموظفات الجديدات، فتاة جميلة ملابسها لا تتسم بالحشمة، لماذا تركب مع أستاذ خالد في سيارته؟ هل عرض عليها توصيلها للبنك صباحًا في طريقه إلى البنك، سمعت طرفًا من الحديث وهي تسير بجوار السيارة التي لاحظت أنه قد أوقفها بعيدًا عن البنك هذه المرة حتى لا يراه أحد، سمعته يقول للفتاة "يمكننا أن نتناول الغداء بعد العمل لكي أشرح لك كيف ستقضين شهر التدريب معنا، أنا من أقدم الموظفين هنا وأعلم الكثير عن مسار العمل، ما رأيك؟". صاحت شذى به وهي تمر بجوارهما "صباح الخير يا أستاذ خالد".

التفت ليجد شذى وهي تنظر إليه نظرة لها مغزى، حاولت أن توضح له أنه كانت قريبة حتى أإنها قد سمعت الجزء الأخير، تلعثم، ثم التفت إلى الفتاة مرة أخرى ليتجنبها ولم يرد على شذى، سعدت شذى أنه قد رآها وهي تستمع لهذا الجزء من الكلام، ظلت تنظر له وهي تسير ببطء بينما حاول هو الإسراع حتى لو سبق الفتاة التي معه، شعرت أنها انتصرت عليه لتأكد له أنها تعرف حقيقته القذرة، لماذا يسير مع الفتاة منفردًا ولماذا يطلب منها أن يتسكع معها بعد العمل بحجة أنه يريد مساعدتها وشرح بعض أمور العمل لها، كأنها تقول له "يا هذا لا

تعش الدور عليَّ مرة أخرى، فهي ليست المرة الأولى التي أضبطك متلبسًا". يصطاد الفتاة حديثة العمل ليرسم عليها دور الخبير، وأنه يريد أن يسدي لها بعض النصائح، وأنه رجل محترم يتقي الله وملتزم بالصلوات، ليحصل على ما يريده منها ثم يتملص منها بأي حجة، ثم يتجه لفريسة جديدة بعدها، هي تعلم أنه كان يقصد اصطياد الفتيات حديثات التخرج واللاتي لم يتم تثبيتهم في العمل بعد، فريسة سهلة؛ لأن الفتاة منهم قليلة الخبرة مذعورة من المناخ الجديد تريد أن تثبت نفسنا فبالتالي هي في حالة ضعف، وهو يجيد رسم الدور جيدًا، اللحية وتطعيم الكلام ببعض الألفاظ العربية الدينية والأدعية من وقت للآخر، وأن آخر ما يفكر فيه هو التلاعب بها أو بمشاعرها وأنه يريد الخدمة لوجه الله فقط.

دخلت مكتبها وهي مبتسمة بعد أن شعرت أنها وجهت لأستاذ خالد لطمة على وجهه، استمرت في عملها لتتلقى اتصالًا من زوجها، تحدث معها بأسلوب رقيق وأنه يفتقدها وأنه يفكر في السفر للإسكندرية لعدة أيام معها لتغيير الجو عسى أن تروق أعصابهما فوافقت على الفور، طلبت منه أن يذهبا إلى نفس الفندق الذي قضيا به شهر العسل لاستعادة بعض الذكريات الجميلة، شعرت أنها تحن لتلك الفترة حيث كان قمة في الرقة والرقي والاتزان، تمنت لو أن التزامه بالدواء سيحسن أسلوبه وتفكيره وسلوكه ويجعله قادرًا على السيطرة على نفسه وأعصابه فهي تتمنى أن يستمر على الدواء مهما تكلف حتى لو دفعت من مالها الخاص لشرائه، فقط أن يتصرف أمامها كإنسان طبيعي، حتى لو اضطرت لوضع حبة الدواء في فمه بيدها.

جاءت نهاية الأسبوع فأعدا حقائبهما واستقلا السيارة ووصلا الفندق وصممت أن يقيما بنفس الغرفة، وبالفعل وجداها متاحة، اندهش نائل أنها تتذكر الغرفة بالرقم والطابق بالضبط رغم أنه ربما قد نسي تلك التفاصيل بالفعل، أحيانًا يندهش الرجل كيف تتذكر المرأة أدق التفاصيل والتي قد يعتبرها تافهة، لكن بالنسبة لها فهي ذكريات مقدسة لا تقبل السخرية منها أو الاستهانة بها، مر يومان وهما يستمتعان بوقتهما حقًّا، شعرت أنه تغير فعلًا، بعد زيارة الطبيب والعودة للعلاج، أصبح مزاجه رائقًا، لا يتعصب بسهولة، لا يشعر بالقلق والاكتئاب، اهتمامه بالتفاصيل المملة أو نظافة أو نظام المكان أقل، أصبح إنسانًا قابلًا للتعايش معه، إذن لماذا لا يستمر العلاج ليرتاح الكل؟!

نزل حمام السباحة الخاص بالفندق بينما هي جالسة على المنضدة تشاهده وتشرب كوب النسكافية الخاص بها، خرج من حمام السباحة وقال لها إنه سيصعد إلى الغرفة ليستحم ويبدل ملابسه كي يذهبا لتناول الغداء في المطعم، جلست وحيدة تشعر بالسعادة، وأنها مستمتعة مع زوجها بهذه الإجازة، لمحت هذا الرجل، هذا الذي رأته عندما كانا في شهر العسل، كان اسمه عماد أو شيء من هذا القبيل، هو يعمل كموظف بالفندق، تذكرت كيف خاطب زوجها باسم آخر "حسام" وكيف أنكره زوجها ونهره وطالبه بالكف عن الحديث معه، سارت إليه ونادته "أستاذ عماد، صح؟". نظر إليها قائلًا "أفندم، تحت أمرك، من أنت؟". قالت "أنا زوجة أستاذ نائل الحديدي". قال لها "من نائل؟" قالت "الذي رأيته معي آخر مرة، وناديت عليه باسم حسام، وقلت إنه يعمل في مجال الاستيراد والتصدير". فكر قليلًا ثم تذكر قائلًا "نعم، أستاذ حسام، بالطبع، لكن لا أدري هل اسمه حسام أم ماذا؟ أتذكر أني حاولت الحديث معه وكنتِ أنتِ أيضًا معه لكنه أنكرني لا أدري

لم؟ هو حر أنا فقط كنت أريد السلام عليه". سألته "هل كنت على معرفة به؟". قال "طبعًا، هو كان مقيمًا في الفندق لفترة، ثم أقام بشقة بالإسكندرية وكنت أتردد عليه في شقته أحيانًا، عملنا مع بعضنا عدة صفقات، ثم اختفى فجأة ولم يعد يرد على تلفونه، أظن أنه غير رقمه، حضرتك زوجته أليس كذلك؟ أو صديقة له؟". ردت بحزم "نعم أنا زوجته بالتأكيد". شعرت أن زوجها قد يظهر في أي لحظة ففكرت ثم سألته بلطف "ممكن أن أطلب منك طلبًا إن لم تكن لتمانع، هل من الممكن أن أحصل على رقمك؟ أريد أن أسألك عن شيء ما، لكن الوقت لا يسنح وزوجي سيأتي في أي لحظة". شعر بالتردد، سيعطيها رقمه بالطبع، لكنه لا يشعر بالارتياح للموقف برمته.

انصرفت بعد أن ذكرت له أنها ستهاتفه قريبًا لتسأله عن بعض الأمور وستشرح له كل شيء في وقته. عادت إلى المنضدة لتتأكد أن زوجها لم يصل أو يراها وهي تحدث ذلك الرجل، عندما وصل زوجها اصطحبته إلى الغرفة حتى لا يلمح هذا المدعو عماد، هي تريد أن تحتفظ بهذا الرجل دون حرق ورقته، تريد أن تفهم ما حكايته، هذا الرجل لا يهذي، وهناك سر وراءه.

بعد أن وصلت للغرفة سألت نائل "هل أقمت في الإسكندرية من قبل؟ أم أنك كنت تعيش حياتك كلها في القاهرة؟". رد بتعجب "وما الذي يدفعني للعيش في الإسكندرية؟ حياتي كلها في القاهرة وأهلي وعملي، لماذا السؤال؟" قالت "أشعر أنك معتاد على المدينة هنا وملمّ بها وبأهلها". قال "هل تتحدثين جدًّا أم هزلًا؟ كل المصريين يأتون لزيارة الإسكندرية، ما زلت لا أفهم سؤالك". حاولت تغيير الموضوع فسألته "أذان الجمعة، ألا تريد أن تذهب للصلاة؟". رد ببرود "لا، لا أريد". شعرت بالحنق، لا يريد أن يصلي ولا مرة! هي لا تدري أي ملة يتبعها، هي تعلم أنه مسلم على

الأقل من بطاقته، لكنها لم ترَ أي شعيرة من الشعائر يمارسها أمامها، لا شيء يدل على أنه ينتمي لأي دين، سألته "حبيبي أنت لا تصلي مطلقًا؟ ولا مرة؟ هل ستصوم رمضان حتى؟".

بدأ الامتعاض يظهر على وجهه قائلًا "يبدو أنك كأي امرأة تعشقين النكد والجدال، لا فائدة". قالت "أنا أحدثك بهدوء، أنا لا أتشاجر معك". قال "أنا أصلًا لا أؤمن بفكرة الأديان والصلوات هذه". صدمت من رده، هو بالتأكيد يمزح، هو لم يقصد ما يقول، لكنها تذكرت أنه صلى ذات مرة عندما كانا في الخطبة، استأذن وتركها وذهب لصلاة الجمعة، هل كان يمثل عليها؟ قالت له إنها تذكر أنه صلى الجمعة ذات مرة أمامها أثناء الخطبة، قال "أنا أفعل ذلك كناحية اجتماعية فقط، أفعل مثلما يفعل الناس، لكن هذا الأمر لا يعنيني، ما يعنيني أن يتعامل الناس باحترام وأن يسود الخير والسلام، ما معنى أن يصلي أحد صلاة ثم ينشر الفساد والكراهية بين الناس؟ أي نوع من الصلاة أو الدين هذا؟". قالت "أنت محق، الصلاة وحدها لا تعني أن هذا الإنسان ملاك، لكنها ضرورية لكي يتواصل الإنسان مع الله خالقه، أليس من المفترض أن نعبد الله لأنه خلقنا". رد عليها "أنا كما قلت لك لا أؤمن بفكرة الأديان هذه، ولا أحب الحديث في تلك الأمور، وإذا تحدث معك سنظل نتحدث إلى الصباح بلا طائل، ستسمعين كلامًا لا يعجبك، كيف إذا كنا نعبد الله ونصلي إليه ونطلب منه الرحمة والرزق وبالرغم من ذلك يموت الناس في الحروب والمجاعات؟ كيف يصاب الإنسان بالمرض وهل الله الذي أمر أن ينزل عليه المرض ليصيبه فيعاني الإنسان من مرضه بينما هو يشاهده من أعلى وهو يصارع مرضه؟"

شعرت أنه يقول الجزء الأخير بنغمة مختلفة كأنما قد شرد وهو يقولها، لا تدري من يقصد بالمرض والمعاناة، كانت تستمع لكلامه وهي غير مصدقة، هي ليست من بيت متدين لكن على الأقل كانت ترى والدها يؤدي الصلاة بين الحين والآخر، يصوم رمضان، لم تكن الخمر لتدخل بيتهم بالطبع، هي وأمها غير محجبتين، لكن لم تصل لهذا المستوى من التفكير من قبل، لم تكن لتتوقع أن يفكر زوجها هكذا كالملحدين، كانت تظن أنه سيكون مثل أبيها الحبيب الراحل، لا أن ينغمس في الدين لكن أن يمارس طقوسه بين الحين والآخر، أن يغترف منه حتى لا يتسرب منه دينه كله، أكمل نائل "أنا لا أريد أن أفكر كثيرًا في هذا الأمر ولو سمحتِ لا تفتحي معي الحديث في هذا الأمر مرة أخرى، لا تضغطي عليَّ، سأصلي وقتما أشعر أني مستعد لذلك".

****

مع الوقت بدأت تشعر بالغربة عنه، عن الشخص الذي تعيش معه ليل نهار، وتسأل نفسها مع كل ما يحدث، هل تكمل؟ أم تنسحب؟ هل تكمل معه على اعتبار أنه عادة ما يستجيب للدواء؟ هل إذا انسحبت من حياته تكون قد حرمت نفسها من سعادة ستأتيها في المستقبل، لم تعد حتى تدري ما هو تعريف السعادة؟ وما هي السعادة الزوجية؟ وهل للسعادة الزوجية أنواع؟ هل السعادة الزوجية التي من المفترض أن تعيشها مختلفة عن التي شاهدتها بين أبيها وأمها وعاشتها بكل تفاصيلها؟ هل ستكون حماقة أن تحرم نفسها من حياة زوجية مستقرة؟ أم أن هناك علامات تحذير تأتيها من الحين للآخر بأن تنجو بنفسها قبل فوات الأوان؟ قبل أن تغرق السفينة، عليها أن تقفز منها وتأخذ واحدة من تلك القوارب المطاطية، أم أن السفينة ستطفو وتستمر ويكون من الغباء تركها والشرود عن الطريق الرئيسي؟

مرضه، تكتشف أجزاءً جديدة منه يومًا بعد يوم، تظن أنها قد فهمت أبعاده لتنكشف أبعاد جديدة، لا تدري ما النهاية، تصبر وتحتسب، تسمع عن حكايات النساء اللاتي وقفن بجوار أزواجهن في مرضهم وأيضًا عن النساء اللاتي تخلين عن أزواجهن في محنتهم من دافع الأنانية، لا تدري أي طريق تسلك، ثم إن الأمر ظهر مبكرًا بعد الزواج وربما أيضًا قبل الزواج، وهو قد أخفي عنها بعض من حقائق مرضه، هو يجد لكل معضلة مخرجًا، يجيد الكلام والتبرير، إذا حدثته عن أفعاله الغريبة ذكر لها أن أعصابه متعبة من العمل، إذا حدثته عن سلوك غير لائق مع أحد المارة أو الجيران حدثها عن أنه هو الذي على حق وأن الناس عامة سيئة الخلق وتستحق المعاملة بالمثل وإلا تمادوا.

وهي لا تدري ماذا تقول وماذا تفعل؟ أمها ستحاول تهدئتها دائمًا حتى يستمر البيت ويبتعد شبح الانفصال والطلاق، هي متزوجة حديثًا ولا يجوز الكلام في هذه الأمور، دائمًا ما تسمع "اصبري وقفي بجوار زوجك، هو يحبك ولا يبخل عليك، فقط هو يحتاج إليك بجواره". تسمع هذا من أمها ومن صديقتها ندى وصديقتها رانيا، تعلم أنهم من داخلهم لا يشعرون بالراحة لما يحدث، لكنهم يكتمون بداخلهم ويفضلون التوفيق بينهم عن إشعال الأمور، لكنها تشعر أن الأمور لن تهدأ، قلبها يحدثها، لكنها ستصبر وتنتظر، شاءت أم أبت فقد دخلت قفص الزوجية، دخوله سهل والخروج منه مهمة أصعب بكثير.

****

حاولت أن تسأله إن كان قد بدأ في الانتظام على الأدوية مرة أخرى مرارًا وتكرارًا، رغم أنها تعلم أنه لا يحب تلك الأسئلة إلا أنها بدأت تتعلم كيف تفتتح الموضوع معه من دون جرح أو إساءة، مثلًا تقول له "تعلم، إني أنا أيضًا أفكر أن أذهب للدكتور هاني ليصف لي بعض الأدوية المهدئة، الحياة صارت صعبة، وأنا أفتقد أبي، أشعر أحيانًا بأني لا رغبة لي في أي شيء في الحياة وأن النوم يجافيني". تحاول أن تشعره أن أخذ الدواء لأي مرض نفسي أو المتابعة مع الطبيب ليست بالعيب أو العار، هي تعلم أنه عندما ينتظم على العلاج ستتحسن حالته ويصير بالفعل رجلًا مثاليًا لا غبار عليه، رجل أعمال محترم أنيق ووسيم وعليه علامات الرقي والأناقة، هي تريد الحفاظ عليه وعلى تلك الهيئة وحمايته حتى من نفسه، بدأ يوافقها بعد أن أعجبه أنها تشاركه همه، لم يعد يشعر بالخجل أمامها وصار يترك علب الدواء علنًا في غرفة النوم، شعرت أنه ربما يكون هناك أمل، بصيص من النور بدأ يظهر، هي لم تصدق أنها ستمر بهذا لكنها الآن تشعر أن الأمور ستكون على ما يرام، ستعطيه فرصة مرة واثنتين وثلاث، وتدعو الله ألا تكون حمقاء في النهاية.

****

شعرت به بجوارها وهو يرفس برجله أكثر من مرة وهم نائمان، لم تكن المرة الأولى، تكرر الأمر في الأيام الأخيرة، اكتشفت عدة كدمات في فخذها، بسبب ركله المستمر أثناء النوم، حاولت تنبيهه أكثر من مرة.

لاحظت في أثناء تناول الإفطار أنه يجلس في وضع معوج، رقبته مائلة لليسار ومثبتة لا تتحرك، شكله غريب كأنه يعاني من ألم أو انقباض في عضلات رقبته، سألته "حبيبي، هل رقبتك بخير؟". قال "نعم، بخير، ربما أشعر بتخشب قليلًا، تعلمين أني أستعمل الكمبيوتر كثيرًا في العمل، سأحاول أن أحضر بعض الكريمات الباسطة للعضلات من الصيدلية في طريقي للمكتب".

قامت وحاولت أن تقوم ببعض التدليك لرقبته، بالفعل، رقبته متخشبة كعود خشب، شعرت بالقلق، طمأنها وقال لها إنه من العمل على الكمبيوتر وأنه يتعرض لذلك دائمًا، ودعها لكنها ذكرت له أنها تريد أن تدعو صديقتها ندى وزوجها لتناول الغداء معهم، هي تعلم أنه لا يحب الضيوف أو الزيارات، وتعلم جيدًا السبب من وراء ذلك وهو وسوسته وخوفه من أن يتسخ المنزل من أي غرباء يدخلون البيت، هي تعلم ذلك، وهي لا تصارحه علنًا وجهًا لوجه حتى لا تؤذي مشاعره، وتعلم أنه يعتبر بيته مكانًا مقدسًا لا يحب أن يدنسه أحد، ربما يأتي بما لم يكتشفه العلم بعد من ميكروبات أو حتى من قاذورات الشارع أو حتى من بعض الأفكار الملوثة التي قد تمكث في المكان بعد أن يغادر الزوار منزلهم.

رضخ لطلبها المتكرر بعد أن كررت أنها لا يمكن ألا تدعو صديقة عمرها بعد هذه الشهور من الزواج. استمرت ملاحظتها للتصلب والتخشب الذي اعترى جسد زوجها والذي استمر وزاد مع مرور الأيام، صارت مشيته ثقيلة يسحب رجليه كأنه

مصاب بعد حادثة، لاحظت رعشة في يديه حين يحاول أن يتناول الطعام أو أن يمسك كوبًا من الماء، سألته أكثر من مرة لكنه كان يكابر في كل مرة يخبرها أنه بخير، فكرت أن تتصل بدكتور هاني، لم تحاول أن تسأله رأيه؛ لأنها تعلم أنه سيرفض، انتهزت أنها في العمل ذات مرة وألا أحد حولها ليستمع، اتصلت بمكتب الدكتور هاني، فرد عليها ممرض أنه مشغول مع بعض المرضي وأن تعاود الاتصال به بعد ساعتين، اتصلت بمكتبه مرة أخرى في طريقها للمنزل، رد عليها، حاولت أن تقود السيارة ببطء وحذر أثناء الحديث في التلفون، أخذت في شرح حالة نائل وأعراض التخشب والرعشة، أخبرها أنه كان من المفترض أن يأتي له زيارة متابعة الأسبوع السابق لكنه لم يأتِ كالعادة، أخبرها أنه يشك في أن أحد الأدوية الموصوفة له قد تكون تلك أحد الأعراض الجانبية له عن طريق التأثير في عضلات جسده بداية من رقبته إلى أطرافه لتزيد درجة انقباضها، وأن الحل يأتي في تقليل جرعة الدواء لتجنب تلك الأعراض الجانبية، شكرته ووعدته أنها ستحث زوجها على المتابعة معه بانتظام في المستقبل.

انتظرت عودة زوجها، لاحظت أن تخشب رقبته قد زاد حتى إنها بدأت تلاحظ انقباضة عنيفة لرقبته بين الحين والآخر كأنه يلتفت مرة واحدة للجهة اليمنى أو اليسرى، كأنه ممسوس.

فكرت في أن تلبس له ملابس نوم جميلة وتعطرت وحاولت أن تعطر الجو أيضًا لتبعث على المكان أجواء استرخائية، بعد أن شرعا في محاولة إقامة علاقة حميمية لم تكتمل إلى النهاية، شعرت أنه ليس على ما يرام، فكرت من داخلها أنه ربما لم يعد له رغبة فيها، وأنه قد بدأ يشعر بفتور تجاه زوجته، شعرت بالحزن، قالت لنفسها كأنها تحادثه "هل أصبح جسدي لا يعجبك؟ هل صرت غير جميلة

بعد أن شبعت مني؟". عادت ولبست ملابس نومها العادية بينما هو جالس في السرير يتصبب عرقًا غارقًا في إحساسه بالعجز عن ممارسة حياته الزوجية الطبيعية، ظلت تنظر إليه وهي تعلم كيف يشعر، صارحته بأنها قد هاتفت دكتور هاني تسأله عنه وعن أنها لاحظت بعض الأعراض الملحوظة على جسده، علمت أنها اختارت وقتًا مناسبًا لتصرح له بما فعلت، لأنها تحاول تجنب إغضابه، ربما وهو في هذه الحالة وبعد مرورهما بهذا الموقف المخجل سيستمع إليها، تعلم أنه سيغضب عندما يكتشف أنها تحدثت إلى الطبيب من ورائه، لم يثر عليها لأنها اختارت التوقيت المناسب فعلًا، قالت له إن الطبيب يظن أنه تعرض لجرعات عالية من الدواء لذلك ظهرت عليه علامات التخشب تلك، وأن عليه أن يقلل جرعة الدواء للنصف وذكرت له اسم الدواء المقصود تغييره، وافقها وقال إنه بالفعل يتناول الدواء بجرعة أكثر من اللازم لأنه يعلم أن هذا الدواء يريح أعصابه ويجعل تسلسل أفكاره أكثر انسيابية، وأفعاله وتصرفاته تصير أكثر قبولًا لدى الناس عند تناوله، وقدرته تزيد على التحكم في توقيتات يومه وعدم التأخر أو التلكؤ، حذرته مرة أخرى من ألا يغير الجرعات على هواه وأن يلتزم بتعليمات الطبيب ووعدها بذلك، خلدا إلى النوم وذكرته أن صديقتها زوجها سيزورانهما في البيت بعد أسبوع.

****

وصلت ندى وزوجها سامح إلى منزل شذى بالطابق الرابع، انبهرت ندى برقي المكان ومدخل العمارة ونظافة الشارع والشوارع المحيطة بهما، وكذلك انبهر زوجها لكنه كتم بداخله طبعًا، لا يريد أن يشعر أنه أقل من صديقتها وزوجها وأنه هو وندى يعيشان في منطقة شعبية أقل رقيًا، حاول زوج ندى أن يكتم ما بداخله وأن يجعل نظراته وانفعالاته باردة كأنما يقول لها، "نحن لسنا بهذا السوء وهم ليسوا أعلى منا". دخلا إلى شقتهما الواسعة الأنيقة المزينة باللوحات الفنية وأشجار الزينة والمطبخ المبني على الطراز الحديث بانفتاحه على غرفة السفرة والبار الرخامي الأبيض، تتدلى المصابيح من السقف لتسلط الضوء عليه، أمور لم تعتد عليها ندى أو حتى شذى في منزلها القديم.

دخلا ليجلسا في الصالون، جلست معهما شذى يتحدثان جميعًا عن أمور الحياة وحمل ندى والطبيب الذي يتابع معها وأعراض الحمل وخلافه، دخل بعدها نائل ليسلم عليهما، متأنقًا كعادته يلبس قميصًا مزركشًا وبنطالًا بنيًا وحذاءً رياضيًا، فرق مستوى الملبس واضح بين الرجلين، وسامح زوج ندى عقله متحجر وأفعاله فظة جاء من أسرة أقل من المتوسط، اعتبر نائل غريمًا له، وأنه من غير الممكن أن تتكون بينهما صداقة في المستقبل؛ لأنه لن يقبل بأن يتعالى عليه أحد، شعرت شذى وندي بذلك؛ فحاولتا تخفيف حدة النظرات بين الزوجين بإلقاء بعض النكات هنا وهناك حتى لا تتطور الأمور، لم تكن الردود بين الرجلين على ما يرام، ظهر على كلام نائل الغطرسة والتعالي وهو يحكي كيف أنه استطاع إدارة شركته في الاستيراد والتصدير، وأنها نمت واستطاع أن يكون له عملاء من الصين وأروبا، وأنه ربما يأخذ شذى لجولة أروبية بعد شهر لمقابلة مديرين بعض من تلك

الشركات وللترويح عن النفس، ظل كلام نائل كله مليء بالنرجسية والإحساس بالذات، وأنه لا يوجد مثيل له يقدر على كل هذا الكم من الأعمال دون وجود أحد من عائلته بالقرب منه أو صديق مقرب يعينه على ذلك، حاول سامح إثبات نفسه بالحديث عن عمله كموظف مرموق في إحدى الشركات المالية لكن نائل بكل فظاظة رد بأنه لا يعمل مرئوسًا تحت أحد وأن العمل في الشركات دليل على قلة الطموح وانعدام العزيمة، وأنه ربما لو عرض على سامح عرضًا بأن يأتي للعمل عنده في المكتب لكان أفضل له، لكن سامح اعترض بقوة وقال "لا شكرًا، أنا سعيد بعملي ولا أحتاج لمساعدة". مرت الساعتان بثقل بغيض، كانت المرأتان منسجمتين كل انسجام لم يعكر صفوهما إلا الشد والجذب والتحفز بين الزوجين، انتهى الأمر بأن أعلنت ندى أنها وزوجها عليهما الانصراف الآن لبعض الظروف الشخصية، هي في الواقع حاولت فض الاشتباك اللفظي بين الزوجين، شعرت شذى بذلك أيضًا، لا تريد أن تسوء الأمور أكثر من ذلك، لا تريد أن تخسر صديقة عمرها بسبب حماقة رجلين.

حاولت شذى أن توبخه بعد رحيلهما، رد عليها بأنه ليس ذنبه، وأنه حاول أن ينصح زوج صديقتها بأن يغير مجال عمله وأن يعمل باستقلالية أكثر، أفضل من أن يظل تابعًا للشركات الكبيرة، وأنه يبدو أن زوج صديقتها قد أخذ الأمور بحساسية، لم تجد ما ترد به عليه، لكنها شعرت أنه تعامل بتعالٍ أكثر من اللازم وهي لا تحب الغرور والزهو الزائد عن حده، دائمًا ما تشعر أنه يمن عليها بالمستوى الذ ي تعيش فيه بعد زواجهما، رغم أنها تحاول إقناع نفسها بأن الفارق ليس كبيرًا لكنه مصمم على إظهار أنه فارق كبير، لا يصارحها لكنها تستشعر من تلميحاته، ومع مرور الوقت في زواجها تجد أنه صار أكثر تبجحًا عن ذي قبل في

الحديث عن الفروقات المادية، حتى وإن كان هناك فارق في المستوى فهو من جاء لطلب يدها، وأنها لم تحاول إيقاعه كما تفعل بعض الفتيات.

****

لاحظت بعد مرور أيام أنه قليل النوم، ليس فقط مسألة أرق لكنه يكاد ينام ساعتين على الأكثر، سألته لكنه أنكر أن هناك أمر ما وأنه فقط قلق من العمل؛ لأن المكتب يمر بضائقة مالية نتيجة خسارة بعض الصفقات وأنه يفكر في ذلك كثيرًا، طمأنته أن المال لا يهم وأنهما سيحاولان ادخار بعض المال حتى تتحسن الأمور، حاولت إحضار الأقراص المهدئة من الصيدلية، حاول أخذ البعض منها، لكن لا فائدة، فكرت أن تسأل إحدى زميلاتها في البنك عن حل لأرقه المستمر، وصفت لها إحدى زميلاتها أن كوبًا من الينسون بالعسل له تأثير قوي قبل النوم، قررت أن تخبره عندما تعود إلى المنزل، وجدته قد وصل قبلها، قابلها بكل حماسة، شكله كان مريبًا، بيعينين حمراوين من قلة النوم، وجدته يضحك بصورة مبالغ فيها، ضحك أول ما رآها، ظل يحتضنها كثيرًا، يقبلها كثيرًا، يحدثها كثيرًا عن رأيه في الناس ويضحك، يلقي نكاتًا عن موقف مر به هنا أو هناك، مواقف ليس لها أهمية لكنه ظل يضحك عليها بلا سبب، كانت أول مرة تراه هكذا، بلا اتزان، هل يشرب المخدرات؟ ملأها الرعب، قال لها إنهما سيذهبان للغداء في مكان ما لتغيير الجو، وافقته على الفور حيث شعرت أنه ربما يحسن ذلك من قلقه ويعيده إلى اتزانه قليلًا، استقلا السيارة ثم وصلا إلى أحد المطاعم الفاخرة كما يبدو عليها، رغم فرحتها أنها ستتناول الغداء مع زوجها في مكان أنيق مثل هذا، لكنها شعرت بالقلق

من المصاريف التي ستتبع ذلك بعدما ذكر لها أنه يمر بضائقة مالية بسبب العمل. بدأت تتفهم ما معنى أن يعمل الزوج في ما يسمى بالعمل الحر بدون دخل ثابت، ولم تمانع فهي على استعداد على الوقوف بجانب زوجها في كل الظروف، قررت أن تطلب طبقًا صغيرًا وسلطة ولا أكثر، لكنه فاجأها بكم من الطلبات من كل أنواع اللحوم والأسماك مع العلم أنهما لن يتمكنا من تناول كل هذا الطعام، ظل يأكل ويأكل بنهم شديد، لم تره من قبل بهذا النهم، هي تعلم أن تناوله للطعام دومًا ما يكون في حدود المعقول، هو دائمًا محتفظ برشاقته ولم ترَ له بطنًا سمينًا وهو ما أعجبها فيه، فهي كانت تحلم برجل يملك مواصفات جسدها الزوجية، العين الملونة، القد الرشيق النحيف، مع الطول المناسب واستقامة الجسد، لا تنكر أن ذلك ما شدها إليه عندما رأته أول مرة في البنك، ورغم كل الأعراض النفسية والمشاكل التي مرا بها إلا أنها كانت عندما تراه يستعيد رزانته ورونقه يساعدها ذلك على تناسي ما بدر منه، إلا هذه المرة شعرت بالاشمئزاز، وهو يأكل بكل هذه الكمية والسرعة بينما الطعام يتساقط من فمه وصوته مكتوم من فمه الممتلئ، هل كل هذا من المشاكل التي يمر بها في العمل أم أنه له علاقة بمرضه النفسي الذي ينكشف منه جزء جديد كل يوم؟ كان قد بدأ بالوسوسة القهرية، ثم الأدوية وأعراضها الجانبية، ثم الشجار الناجم عن الضلالات التي تملكت عقله، هل يخبئ لها القدر المزيد؟ تمنت من داخلها ألا يحدث ذلك؛ لأن وقتها ستبتعد فعلًا، لم تعد تحتمل.

ظل يواصل ضكاته الهستيرية، عندما جاء النادل لأخذ بعض الأطباق نظر له نائل وأخذ يضحك بلا انقطاع أول ما اقترب، شعر الرجل بالإهانة كأنما هو يستهزئ به، شعرت هي بالإحراج، حاولت أن تنظر لنائل بعيون عاتبة لكنه كان في عالم

آخر، لولا يقينها لقالت أنه سكران، عرضت عليه أن يرحلا فقال لها أنه ما زال جائعًا ويريد أن يأكل المزيد، سألت نفسها كيف سيدفع كل هذا وقد ذكر لها مؤخرًا أنه يمر بضائقة في العمل، أصرت أن يرحلا؛ لأنها تشعر بالصداع الشديد، صمم على إكمال الطعام، وبعد انتهائه نادي على النادل وأخرج المال من محفظته، وعندما جاء النادل لأخذ الحساب، أخرج له ورقة من فئة المئتين جنيه وقال له "هذا لك". لم يصدق النادل نفسه، هل هو نفس الشخص الذي كان يضحك عليه من قليل بسخرية وبدون سبب والآن يعطيه بقشيشًا بمئتين جنيه؟! تلقى المال وشكره بشدة، أما شذى فقد تضاعف الصداع عندها أكثر، عندما وصلا إلى السيارة انفجرت في وجهه "مئتان جنيه بقشيش؟ هذا جنون". لم تجد منه أي رد فعل ذا معنى وقال لها إنه يشعر بالسعادة الشديدة بوجودها معه حتى وإن كان يمر بضيق إلا أنه يريد أن يسعدها ويسعد أي إنسان يراه في طريقه، أخذها إلى محل مجوهرات وأخذ يبحث معها على إسورة من الذهب ليهديها إياها، حاولت أن ترفض خوفًا من المصاريف الثقيلة، لكنه صمم، ضحك كثير، كلام كثير، حركة بلا توقف، اتجها إلى البيت بعدها وصمم أن يرى عليها الإسورة بينما تلبس قميص نوم اشتراه لها من المول التجاري المجاور لمحل المجوهرات، ظل معها في السرير يقبلها كثيرًا ويتحرش بها جسديًا في هذا اليوم على غير العادة، صدرت منه ألفاظ وعبارات خادشة لا تليق، كانت خائفة منه، لم تستطع إيقافه فهو حقه الزوجي أن يقبلها ويمارس حقوقه الزوجية ولكن ليس بهذه الفظاظة، سلوك جديد طرأ مع إسرافه في الكلام والضحك وقلة النوم.

فكرت أن تسأله في الأيام التالية أن يذهب معها إلى الطبيب إذا استمر هكذا، رفض بكل شدة وقال إن الأمر لا يحتاج إلى طبيب وأنه مر على الصيدلية المجاورة وأعطاه الصيدلي حبوبًا مهدئة وأنه سيستمر عليها بلا انقطاع، أظهر لها بعض الضجر قائلًا "وهل كلما مررت بضائقة وخرجت عن شعوري تذكرين لي الطبيب؟ أحضرت لك هدية غالية وأكلنا في مطعم راقٍ وأنتِ لا يعجبك شيء؟ هل النكد يسري في عروق كل النساء؟ لا فائدة، لا فائدة". كانا جالسين على السرير فقام من جوارها من على السرير، وغادر في عصبية.

في الأيام التالية بدأت تلاحظ أنه استعاد بعض اتزانه، شاهدته قبل النوم بعض المرات يتناول إحدى الأقراص المهدئة، نظرت خلسة على إحدى شرائط الدواء بينما هو في الحمام، (ألبرازولام)، أعادتها مكانها لأنها تعلم جيدًا أنه لا يحب أن يعبث أحد بالأدوية التي يتناولها، وأنه حتى عادة ما يخبئها في سيارته، شعرت ببعض الراحة بعد مرور بعض الأيام وعودته لحالته الطبيعية لينام كما هي العادة ثماني ساعات، بل ربما صار ينام أكثر من اللازم، لا مانع فبالتأكيد هو مرهق مما مر به، هل أخطأت في عتابه أكثر من اللازم؟ هل ما تمر به أمر طبيعي يحدث بين المتزوجين؟ أم أن هناك أمر ما خطأ تشعر به من داخلها و غير قادرة على كتمه؟ لا تدري، كيف تعرف أن ما تعيشه الآن صواب أم خطأ وأنها تعيش مع إنسان سوي أم مع إنسان مختل عقليًا؟ صحيح أنه عاد إلى صوابه بعد مرور أسبوع من العذاب من تصرفاته المجنونة، صحيح أنه وضح لها عذره والسبب مما حدث، إلا أنها تعرف جيدًا كيف يقلق الإنسان، كيف يحزن، كيف يغوص في التفكير العميق عندما يمر بضائقة ما، وما رأته منه من ضحكه العالي واحمرار عيونه واتساعهما

زرع فيها جزع لم يُمحَ، قررت أن تزور صديقتها رانيا مرة أخرى تحكي لها، لا تدري متى ستتوقف عن هذا لكنها صديقتها المخلصة ولها في هذه الأمور باع طويل بحكم عملها، طبعًا لن تخبره وإلا تحولت حياتها إلى سواد حالك، ستنصرف مبكرًا من العمل دون إخباره لتمر عليها، طلبت منها رانيا أن تمر عليها في مقر عملها بالمستشفى النفسي الذي تعمل به في هذا اليوم كأخصائية نفسية، انقبض صدر شذى عند دخول المكان، طبيعي أن يشعر أي إنسان بهذا الشعور فالمرض العضوي مقبول أكثر من النفسي لدى عامة الناس، إذا دخلت عيادة باطنية أو جراحية لن تتملكك المشاعر والأحاسيس التي ستأتي إليك عندما تجلس في غرفة الانتظار وأنت محاط بالمرضى وذويهم في انتظار الكشف، وصلت فأخبرتها السكرتيرة أن رانيا معها مريض وستخرج لها عندما تنتهي، حاولت أن تتخذ ركنًا بعيدًا حتى لا تحتك بأحد، كان هناك امرأة جالسة مع رجل يبدو أنه زوجها وهو ينظر في شرود، بينما هناك امرأة في منتصف العمر تجلس وهي تطأطئ رأسها للأرض كأنما هي في دنيا أخرى، نظرت لها تلك المرأة فحاولت أن تتجنبها بالنظر إلى الجهة الأخرى، لكن المرأة صممت إطالة النظر إليها والابتسام لتلطيف الجو بينهما، ثم قامت لتجلس بجوارها، زفرت شذى لهذا الضيف غير المدعو، بدأت المرأة الحديث بهدوء ورقي ينم عن إنسانة مهذبة "أهلًا بكِ، هل يضايقك إذا جلست بجوارك؟". نظرت لها شذى من طرف عينيها وقالت "لا مانع لدي، تفضلي". قالت المرأة "اسمي هناء الراوي، أستاذة جامعية بجامعة القاهرة، وجدتك تنتظرين مثلي قلت أحكي معك قليلًا، هل تمانعين؟". شعرت شذى بالحرج فالمرأة كريمة الأصل كما يبدو، تتحدث معها باحترام يبدو من هيئتها المهابة، بدأت تتناول معها أطراف الحديث، دعتها المرأة للجلوس في الحديقة خارج المستشفى لعشر دقائق لا أكثر حتى

يتحدثا بأريحية، ويشربا عصيرًا، وافقتها شذى كنوع من الاحترام لها، شعرت أن المرأة تريد أن تحكي وتفيض بما داخلها، رغم أن شذى لا تملك الوقت أو الصبر إلا أنها لم ترِد أن تردها خائبة.

أخبرتها المرأة أنها هنا بسبب ابنها الشاب والذي هو بالعيادة حاليًّا بالداخل لتلقي العلاج، قالت وهما جالستان على كرسيين متقابلين والعصير على المنضدة، قالت المرأة وهي تنظر إلى بعيد وفي صوتها مسحة حزن "ابني طالب في إحدى الجامعات الخاصة يدرس الاقتصاد، بدأ الأمر معه منذ سنتين، دخل في نوبات اكتئاب شديد، انعزال عن الناس والأصدقاء، ينام في غرفته بالساعات، هكذا مرة واحدة، لم يحدث ما يستدعي كل هذا، لم يفقد أحدًا من أعز أصدقائه أو حتى فشل في قصة حب مثلما يحدث لمن في سنه، هكذا مرة واحدة انقلب كل شيء إلى جحيم، عندما بلغ العشرين من عمره، ظننت في البداية أنه قد بدأ في تعاطي المخدرات، حاولت أنا ووالده أن نتتبعه، فتشنا غرفته، سألنا أصدقاءه، لا فائدة، ظننا أنه ممسوس وأن عليه جن، ذهبنا لبعض الشيوخ الذين بدأون كلامهم ب"نحن لا يعنينا المال"، وينتهي الأمر بآلاف الجنيهات تطير هباءً منثورًا من أجل بعض الدجل والشعوذة، بدأت المرأة تتحدث بصوت باكٍ والدموع ترقرق من عينيها وهي تحدثها، أكملت "استمر في الانعزال، وصل به الأمر إلى الخروج لنافذة المنزل وسباب الناس المارة والبصق عليهم بدون سبب، هلاوس وأفكار غريبة عن أنه فاشل وسيظل فاشلًا وأنه لا يريد أن يعيش وسط مجموعة من الكاذبين والمخادعين، حاولت أن أساله مرارًا من وراء كل هذا، لا أجد إلا هلاوس وضلالات لا معنى لها، كلام كثير لا معنى له ولا أريد أن أحكي لك هراءً، الخلاصة، وجدت ابني

يضيع من بين يدي، أخوته بدأوا في تجنبه وهو أخوهم الأكبر، أخذته لأكبر الأطباء النفسيين وقالوا لي إنه مصاب بانفصام الشخصية (الشيزوفرينيا) والاكتئاب الشديد، بدأ على العلاج وانتظم عليه وتحسنت حالته قليلًا، ونحن على هذا الحال، يتحسن قليلًا ثم يسوء قليلًا، ضاعت عليه سنة في الكلية، واضطررنا حجزه في المستشفى أكثر من مرة، وهو يأتي الآن لتلقي بعض جلسات العلاج النفسي، والحمد لله على كل شيء يا ابنتي، اعذريني أردت أن أفضفض هي مع أحد وشعرت بطيبة القلب من عينيك". قامت شذى واحتضنتها تلقائيًا واقتربت منها وربتت على كتفها وقالت "يا رب يكمل شفاؤه، أنا سعيدة أنك قد حكيتي لي، لا تحزني يا أمي". هدأت المرأة وقالت "أنا أحمد الله على كل شيء، أنا فقط أتمنى أن أراه متزوجًا، حاولنا أكثر من مرة أن نخطب له، لكن البنات تنفر منه ومن سلوكه غير السوي وانعزاله وحديثه الغريب معهم، أنا متأكدة أنها العين التي أصابته، أظل أرقيه وأقرأ عليه القرآن وأخرج الصدقات، يا رب يشفيه".

ردت عليها شذى بالدعاء بالمثل، بعد مرور ربع ساعة عادت الاثنتان للداخل، وانتظرتا قليلًا، ثم خرج ابنها من الغرفة، يبدو عليه السكون والارتباك عندما وجد أمه جالسة مع شخص غريب، اعتذرت لها الأم واستأذنت لتغادر المكان مع ابنها، جاءت السكرتيرة لشذى لتصطحبها إلى مكتب رانيا التي قامت لتقبلها، قالت "اعذريني؛ كنت مع آخر حالة، كيف حالك يا حبيبتي؟". لم تجد شذى ما تقوله من مجاملات وترحيب لكنها حكت مباشرة كل شيء؛ تصرفات نائل الغريبة في الفترة الأخيرة وبكت في حديثها، جلست بجوارها رانيا واحتضنتها وربتت على كتفها، أخذت رانيا تفكر ثم سألتها "هل يمكن أن يكون متعاطيًا للمخدرات؟".

لم تدرِ شذى شيئًا لتجيب به، سألتها رانيا هل هو متدين ويصلي، قالت لها إنه لا يصلي ويرفض الحديث معها عن هذا الأمر، صمتت رانيا قليلًا ثم قالت لها "أريد منه عينة بول، إذا استطعتِ الحصول على عينة سآخذها إلى المعمل لأحللها". ردت شذى "وما السبب الذي سأذكره له حتى يرضى بهذا التحليل؟ أنا لن أصارحه أني أريد عينة لأني أشك أنه مدمن للمخدرات، هل من الممكن أن يجعل القلق الإنسان بهذه الصورة؟". ردت رانيا في تردد "ربما يا شذى، أنا لم أره لكن ما وصفتيه غريب فعلًا، هل من الممكن أن تقنعيه ليأتي ليكشف عندي أو حتى مع الطبيب الذي أعمل معه هنا؟". قالت شذى إنه عنيد لا يستمع لأحد وإنه يعتبر الذهاب للطبيب النفسي نوعًا من العجز لا يريد أن يعترف به، في النهاية ودعتها شذى لاضطرارها للمغادرة بينما رانيا تحاول أن تفكر لها في أي حجة لإحضار عينة بول لها، طلبت منها رانيا أن تتصل بها باستمرار وأنها ستحكي للطبيب الذي تعمل معه عن حالة زوجها وترد عليها بالرأي الذي سيقوله لها، شعرت شذى بالامتنان؛ لأنها تمتلك صديقة مخلصة ذات خلفية علمية خصوصًا أنها لم تتعرض لأشخاص يعانون من أمراض نفسية وسط أقاربها أو جيرانها، أو ربما هناك من يعاني لكنه يجيد إخفاء ذلك جيدًا.

****

عادت إلى المنزل بعدها لتجده نائمًا في السرير يغط في نوم عميق، اقتربت منه، ما زالت آثار الاحمرار على عينيه ويبدو أن هناك هالتين سوداوين قد تكونتا تحت عينيه، شعرت بالخوف منه، مع مرور الوقت وظهور كل تلك الأحداث لم تعد العلاقة بينهما كما كانت، صارت تشعر بغصة في حلقها كلما رأته، لم تعد تدري ماذا تفعل؟ هل تحزم أمتعتها وتغادر؟ أم تنتظر وتستمر معه؟ هل هو مريض أم أنها تقسو عليه؟ هل تصبر وتحتسب كزوجة مخلصة أم تنفذ بجلدها منه، تذكرت السيدة التي قابلتها اليوم في المستشفى وكيف كانت تحكي عن ابنها المريض بكل مرارة، وكيف رأت في عيني الشاب نظرة حيرة وانكسار وهو خارج من الغرفة ليعود لأمه المكلومة التي تنتظره بفارغ الصبر لتطمئن عليه، ثم تصطحبه إلى بيتهم مرة أخرى بأمل جديد أن يصير ابنها أفضل عن ذي قبل.

تذكرت شذى هذا الموقف وتذكرت أيضًا كيف حاول نائل تبرير مواقفه والاعتذار لها أحيانًا وإحضار الهدايا لها أحيانًا أخرى علَّها تنسى تصرفاته الغريبة، اقتربت منه وقبلته على جبينه، وأخذت تداعب شعره بلطف حتى لا يستيقظ، نومه تلك الأيام أصبح أكثر من العادة فأصبح ينام بالعشر والاثنتي عشرة ساعة بعد أن كان ينام ساعتين، كما أنه أصبح أقل كلامًا، منغلقًا في اليومين الأخيرين، لا تدري متى سينعدل حاله ليعود إلى الوسط، إلى ما هو معقول لا يمينًا ولا يسارًا، نامت بجواره حتى الصباح ثم استيقظت وقامت بغسيل وجهها وإحضار بعض الإفطار، ثم ذهبت محاولة إيقاظه بعد أن بلغت ساعات نومه أربع عشرة ساعة متواصلة، عليه أن يتوقف عن أخذ هذة الأقراص المهدئة التي ستقتله بهذا الشكل، حاولت هز كتفيه ونادت عليه عدة مرات ثم استيقظ واعتدل في السرير،

ثم نظر لها وقال "من أنتِ؟ وأين أنا؟". سكتت وقطبت حاجبيها وتوقفت أمام السرير قائلة "نائل، هل أنت بخير؟". ظل صامتًا لا يتكلم ناظرًا إليها بنظرة خاوية، ظل دقيقة هكذا وهي لا تدري ماذا تقول فنادت عليه مرة أخرى "نائل، هل أنت بخير؟". لا تدري لماذا حافظت على مسافة بينها وبينه، شعرت بغريزة الخوف تتملكها لا تدري ما الذي سيحدث من شخص تعرفه منذ شهور حتى تزوجت به والآن يستيقظ ليسألها "من أنتِ؟". نطق أخيرًا قائلًا "كم الساعة؟". قالت "الثامنة صباحًا، أنت نائم من الأمس منذ أن وصلت أنا من البنك وأنت نائم". قال "يبدو أني قد نمت كثيرًا". شعرت أنه يتحدث بصورة طبيعية مرة أخرى فانتفضت عن حالة التحفز التي أصابتها وتحركت وعيناها ما زالت عليه، قام لغسل وجهه ثم اتجها إلى غرفة السفرة وجلسا يتناولان الإفطار، لم يتبادلا كلمة واحدة، لم يظهر أي رغبة في الحديث، عكس ما كان عليه من أسبوع حينما كان يتحدث بلا انقطاع ويضحك بلا سبب، قالت له "يجب أن تتوقف عن أخذ تلك المنومات، لقد صرت تنام كثيرًا ولا تتحدث أو تمارس حياتك". قال لها "بالفعل، سأتوقف عنها، أشعر بالتعب فقط لا أكثر".

قالت له إنها ستذهب إلى البنك، وسألته متى سيغادر هو أيضًا للمكتب فقال لها إنه لن يذهب إلى المكتب اليوم؛ لأنه ما زال يشعر بالتعب ولا يدري ما السبب، اقتربت منه حاولت جس رأسه لترى إن كان قد أصيب بالحمى فلم تجد أي سخونية، طلب منها ألا تقلق؛ إنه فقط يريد بعض الراحة، لكن الأمر لم يقتصر على ذلك اليوم فقد ظل هكذا لأسبوع كامل بعدها لا يتحرك من البيت ما بين النوم والاستيقاظ، لا يتحدث مع أحد إلا فقط بعض الموظفين في المكتب على الهاتف، وهي مستمرة تحاول الحديث معه وهو لا يستمع لها، وعندما حاولت

الضغط عليه وافق أن يأتي طبيب باطني كزيارة منزلية له، اتصلت بأحد المستشفيات القريبة، جاء طبيب شاب، سأله بعض الأسئلة وكشف عليه ثم قال إنه لا يوجد أي ملاحظات على كشفه له، قالت شذى والطبيب واقف عند السرير المستلقي عليه زوجها "دكتور، هل نطلب له بعض التحاليل؟". رحب الطبيب بالفكرة وكتب بعض التحاليل من صورة دم ووظائف كبد وكلى، استأذن الطبيب للمغادرة فعرضت أن توصله لباب العمارة، انتهزتها فرصة للتحدث معه قليلًا عن زوجها، سألت الطبيب عند باب العمارة وحرصت أنه لا يوجد بالقرب منهم أحد ليسمع كلامهما من الجيران، سألته "هل من الممكن أن يكون ذلك مرضًا نفسيًا وليس عضويًا؟".

قال لها بالتأكيد من الممكن أن تكون هذه أعراض اكتئاب حاد؛ لأنه لا يجد أي دليل على أي مرض عضوي مع انتظام علاماته الحيوية وضغطه وسكره بالدم، سألها عن شهيته ونومه ونشاطه فقالت إنه راقد على السرير طوال اليوم لا يأكل أو يتحدث بينما ينام أكثر من اللازم، وكلما حاولت التحدث معه رد باقتضاب، لم تشأ أن تحكي له كل شيء، وأن زوجها كان بالفعل محجوزًا بأحد المستشفيات النفسية، لكنها وجدته متفقًا معها بل ونصحها أنه قد يحتاج إلى الحجز بأي مستشفى نفسي إذا استمر الأمر كذلك.

غادر الطبيب فعادت إلى الشقة لتجده مستلقيًا على السرير، اقتربت منه وذكرت أن الطبيب يطلب بعض التحاليل فبادرها بسؤاله "لماذا اصطحبت الطبيب إلى باب العمارة؟". توترت وقالت "كنت فقط أريد أن أطمئن على حالتك منه". رد بعصبية "هل تعرفين هذا الطبيب؟ لا أدري لماذا شعرت أنه يتحدث معك كأنك صديقته مثلًا؟ هل أنتم أصدقاء أو كنتم أصدقاءً من قبل؟". امتعض وجهها

من طريقة سؤاله وقالت "ماذا تقصد؟ هذا طبيب من المستشفى القريب منا ولا أعرفه من قبل، ما الذي ترمي إليه؟".

قال وهو يضغط على الحروف "أعني أنه لا بد أن تعلمي أني متيقظ جدًّا حتى وإن كنت رقيد الفراش، وأعلم ما يجري حولي جيدًا، أنتِ زوجتي ولا بد أن أعرف كل شيء عنك، لن أدعك تتحدثين لأي رجل غريب هكذا". قالت بحدة "أي رجل غريب تقصد؟ هذا طبيب من المستشفى؟ هل تحب أن تتصل بالمستشفى لتتأكد بنفسك". رد بحدة وصوت أعلى "نعم، سأتصل وسأعرف كل شيء، ليس الآن لكني سأتصل وسأعرف كل ما يخص زوجتي، أنا لست أحمق".

قام من سريره بغضب، وغيَّر ملابسه، وخرج وأغلق الباب بقوة، كانت هي المرة الأولى التي خرج فيها بمفرده بعد أسبوع من العزلة بالبيت، خرج غاضبًا لأنه يشك فيها، أنها تعرف الطبيب وتصاحبه من ورائه، أي حماقة هذه؟ كيف يجرؤ؟ اتصلت بأمها تشكوها وتحكي لها، المرة السابقة قلق من العمل ثم إجهاد ورقاد في السرير أسبوعًا كاملًا بدون سبب عضوي واضح، ثم الآن غضب وشك في أخلاقها، غضبت أمها وتحدثت بضجر، هي لا تسمح أن يتحدث عن ابنتها بهذه الصورة، لكنها كالعادة حاولت تهدئة الأمور بأن زوجها غيور، والغيرة تدل على الحب الشديد، سمعت شذى صوت الباب يُفتح فعرفت أنه عاد فأغلقت الهاتف مع أمها سريعًا، دخل عليها فنظرت للناحية الأخرى فاقترب منها وقال "اعذريني أنا جئت لأعتذر لك، أنا فقط كنت في غيروعيي".

بدأت تهدأ قليلًا بعد اعتذاره، قال لها "أنا رقيد في الفراش لفترة وأنت تخرجين للعمل، وأنا لا أراك إلا حينما ترجعين، شعرت بالغيظ، وشعرت بالعجز، وحينما رأيتك تتحدثين إلى هذا الطبيب شعرت بالغيرة، إنه أقوى مني وأصح مني،

فجاءتني أفكار، لكنها لم تكن لتأتيني إلا لأني أحبك وأغار عليكِ". ابتسمت لكلامه، ضحك وقال "أنا أسعد لرؤية تلك الابتسامة، هي عندي بالدنيا كلها، هيا نخرج نشم بعض الهواء بالسيارة".

نزلا وكان نسمة الهواء منعشة ساعة المغرب عند غروب الشمس، ركبا سيارته وأخذا يتبادلان الحديث قليلًا، أثناء حديثه فاجأها بسؤاله "لكنك بالفعل لا تعرفين هذا الطبيب؟ شعرت أنه صديق لك أو ربما تعاملتِ معه من قبل؟". ضمت شفتيها من الغيظ، ومن حماقة السؤال وقالت "أقسم لك أني لا أعرفه من قبل". وصمتت فحاول إدارة الحديث بعيدًا عن هذا الأمر حتى لا يعكر صفوهما مرة أخرى.

بدأ نائل في النزول مرة أخرى إلى المكتب في الأيام التالية، ورغم أن نزوله لم يكن كما هو الحال من قبل من الساعة التاسعة صباحا حتى الخامسة عصرًا، فقد كان ينزل على الساعة الثانية عشرة، ولم يكن يوميًا بل أيامًا متقطعة، لكن شذى اعتبرته تقدمًا في حالته، ذكَّرته أن عليه أن يقوم بعمل التحاليل، وأن فنيًا سيأتي من المعمل لسحب عينة دم منه، وأن عليه أن يترك عينة بول في الكوب الذي تركته في الحمام، هذه العينة ستأخذها هي لصديقتها رانيا كما اتفقت لترى إن كان يتعاطى المخدرات فعلًا أم لا.

****

"ألو، مدام شذى، أنا أستاذ مصطفى أعمل لدى الأستاذ نائل في مكتبه". فوجئت شذى بتلك المكالمة على تلفونها المحمول، ردت بحذر "أهلًا، خيرًا إن شاء الله؟". رد عليها "أولًا لقد حصلت على رقمك من هاتف زوجك، أستحلفك بالله ألا تخبريه، هل من الممكن مقابلتك في مكان ما؟ سأكون أنا ومعي زميلة من العمل، مدام داليا، نحتاجك في أمر ضروري". استسلمت لطلبهم المفاجئ ووافقت وطبعًا لم تخبر نائل.

تقابلوا في أحد الكافيهات بوسط البلد، كان رجلًا بسيطًا محترمًا في الستينيات من عمره بشارب كثيف يعلو فمه وشعر خفيف على جانبي رأسه وصلعة كبيرة ترقد في المنتصف، بينما مدام داليا في الأربعينيات من عمرها ممتلئة الجسم بحجاب وفستان طويل ينم عن سيدة بيت كادحة، جلسا معها وتحدثا معها بكل حب وود من القلب، ثم قال الأستاذ مصطفى "انظري يا مدام شذى، لن نطيل عليكِ، وفي الحقيقة نحن ممتنون لكِ لحضوركِ هنا، أنا وداليا وباقي الزملاء بالشركة الذين يعلمون أننا جئنا لمقابلتك اليوم". اندهشت شذى من الكلام وشعرت أنهم آتون للحديث عن أمر ما يدور في الشركة ووصل بهم الأمر إلى اللجوء إليها، أكمل الأستاذ مصطفى "حال الأستاذ نائل لا يعجب أحدًا هذه الأيام، هو يأتي متأخرًا، لا يتحدث مع أحد، ضيق الخلق، سريع الغضب، ثم إنه يقوم بتصرفات لا تليق، أن يتهم هذا وذاك بالسرقة والكذب، رفد اثنين من الموظفين حتى الآن لمجرد شكوك واهية لا ندري مصدرها، هل هناك ما ينغص عليه حياته يمكن أن نساعد به؟ هذا أكل عيشنا ومنذ أن عملنا معه من سنتين منذ أن افتتح الشركة ونحن مستقرون في عملنا وحياتنا، ولا نريد أن نفقد باب الرزق هذا، أستاذ نائل محترم وابن ناس،

تأتيه فترات ليتصرف تصرفات غريبة، لكنه يعود إلى طبيعته بعدها، لكن هذه المرة ساءت الأمور، حاولنا معه أكثر من مرة لكن دماغه عنيد، قررنا أن نحاول الوصول إليكِ لنسألكِ، هل هناك ما يمكن أن نساعد به؟ هل من الأفضل أن يرى طبيبًا؟ أن يسافر معك إلى خارج مصر حتى لتغيير الجو؟ إذا استمر الوضع بهذا الشكل فلن تصمد الشركة بضعة شهور أخرى".

صمتت لا تدري ما تقول، يبدو أنها ليست الوحيدة التي تعاني منه، بالطبع هم لا يعلمون شيئًا مما هي تعلمه عنه، وبالتأكيد هم أيضًا يعلمون أشياءً عن زوجها هي لا تعلمها وهي تعرف هذا، هو ذلك النوع من الأشخاص الذين يجيد تقسيم حياته إلى أقسام منفصلة من البشر لا يعرف فيها أي قسم شيئًا عن الآخر، ليبدو في النهاية أنه إنسان طبيعي بينما هو مسخ بشري، راجعت شذى الكلام، قالت له "مهلًا، هل قلت إن الشركة منذ سنتين؟ لكنه قال إن تلك الشركة منذ عشر سنين". بدا الرجل حائرًا لا يدري ماذا يقول، قال "ربما كان يمتلك شركة أخرى يا ابنتي، أنا لا أعرفه معرفة شخصية وهو يجيد إخفاء أسراره عن الآخرين جيدًا، أنا أحترم خصوصيته ولا يعنيني إلا أكل العيش".

تحدثا في حدود الساعة، ثم استأذنت ووعدتهم بالتحدث إليه، قالتها بفتور فهي لا تظن أن حديثها لزوجها سيغير شيئًا، صارت عاجزة لا تدري ماذا تقول أو تفعل؟ الموضوع يبدو أنه أكبر مما توقعت أو توقع أحد، اجتمعت الأفكار في رأسها الذي صار يغلي، هل هي مغفلة أن وافقت على الزواج منه؟ أخذت بضاعة لتكتشف في النهاية أنها بضاعة فاسدة؟ كمن وضع مدخرات عمره في مشروع ليكتشف رويدًا رويدًا أن المشروع فاشل، كان مجرد نصب لا أكثر، قررت أنها ستواجهه بقوة،

لا بد من حل لحياتهم تلك، الحقائق تنكشف والمسافة بينهما تبعد أكثر فأكثر، ستواجهه بحسم، إما أن يلتزم بالعلاج النفسي والمتابعة مع الطبيب النفسي، أو الطلاق.

****

كانت أول مرة تسمعه يتحدث إليها هكذا على التلفون، تحدث بصوت كله ذعر كأنما يفر من كل شياطين الجحيم، تحدث بسرعة قائلًا "اجمعي كل أغراضنا، سنسافر إلى مكان ما حالًا، نصف ساعة وأكون عندك، هناك من يتبعني وينهي عليَّ". لم تفهم ماذا يحدث بالضبط، اتصلت بأمها فقالت لها لا تغادري، وأن تتجه إلى البيت عندها، شعرت الأم أن كل ما مرت بها ابنتها من أحداث يستدعي القلق وأنها لن تضيع ابنتها من أجل شخص مجنون، هذا يكفي ولا بد للأمر من نهاية، بدلت شذى ملابسها وحاولت جمع بعضًا من أغراضها، جرت إلى سيارتها، توقفت قليلًا، تلك السيارة التي ابتاعها لها فلم تستقلها؟ لا تريد منه شيئًا، إن أرادت الاستغناء عن شخص ما من حياتها فعليها التخلص من كل الأشياء التي تذكرها به، ليس من الشرف أن تستعمل شيئًا من طرفه وهي تهرب منه، ستكون مثل فتيات الليل إذن، كالتي تبيع نفسها لتحصل على ما تريد ثم تهرب بما تقدر عليه، وقفت حائرة حاولت انتظار سيارة أجرة هنا أو هناك، ثم شعرت بيده على كتفها وهو يجذبها إليه بقوة، قال آمرًا "تعالي معي إلى السيارة حالًا".

حاولت مقاومته سقطت منها حقيبة ملابسها، استمر في جذبها حتى فتح باب سيارته ودفعها بالقوة إلى الداخل، وقف البواب يشاهد ومعه زوجته، لم يحركا ساكنًا، هو زوجها، وهما لن يتدخلا في مشاكلهما الداخلية، استسلمت له في النهاية والرعب يسيطر عليها، قاد السيارة بسرعة، عيناه متسعتان عن آخرهما وهو يقود

بعصبية يكاد يصدم أحدًا بسيارته، سألته فيما يشبه الصراخ "ما الذي يحدث؟ أين نحن ذاهبان؟". رد بعصبية "سأذكر لك كل شيء لاحقًا، لا تقلقي أنت في حمايتي وسأحميكِ بعمري كله لو لزم الأمر".

لم تدر ما مدى مصداقيته لكنها بدأت تستسلم رويدًا رويدًا حتى تفهم منه، وصلا إلى فندق في آخر حي الهرم بالقرب من طريق الفيوم، نزلا به وحجز غرفة لهما، أحضر قسيمة الزواج وبعض من ملابسه، بالطبع سقطت منها حقيبة ملابسها من قبل فوعدها بالعودة للمنزل لاحقًا أو حتى شراء بعض الملابس من أي محل هذا لا يهم، دخلت غرفة الفندق، وظلت واقفة تشاهده بينما هو ينهج بشدة وعيناه متسعتان من رؤية عفاريت هنا وهناك لا يراها أحد إلا هو، وقفت أمامه وعقدت ذراعيها وصمتت لمدة خمس دقائق ثم قالت "ممكن أن تشرح لي ماذا هناك بالضبط؟".

ظل يزفر ويلتفت حوله ثم ذهب إلى النافذة ليتحقق كأنما هناك من يتبعه، ثم عاد ليسير في كل الاتجاهات ليستقر أمامها بينما هي واقفة عاقدة ذراعيها أمامها مثلما هي، قال في النهاية "أنا أعلم أنك زوجتي حبيبتي ووقفتِ بجانبي كثيرًا، أنا أحبك، أعشقك". احتضنها بينما هي متصلبة لا تريد أن تجاريه حتى يجيب عليها، قال "أنا أمر بمشاكل بالعمل، المكتب يمر بضائقة مالية منذ فترة، فقدت الصفقة تلو الأخرى، استدنت من أحد رجال الأعمال بضاعة لتوزيعها، ولم أرد له ماله لعدة شهور وهو الآن يتتبعني، هو رجل شرير لا يرحم أحدًا، اتصل بي عدة مرات يهددني، أنا أشعر أن حياتي في خطر وحياتك أنت أيضًا، قررت أن نختفي عن العيون قليلًا، حتى أستطيع إبلاغ البوليس لحمايتنا، هل أخطأت هكذا؟ هل أخطأت عندما أردت حمايتك؟". قالها وهو يهز ذراعيها بقوة وعيناه متسعتان كالمجنون، بل هو مجنون

فعلًا، قالت وهي تزيل يديه عنها من الألم قائلة "أنا لا أفهم لماذا لا تبلغ البوليس؟ ما كل هذه الحوارات التي تشبه الأفلام البوليسية ؟ وما دخلي أنا بكل هذا؟ لماذا تسحبني معك كالرهينة؟". رد بكل قوة وهو يصرخ "أنتِ زوجتي، ماذا تعنين لا دخل لك؟ أنا زوجك ولا بد أن تقفي بجانبي؟" سارت لتجلس على السرير، وبكت بقوة وغطت عينيها بيديها وهي تشهق من البكاء، ما لها ومال كل هذا؟ كرهت الزواج بسببه، لم تكن تعرف أن حياتها ستصير جحيمًا بعد زواجها من مخبول مثله، ماذا تفعل الآن وهو يصارحها أن حياتها في خطر بسببه؟ لا تعلم عما يتحدث بالضبط وما تلك العصابة التي تتبعه؟ هي فقط تذكر أنها تقابلت مع اثنين من الموظفين يشكوان تصرفاته المريبة وكان ذلك سرًا وهي لا تدري هل تصارحه بذلك أم تحفظ العهد معهما بعد أن أقسما عليها ألا تخبره.

طلب من الفندق بعض الطعام لهما وحاول طمأنتها بين الحين والآخر، بينما هي لا تتحدث، اتصلت بأمها حتى تطمئنها حتى لا تصاب بنوبة قلبية من غيابها، كان واقفًا بجوارها ليستمع إلى ما تقولها لأمها وهو يحذرها من عدم البوح بمكانهما، ظلت أمها تلح عليها بترك المكان والحضور إليها حالًا والهروب منه، لم ترد شذى أن تثير شكوكه بمغادرتها له لأنها تعلم جيدًا كيف سيكون رد فعله، طمأنت أمها مرة أخرى أنها بخير وأنها ستكلمها مرة أخرى في الصباح، خلدا إلى النوم وحاولت طوال الوقت الحفاظ على مسافة بينهما، لم تعد قادرة على الاقتراب منه مرة أخرى، هو يملك الكثير من الأعذار وإذا استمع شخص غريب إلى الحكاية لقال أن زوجها لم يخطئ وهو فقط واقع في مصيبة وعلى الزوجة أن تقف بجوار زوجها، لكن من يرى الأحداث من الخارج ليس كمن يعيشها، لا بد لذلك من نهاية وقريبًا جدًّا.

****

في اليوم التالي نزلا للإفطار في مطعم الفندق، تركها عدة مرات وأجرى بعض الاتصالات ثم عاد لها في النهاية وهو يبتسم أخيرًا، قال لها "الحمد لله تم حل المشكلة، اتصلت بعدة أصدقاء توسطوا بيني وبين رجل الأعمال هذا وسينتظر ستة أشهر أخرى حتى أكمل ما دفعت". ظلت صامتة لا تريد أن تظهر له فرحتها، هي ما زالت مؤمنة أن كل ما يحدث ليس بالمعقول، هي لم تتزوج رجلًا يتعامل مع العصابات، ليأخذها من بيتها ويختفيان عن الأعين بهذه الطريقة، صحيح أنها تحب أن تتابع مسلسلات الإثارة بالتلفزيون لكنها لا تريد أن تعيشها، إذا أراد أن يعيشها فليفعل بعيدًا عنها لكنها لن تقبل هذا.

عادا إلى المنزل بعد الظهر، استقبلهما البواب ونظراته كلها تساؤلات، يريد أن يعرف ما جرى لكنه لا يجرؤ أن يسأل وهو يعرف طباع نائل الغريبة وانفجاراته غير المتوقعة وهو لا يريد أن يدخل في شجارات كلامية من نوعية "ليس من دخلك أين كنا". لكنه كان يشعر بالتعاطف تجاه شذى وأنها تعيش مع هذا الرجل المخبول، بعد أن وصلا إلى شقتهما جاء لها بحقيبتها وقال لها "يا مدام شذى هذه حقيبتك سقطت منك بالأمس". شكرته وأغلقت الباب ودخلت، كلمت أمها أنها عادت إلى البيت وحاولت أن تسألها أمها عن الأحداث بالتفصيل، لكنها فضلت أن تأجل الحديث حتى تزورها في اليوم التالي، وحتى لا يسمعها وهي تكلمها.

في اليوم التالي أخبرته أنها ستزور أمها ولن تذهب إلى البنك؛ لأن أمها قلقت عليها كثيرًا وتريد أن تراها، أخبرها بكل حزم أن تحذر في كلامها وألا تخبرها شيئًا بالتفصيل لأن الأمر حساس ولا يحتمل اللغط، طمأنته لكن بالطبع من داخلها تعلم أنها ستخبرها بكل شيء وليذهب هو إلى الجحيم.

وصلت لأمها التي فتحت لها الباب واحتضنتها بقوة وصرخت "ابنتي". ظلا يحتضنان بعضهما بعضًا بكل قوة، ثم دخلا وجلسا على الأريكة وشذي تردد ببكاء "أنا تزوجت مجنونًا يا أمي، أنا تزوجت مجنونًا". ربتت الأم على كتفها وقالت "لا تحزني يا ابنتي، أنا أخطأت منذ البداية أني وافقت على تلك الزيجة اللعينة، لن أتركك ترجعين إليه أبدًا، أنا لا أملك أحدًا غيرك". ظلتا تبكيان هما الاثنتان وهي تخبرها بكل مرارة عما تعانيه معه من تصرفات مخبولة لا تنبع من إنسان سوي، قالت لها أمها أنها ستبيت معها، وفي الصباح ستتصل بعمها ليأتي من الإسكندرية ويستمع لكل شيء ويضع حدًا لهذه المهزلة، ومع مرور الساعات بدأ نائل في الاتصال بها بينهما هي لا ترد، أخبرت أمها فطلبت منها ألا ترد عليه، وبعد المكالمة رقم عشرين ردت الأم بنفسها وقالت "أنا أمها يا نائل". وقفت شذى تحاول تقريب أذنها من التلفون لسماع ما يدور من حديث بينهما، سمعته وهو يتحدث بعصبية لم تلتقط كل حروفه ولكنها سمعت أمها تحدثه بقوة قائلة "لا يا نائل، هي لن تعود إليك وستبيت معي الليلة، أنا ابنتي لا تجري هكذا مثل أفلام العصابات، نحن لا دخل لنا بما يحدث في عملك ولن أعرض حياة ابنتي للخطر، أنا لا أملك غيرها". ظل يصرخ في الهاتف، وفي النهاية طلب أن يأتي في اليوم التالي عندهم للتحدث معهم ومحاولة حل المأزق، وافقت الأم مرغمة؛ فهو زوجها في النهاية، لكنها أكدت عليه أن شذى لن تعود للعيش معه مرة أخرى حتى تفهم كل شيء.

في اليوم التالي لم ترد شذى أن تذهب للعمل وهي في تلك الحالة وحتى لا تفاجأ به عندها في البنك، هي تريد أن تبقى في البيت مع أمها حتى يأتي عمها.

في اليوم التالي كانا في انتظاره، دخل وهو يلبس قميصًا أبيض بنطالًا أزرق جينز متناسقين في الألوان والتصميم، تعطر بأحد العطور الفخيمة، فهمت أنه

يحاول إظهار نفسه بمظهر أنيق لفرض نفسه عليهما، يحاول أن يلعب على وتر الإنسان الراقي ابن العائلات لفرض تأثيره، دخل وجلس والأم جالسة تنظر إليه تنتظر أن يتحدث، أخذ في فرك يديه في توتر حاول قدر الإمكان السيطرة على نفسه، قال لها "أين شذي؟". قالت "بالداخل كانت نائمة ستأتي بعد قليل، المهم أنا أريد أن أستمع إليك، شذي غير سعيدة، تصرفاتك مريبة، أنا قلقة على ابنتي، إن كان هذا المكتب سيأتي لك بالمشاكل فأغلقه". دخلت شذى في تلك اللحظة وهو يرد على أمها بينما ينظر إليها بابتسامة كأنما يحاول أن يستعطفها، قال "بالفعل، أنا أفكر في إغلاق المكتب، لا داعي للمشاكل، المسئولية كبيرة، والسوق صعب، لو كان لي من يساعدني، شذى مثلًا، أو أحد من عائلتي، لكني وحدي دومًا، فتحت على نفسي الكثير من السكك، حاولت توسيع العمل بالشركة وعقد الكثير من الصفقات لكن السوق أكبر مني، لا أريد المزيد من المشاكل، سأغلق المكتب وسأسرح الموظفين، أدفع ما على من ديون، سأبحث عن عمل بإحدى الشركات المالية وهناك الكثير يتمنى أن أعمل عنده، وحينما أكبر وأرزق بالأولاد أنا وشذى إن شاء الله، ربما سأفتتح شركة أكبر برأس مال أكبر وسيساعدنا أبناؤنا، أليس كذلك يا شذى يا حبيبة عمري؟". نظر لها فصمتت لا تدري ما تقول، قاطعت الأم نظراتهما قائلة "وماذا ستعمل يا بني؟ كيف ستصرف على البيت؟". قال لها "المسألة بسيطة أنا خريج اقتصاد وأعمال تجارية من واحدة من أرقي الجامعات الخاصة، العروض تأتي لي باستمرار للعمل بعدد كبير من الشركات، هكذا ستكون حياتنا أفضل وأكثر استقرارًا، لا مشاكل ولا مسئولية، أنا لا أريد أن أخاطر بشذى فهي أعز ما أملك، الإنسان يتعلم، أليس كذلك يا حماتي العزيزة؟". قالها وهو يضحك ليلطف الجو أكثر.

صمتت الأم وصمتت شذى لا تدريان ماذا يمكن قوله، ظل ينظر إليهما وقد شعر أنه قد حقق بعضًا من الانتصار، أكمل "ها يا حماتي، ألن تحضري لي شيئًا أشربه؟ أريد شايًا من يديك الجميلتين".

انصرفت الأم بعد أن سلمت أمرها لله، اقترب هو بجوار شذى وهي تنظر إلى الأرض متجنبة النظر إليه، بدأ الحديث معها بصوت منخفض حاول إضفاء سمة الحنان والملاطفة إليه "هل يصح هذا يا حبيبتي؟ تتركِ حبيبك هكذا؟ أنا فعلت كل شيء من أجل أن أرضيك، هل عندما أمر بضائقة تتخلي عني بكل هذه السهولة؟ أنتِ صرتِ كل حياتي، أرجوكِ لا تتركيني هكذا مرة أخرى، أنا لا أتحمل البعد عنك، أنا أعدك أن الأمور ستتحسن، سأغلق تلك الشركة وسأبدأ من جديد، سامحيني عن كل ما بدر وأعدك أنكِ ستظلين معي بأمان دومًا". أمسك بيدها بخفة بينما يتحدث معها بصوت منخفض ووجهه يقترب منها محاولًا التأثير فيها بكل قوة حتى تستجيب له، دخلت الأم وهما على ذلك الوضع، حاولت التنحنح لتنبيهه على حضورها، جلست وهو ما زال يمسك بيد شذى، نظر إلى حماته في تودد وقال "ستعود شذى معي الآن يا حماتي، أنا طمأنتها وكل الأمور ستصير للأفضل". صمتت الأم وابنتها وهما لا يدريان ماذا يقال، قام ومد يده لشذى حتى تقوم معه، نظرت لها الأم وقالت "قومي يا شذى مع زوجك، إن شاء الله خير". نظرت لها شذى متحفزة ثم استسلمت وقامت وعادا إلى منزلهما، و ظلت هي صامتة معظم الوقت بقية اليوم ترد باقتضاب وتتصرف بحذر.

****

في اليوم التالي وصلها اتصال على الهاتف المحمول من رقم غير مسجل، لكنها تشعر أنها تعرف هذا الرقم من قبل، انتظرت وقت الاستراحة فاتصلت بالرقم فرد عليها الأستاذ مصطفى الذي يعمل في شركة زوجها والذي قد قابلها من قبل، سألها إن كانت قد وصلت مع زوجها لأي حل، لم تدر ماذا تقول لكنها اضطرت مصارحته أن زوجها سيقوم بتصفية الشركة لمرورها بضائقة مادية، شعرت بنغمة حزن في صوته، ثم حمد الله على كل شيء، وأن الرزق بيد الله. قبل أن يغلق معها سألته عما إذا كان يعرف شيئًا عن رجل الأعمال هذا الذي يتتبع زوجها ويريد أن يأذيه؛ لأن زوجها لم يفِ بدينه بعد، بدا من صوت الرجل حيرة وقال "مدام شذى، أنا أعرف أن هناك بعض الدائنين وهناك أزمة مالية لكن ليس لدرجة أن يتتبعه أحد، ولا أظن أن أداء الشركة بهذا السوء، إنما هو الأستاذ نائل من تراجع أداؤه مؤخرًا، وهو إن عذرتيني السبب في كل تلك الأزمات بسبب عدم اتزانه في قراراته". لم تدرِ ماذا تقول، ولماذا سيكذب زوجها ويسحبها هكذا كأنه مطارد بينما الأمر ليس كذلك؟! فكرت بداخلها ربما أنه لم يخبر أحدًا من الموظفين بهذه التفاصيل الخطيرة أو شيء من هذا القبيل، ودّعت الرجل والذي قال لها قبل أن تغلق الهاتف "ضعي عينيك على زوجك يا مدام، خذيه إلى الطبيب أستحلفك بالله، أستاذ نائل غير سوي نفسيًا، يتصرف تصرفات عجيبة، يتحدث عن أناس قابلهم ولم يحدث أن قابل أحدًا، يتهيأ له الكثير من الأمور، يتحسن ويسوء الأمر معه مع الوقت لكنه مؤخرًا صار خارج السيطرة، أحيانًا يكون بمكتبه يصرخ، وأحيانًا يبكي، وأحيانًا يضحك بلا سبب واضح، احذري يا ابنتي وخافي على نفسك، مع السلامة".

أغلقت الهاتف وهي مصدومة، ظنت أنها ستصدم الرجل بخبر إغلاق الشركة فإذا هو يصدمها بكلامه، عادت إلى المنزل ونائل قد وصل قبلها، سألته عن أخبار الشركة وما أخبار إغلاقها؟ فقال إنها مسألة وقت وإنه يبحث الآن عبر علاقاته ليعمل بإحدى شركات سوق المال، ذهبت إلى الحمام وعادت لتجده ممسكًا هاتفها وهو ينظر لها بغضب "هل اتصل بك مصطفى؟". يبدو أنه يحفظ أرقام موظفيه أو أنه قارن الرقم بالأرقام المحفوظة على هاتفه، تسمرت في مكانها لا تدري ماذا تقول ثم قررت أن تقول الحقيقة، لن تذكر له أنه قابلها من قبل مع امرأة أخرى، لكن ذكرت أن الرجل حزين لإغلاق الشركة وانقطاع مصدر رزقه، استمر نائل في شعوره بالغضب قائلًا "كيف وصل إلى رقمك؟ هل يتجسس على تلفوني؟ هل سرق نمرتك من مكتبي بطريقة ما؟". ردت "لا أدري، أنا قلت لك ما قد حدث". صمت ثم قال بغضب مستمر "تأكدت الآن أكثر وأكثر أن قراري بغلق الشركة قرار سليم، موظفون متقاعصون عن العمل وفي النهاية يتجسسون عليَّ، ربما أوصل أحدهم أسرار العمل إلى أحد المنافسين، الحمد لله على أني عرفت الحقيقة منكِ زوجتي العزيزة". صمتت قليلًا ثم قالت "أستاذ مصطفى ذكر لي أن أعصابك متعبة، وأن تصرفاتك غير سليمة، من أصدق الآن؟ هل أصدقك أم أصدق هذا الرجل؟ أنا لم أعد أحتمل المزيد من الألغاز". صرخ بكل قوة "تصدقين من؟ زوجك بالطبع يا هانم، تصدقين رجلًا لعينًا مثل ذاك الرجل المخرف، بالطبع سيقول عني أقبح الصفات، أنا متأكد الآن أنه هو السبب في كل الخسائر التي حدثت للشركة، هو أفشى كل أسرارها". هزت رأسها في استسلام ثم قامت، مشي وراءها ليجذبها من ذراعها حتى تلتفت إليه وتحدث إلى عينيها مباشرة "حسبت أنكِ زوجة مخلصة تقف بجوار زوجها أمام كل أعدائه، هل كانت أمك حماتي الغالية تفعل ذلك مع

المرحوم والدك العزيز، هل تذكرين كيف كانت تقف بجواره في أعز الأزمات؟ ظننتك ستكونين مثلها، يا خسارة". قالت وهي تحاول تجنب النظر إلى عينيه "لا داعي للحديث عن هذا الآن". ثم تركته ومشت.

****

وصلت شذى إلى صديقتها ندى في شقتها والتي استقبلتها بالترحاب، احتضنتها شذى بكل قوة بعد أن كانت تفتقدها، وإن كانت ندى قد كبر بطنها قليلًا من الحمل، أمر لم تعتده شذى وهي ترى التحولات الجسدية على صديقة عمرها، جلستا في الصالة تتحدثان وتحكيان عن كل ما يأتي في طريقهما، قالت لها شذى "نريد أن نفرح بك أيضًا، لا يوجد أي شيء في الطريق؟". صمتت شذى لم تدرِ ماذا تقول، ثم قالت بتردد "لا أدري يا ندى، لا أدري إن كنت أريد فعلًا الإنجاب منه أم لا؟!". نظرت لها ندى بقلق وقالت "هل ما زالت هناك بعض المشاكل مع نائل؟". لم تكن شذى قد حكت لها على حادث هروبهما للفندق فحكت لها وحكت أنه قد أغلق الشركة بسبب الأزمات المالية التي مر بها وأنه ما زال يبحث عن وظيفة لمدة شهرين، شعرت ندى بالحزن والأسى على صديقتها، هي لا تريد أن تفرق بينها وبين زوجها، لكنها تشعر أن هذا الشخص غير سوي من مجموع ما سمعت منها عنه رغم أن ندى تعلم أنها تخبئ عنها أكثر مما تقول، قالت لها ندى بعاطفة صادقة "أنتِ لك الحق أن تقلقي، وأنا أخاف عليك، أنتِ ما زلتِ صغيرة، إذا انفصلتِ عنه وطلقكِ ستتزوجين من هو أفضل منه". ردت شذى بمراراة "والله يا ندى لم يعد لي رغبة في الزواج مرة أخرى، فقط أريد أن أتخلص من تلك الزيجة، المشكلة أنه في كل مرة يتلاعب بأعصابي ويبرر لي ما يحدث، يتهمني أنني غير مخلصة له وأني لا أتحمل

المشاكل التي يمر بها مثلما يحدث في أي بيت، تذكرين حينما حكيت لك كيف بدأ يتصرف بغرابة وعيناه المحمرتان كمن يشرب المخدرات" ردت ندى "أتذكر وأذكر أنكِ سألتِ رانيا وقالت لك أن تجري له تحليل مخدرات". قالت شذى "نعم وعاد التحليل سلبيًا". سألتها ندى بسرعة "إذن فما السبب؟ ما الذي يدفعه للتصرف هذه التصرفات الغريبة؟". قالت شذى وهي تزيح وجهها بعيدًا لكيلا تغرق في أحزان أفكارها "ربما هو مرض نفسي، أنا كنت أظن أن الأمر فقط عبارة وسوسة واكتئاب، كل يوم تنكشف لي مفاجأة جديدة، أشعر أني لم أتزوج رجلًا بل موسوعة من الأمراض النفسية لا أدري ما سينكشف لي كل يوم، كل يوم صفحة جديد من كتاب تبلغ عدد صفحاته ربما ألف صفحة".

ربتت على كتفها ندى وحاولت أن تقنعها بأكل شيئًا ما، حاولت شذى أن ترفض في البداية ثم وافقت، وبينما ذهبت ندى لإحضار بعض الطعام وفجأة رن هاتف شذي، لم يظهر الهاتف المحمول الرقم ويبدو أن المتصل استخدم خاصية عدم إظهار رقم الطالب، ردت شذى فجاءها صوت فتاة تقول لها "هل شذى معي على الهاتف؟". أجابتها "نعم، ومن أنت؟". فردت "أنا إنسانة لا تعرفيها ولا يهم أن تعرفي من أنا، كل ما أريد أن أقوله لك أن تسمعيني جيدًا، أنتِ متزوجة لرجل مجنون، أنا أعرف نائل نحن كنا مخطوبين لعامين كاملين". كل هذا وشذي تسمع الكلام وعيناها تتسعان من الكلام المخيف بينما ندى عادت بالطعام لتفاجأ بالموقف، اقتربت لتحاول استراق السمع لتعرف ما الذي يقال ليجعل صديقتها في تلك الحالة المرعبة؟! أكملت الفتاة "لا تتعجبي كيف استطعت الحصول على رقمك، المهم الآن ألا تستمري معه، أنا رأيت معه الأمرين، اهربي منه، هذا شخص غير سوي وتلك نصيحتي لوجه الله، مع السلامة". أسرعت شذى بالقول "لا تغلقي

الهاتف لو سمحتِ، ألو، ألوو". حاولت أن تعاود الاتصال بنفس الرقم لكنها وجدت أن الفتاة قد استخدمت خاصية عدم إظهار رقم الطالب وبالتالي لن تصل إلى رقمها، وقفت شذى مدهوشة لا تعلم ماذا تفعل، يبدو أن قرار الانفصال عنه صار لا مفر منه، الفرار منه كما قالت تلك الفتاة المجهولة، ظلت ندى تسألها عدة مرات قبل أن تفيق شذى وتحكي لها ما حدث، وقفت ندى مدهوشة قلقة على صديقتها، قالت لها ندى "هل تظنين أنه من الأفضل أن تتجهي إلى بيت أمك؟ لو أردتِ العيش معي قليلًا فزوجي لن يمانع، أنا صرت قلقة عليك". سكتت شذى قليلًا ثم قالت بحزم "بل سأذهب لأواجهه، لم أعاد أخاف منه". نهرتها ندى بشدة قائلة "هل جننتِ؟ تذهبين لمجنون كهذا؟ لن أسمح لك". قالت لها شذى وهي تتجه ناحية الباب "أنا اتخذت قراري، أريد أن أفهم منه لماذا فعل كل هذا؟ لماذا خدعني؟ إنه إنسان حقير، لن أهرب من كلب مثله". حاولت ندى جذبها، لكنها استمرت في السير نحو الباب، استقلت المصعد وطلبت سيارة أجرة، لم تعد تستعمل سيارتها التي اشتراها لها، لم تعد تطيق شيئًا من رائحته، وعندما سألها من يومين كذبت عليه وقالت إن السيارة بها عطل، ستذهب وتواجهه ولن تخاف منه، هكذا علمها والدها الحبيب ألا تخاف من أحد، ستقدر أن تدافع عن نفسها وستطلب الخلع منه، البلد بها قانون وهي لها أقاربها الذين سيذودون عنها بدمهم؛ فهي محبوبة العائلة حتى وإن كان والدها قد توفي، استقلت تاكسي وفي الطريق اتصل بها وسألها أين كانت فقالت إنها كانت عند صديقتها ندى؛ فصرخ في الهاتف قائلًا لها إنه قد أمرها من قبل ألا تذهب لها البيت مرة أخرى لأنها متزوجة، وزوجها غريب عنها، كما أنهم ليسوا من مستواهما، لم ترد أن ترد على صراخه بصراخ وهي في التاكسي، وقالت إنها ستصل إلى البيت للحديث معه عن أمر خطير وأغلقت

الهاتف. حينما وصلت الشقة أغلقت الباب وأخرجت الهاتف له وأخبرته أن فتاة مجهولة اتصلت بها تدعي أنها كانت مخطوبة له لمدة سنتين وأنها نصحتها أن تتركه وتهرب منه، صمت قليلًا لعدة ثوانٍ كأنما يحاول ترتيب إجابته، سار إلى غرفة النوم وجلس على السرير فمشت وراءه وكلها غضب مشتعل، وظلت تكمل كلامها بقوة "لماذا خدعتني كل هذا الوقت؟ أنا قبلتك بكل عيوبك، عرفت مرضك وقطعت على نفسي عهدًا أني سأقف بجوارك، لكن لكل شيء حدود، أنا لن أقبل أن أعيش مع شخص مجنون". بمجرد أن سمع تلك الكلمة (مجنون) حتى تحول إلى مخلوق آخر، شيطان قشر جلده البشري ليظهر من تحته صورته الشيطانية المريعة، عيناه احمرتا وغاصتا داخل جمجته فازدادا ظلامًا، صار يتنفس بجنون يزفر أنفاسه بكل هياج، أمسك ذراعيها وظل ينفضهما ويقول "أنا لست مجنونًا، أنا لست مجنونًا". ودفعها على الأرض ثم أزقفها مرة أخرى وهي تصرخ من الألم ثم جذبها مرة أخرى من ذراعها وألقى بها إلى السرير وقال بصوت هادر "أنا سأريك الجنون على أصوله يا حقيرة، يا خائنة يا عديمة الشرف". اتسعت عيناها من كل تلك الشتائم التي لم يحدث أن قالها لها أحد من قبل، لم يحدث أن تحدث إليها والداها بهذا الشكل، ما هذا المسخ الذي تزوجته؟ لم تكن تعرف أن الزواج فكرة لعينة هكذا، كانت تعيش بمفردها مع أهلها وأصدقائها ولم تكن لتعرف أنها ستُعذب بهذا الشكل، بدأ يتنفس بعدها بعشر دقائق بصورة أهدى عن ذي قبل ويستعيد هيئته البشرية، جلس على الكرسي الذي بجوار السرير قليلًا، ظل يراقبها وهي مكتفة في مكانها من الذعر لا تدري ماذا تفعل، لو حاولت الاتصال بأحد ربما يعتدي عليها أو يقتلها، أين ذهبت الشجاعة التي كانت تمتلكها قبل أن تراه؟ طارت وحل ملحها الخوف، هكذا هي الشجاعة الورقية، أحيانًا تكون حماقة، مجرد بيت

من ورق ينهدم مع أول هبة ريح، لعنت نفسها ألف مرة أنها جاءت بيديها إليه، ليتها استمعت إلى ندى، تحدث بهدوء كمن يحاول أن يسيطر على انفعالاته "الفتاة التي اتصلت بك فعلًا كانت مخطوبة لي لمدة سنتين ولم أرد أن أحكي لك، كانت تجربة سيئة خضتها ومحوتها من حياتي، إنسانة خادعة كاذبة، أخلاقها غير سليمة، رغم خطبتنا وإخلاصي لها كانت تتحدث مع أصدقائها الذكور في جامعتها بلا حياء، حاولت التحدث معها أكثر من مرة، لكنها إنسانة مستهترة لم يربها والداها جيدًا، تركتها، ومن وقتها وهي تتبعني لتنتقم مني، تحاول إفساد أي ارتباط أحاول أن أقدم عليه مع أي فتاة، حاولت تفاديها لكنها مصممة على تدمير مستقبلي؛ ذلك لأنها أحبتني بشدة، وأنا رفضت العودة إليها أكثر من مرة، وأنا لن أسمح لها أن تدمر علاقتي الزوجية، أنا سألاحقها قضائيًا، سأحبسها".

لم تظهر له أي انفعال، ظلت جالسة على السرير تتنفس بصعوبة وهي تترقبه وتترقب أفعاله وحديثه، وذراعاها وركبتاها مضمومتان إلى صدرها خوفًا من أن يتهجم عليها مرة أخرى، ابتسم لها بلطف محاولًا تهدئة الجو، والتي اعتبرتها هي محاولة بلهاء من شخص مضطرب اضطرت أن تصمت حتى تتاح لها الفرصة لتهرب، قام ثم جلس بجوارها وهي ساكنة لا تستجيب، ربت على كتفها بيده قائلًا "حبيبتي، اعذريني، أنا آسف، أظن أنه غير مقبول أن تقولي على زوجك أنه مجنون، أنا وهبت نفسي لك، كل ما أملك من أموال أنفقته من أجلك، والأمور ستسقيم، سأبدأ في عمل من الأسبوع القادم، سأشتري فيلا وننتقل إليها بعد عدة شهور، وستأتين لي بِوليّ العهد الذي سيملأ حياتنا فرحة وسرورًا، وسنأتي له بأخوة، نريد ثلاثة أولاد وبنت، أو بنتين وولدين أليس كذلك حبيبتي؟". ظل يضحك بينما هي تبتسم لمجاراته، أومأت برأسها بنعم وأنها متفهمة لكل ما قال، قال لها

"هل سامحتِني الآن؟ هل عذرتِني؟ هي فتاة مجنونة مثلها مثل غيرها، كلهم يريدون الظفر بي، حبيبك معبود النساء، هاها، لكني اخترتك أنت، أنت من أسرت قلبي يوم رأيتك في البنك ومن وقتها وأنا أعرف جيدًا أنك الإنسانة التي سأعيش وأموت من أجلها، لن أتخلي عنك أبدًا أبدًا". ظل ينظر لها وهو يهز رأسه كأنما يقول لها أريد أن أسمع منك كلامًا يطمئنني؛ فقالت بصوت مهزوز "بالطبع يا حبيبي، أنا شعرت أنها تكذب، أنت تعلم كيف تلعب البنات بعقول بعضهم بعضًا، أنت تعلم الغيرة لكني لن أتركك، لن أسمح لأحد بأخذي منك". ابتسم ابتسامة عريضة تعبر عن كم الراحة لما قالته، ظل يضحك من السعادة والسرور بعدها، ثم احتضنها وهي منكمشة على نفسها وقال "هذه حبيبتي، هذه حبيبتي". ثم رجع إلى الخلف بصدره بينما يداه ما زالتا على كتفيها يمسكهما بقوة.

قام ليغير ملابسه وأحضر لها بعض الطعام من الثلاجة ليأكلا، لكنها رفضت قائلة إنها متعبة جدًّا من يومها المرهق وزحمة المواصلات، قال لها إنه سيحضر الميكانيكي غدًا ليرى ما خطب السيارة، وافقته وقالت إنها كانت ستطلب منه ذلك بالفعل، ثم خلدا إلى النوم، لم تنم هي بالطبع بل ظلت تتظاهر بذلك، لم تنم دقيقة واحدة طوال الليل، ظلت تفكر في التسحب في الظلام والهرب بخفة لكنها ظلت خائفة، ربما يستيقظ في أي لحظة، صار كل همها هو كيفية الهروب منه بسلام، هي تعلم أنه الآن يشك فيها وفي رغبتها في الهرب وهذا يصعب من مهمتها، ظلت تبكي بداخلها دون أن تصدر صوتًا وهي عاجزة عن حماية نفسها من هذا المخلوق الراقد بجوارها، ظلت تتقلب في السرير بجواره، تغطس في نوم خفيف لعدة دقائق لتحلم بكوابيس لا تتذكرها لكن تتذكر أنها تقوم فزعة بعدها، ظلت هكذا حتى الصباح حتى الساعة الثامنة صباحًا، حاولت القيام بهدوء من جواره، سحبت ملابسها

بخفة من الدولاب، ثم انتقلت إلى الغرفة الثانية وبدلت ملابسها وحرصت على أخذ محفظتها حتى تستطيع أن تستقل سيارة أجرة عاقدة العزم على الذهاب إلى بيت أمها، ستطلب العون من عمها الذي كان من المفترض أن يأتي من قبل حينما لجأت إلى أمها لكن بسبب مناورات نائل تم إلغاء الاجتماع واتصلت أمها بعمها لتخبره أنه لا داعي لأن يأتي بعد أن تم الصلح، أما الآن فلا صلح، لم يعد مجال لهذه الكلمة، يوجد الآن الخلاص، ستقيم عند أمها حتى يتم الطلاق منه، هذا هو الحل النهائي بلا رجعة، خرجت من غرفتها تتسحب وتسير على أطراف أصابعها وعيناها على غرفة النوم لتتأكد أنه لن يخرج منها، ثم اصطدمت به من الأمام، وجدته واقفًا عند باب الشقة، تراجعت للوراء من هول المفاجأة، سألها والشك يملأ عينيه "أين تذهبين مبكرًا هكذا يا حبيبتي؟".

سكتت قليلًا ثم قالت "ذاهبة... ذاهبة لماما، لم أرها منذ فترة وقالت لي بالأمس إنها ليست على ما يرام". نظر لها وهي لا تفهم من نظرته شيئًا لكنها شعرت أنه لا يصدقها، قال "وكيف تذهبين بمفردك هكذا؟ وسيارتك، أقصد سيارتي التي اشتريتها لك بها عطل ولا تعمل؟ أيقظيني وأنا لا أمانع للذهاب معك لأطمئن على حماتي بنفسي، أليست تلك هي الأصول؟". سارت ببطء وجلست على الأريكة، طبعًا هي اختلقت قصة أن أمها متعبة، لكنها لا تمانع أن تذهب معه حتى ومن هناك سيكون موقفها أقوى للهرب، قال لها بلهجة آمرة "انتظري هنا حتى أغير ملابسي". هزت رأسها بنعم، مشي خطوتين ثم التفت لها قائلًا "لم لا تأتين معي إلى الغرفة، أنا افتقدك وأريد أن أملي عيني برؤيتك". وافقته وقامت معه، جلست على السرير بينما هو ينتقي ملابسه ويخلع ملابس النوم، قال لها إنه سيستعمل الحمام سريعًا، طبعًا فكرة أن تجري من أمام الحمام لن تنجح؛ لأنه سيسمعها من داخل

الحمام، الحل الآمن لها أن تنتظر حتى يصلا معًا إلى أمها ومن هناك ستنقض هي عليه وتباغته، ظلت تنظر إلى هاتفها وهي مترددة هل تتصل بأمها أو بندى لتأتي هي وزوجها لإنقاذها؟ خافت وشعرت أنها ستظل في خطر ما دامت أنها معه إذا شك فيها وفقد أعصابه، فجأة وجدت صراخًا غاضبًا من داخل الحمام، وسمعته بصوت هادر يصرخ "شذى، شذى". خرج من الحمام وهو يدفع الباب بقوة بينما وصل رعبها لقمّته وهي لا تدري ماذا جرى، دخل عليها وهو يجري إليها بقوة من الغضب ممسكًا في يده بشريط دواء قائلًا "ما هذا؟ ما هذا؟".

نظرت إلى الشريط سريعًا بينما ما زالت جالسة، اللعنة أنها حبوب منع الحمل، لقد نسيت أن تخبئها مثل كل مرة، نسيتها في الحمام، سألها بقوة "ما هذا؟". وعيناه مليئتان بالشرر، لم تدرِ ماذا تقول، ظلت ترتعش وترتعش، ثم قررت أن تتخذ القرار لتقولها في وجهه، حتى وإن قتلها هذا المجنون فعلى الأقل ستكون آخر كلماتها صفعة على وجهه علها تتشفى فيه قليلًا، قالت "لأني لا أريد أن أحمل طفلًا من رجل مجنون مثلك، أنا لا أريد العيش معك، طلقني". ازداد غضبه كأنما ستنفجر عروق وجهه وشدها من شعرها قائلًا "حسنًا، سأريك الجنون على أصوله، لن تخرجي من هذا البيت إلا على جثتي، سأتركك تتعفين هنا، يا قذرة، تريدين أن تهربي حتى تقابلي عشيقك، أنا أعلم كل شيء عنك، سأفضحك أمام الكل". ظل يشدها من شعرها وهي تصرخ، حتى سمعا صوت طرق الباب بقوة، نظر إلى الباب وقال لها "سأنظر من على الباب، وإذا تحدثتِ سأقتلك". فتح الباب ليجد البواب ومعه أحد الجيران قال لهما بتأفف "نعم، ماذا تريدان؟". قال له البواب "أستاذ نائل، نحن نسمع صراخًا منذ الصباح ونريد أن نطمئن، هل أنتم بخير؟".

صرخ نائل في وجهه قائلًا "وما دخلك أنت وهو؟ مشاكل عائلية، كل واحد ينصرف لحاله وإلا طلبت لكما البوليس لتهجمكم عليَّ وعلى زوجتي". فجأة ظهرت شذى من خلفه، جرت مسرعة لتدفع نائل والذي حاول أن يمسكها لمنعها من الهرب لكن البواب تدخل ودفعه، ومن ورائه الرجل الآخر يساعد البواب في السيطرة عليه جسديًا، صرخت شذى قائلة "أنجدوني، أنجدوني منه". حاول نائل أن يدفع الرجلين لكنه لم يقدر بينما البواب يقول له "لا يا أستاذ نائل، نحن من سنطلب لك البوليس، أنت لا بد من إيقافك". استمرت شذى في الجري، لا تدري إن كان هناك من الجيران من يشاهد أم لا؟ الفضائح صارت أقل ما يثير همومها الآن، ما يصبرها أنها لن تعود للعيش في هذا البيت مرة أخرى؛ فبالتالي لن ترى هؤلاء الجيران مرة أخرى، صار الهروب من الجحيم هو غايتها القصوى، أن تنفد بجلدها وحياتها، جرت على الشارع وأوقفت أول سيارة أجرة وطلبت منه أن يتجه مبتعدًا بأقصى سرعة على بيت أمها.

****

نزلت شذى من التاكسي مسرعة، تبدو لمن يراها كالمسوسة، شعرها مبعثر، تكاد تتعثر من عدم تركيزها في خطواتها، سمعت من ينادي عليها باسمها فلم تعر هذا الصوت اهتمامًا، كان هدفها أن تعود إلى بيتها القديم، إلي أمها، أقسمت ألا تترك هذا البيت مرة أخرى، هو موطنها الأول والأخير، البيت الذي نشأت فيه، نمت في ظل أبيها، ستعود إلى غرفتها وتحتضن صورته، ستحكي له كل شيء، ستطلب منه أن يأتي ليساعدها وينقذها مما آلت إليه، ولكن هي تعلم أن الأموات لا ينفعون أحدًا أو يضرون، دخلت على أمها التي احتضنتها بقوة وأغلقت الباب

بسرعة خوفًا من أن يكون زوجها في أثرها، احتضنتها وربتت على كتفها وقالت لها إن تلك الفترة من حياتها قد انتهت وأن الله سيعوضها خيرًا، وأنها ستنسى مع الوقت، لكن شذى تعلم جيدًا أنها جرحت جرحًا غائرًا لا يعلم أحد إلا الله متى سينجلي من ذاكرتها، سمعت طرقًا على الباب فخافت شذى وقالت "لا تفتحي يا أمي؛ إنه هو". نظرت لها الأم ثم وقفت بجوار الباب قائلة "من بالباب؟". رد صوت رجولي لم يكن صوت نائل "أنا كريم يا طنط، الرائد كريم جاركم". عقدت الأم حاجبيها لا تدري ما سر تلك الزيارة المفاجئة؟ فتحت الباب فوجدته واقفًا مظهرًا احترامه قائلًا بهدوء "أنا وجدت الآنسة، أقصد مدام شذى تجري وهي تبدو مذعورة، حاولت أن أنادي عليها فلم تجاوبني، شعرت بالقلق عليها فقلت إن الجيران لبعضهم بعضًا وجئت لأطمئن، أتسمحين لي بالدخول؟".

وافقت الأم، شعرت أنها هي وابنتها في الحاجة للعون والسند من أي رجل، الأم -أي أم- حين ينفطر قلبها على ابنتها بينما زوجها غائب عنها تشعر بالعجز وقلة الحيلة، مهما كثر الأقارب و الجيران، تشعر أنها مكشوفة هي وابنتها كصيد سهل، جلس وحاول أن يفهم شيئًا لكن شذى لم ترد أن تجيبه أو أن تخبره بشيء، هي تعلم أنه قد حاول التقدم إليها من قبل ورفضته وبالتالي فهو قد لا يحمل مشاعرًا طيبةً لها لمساعدتها، إلا أن الأم انهارت وحكت كل شيء له، هي تعلم أن ابنتها لا ترحب بذلك لكن وجوده بصفته ضابط شرطة وجار قديم لهم قد يوفر لهما الحماية خصوصًا وأن ابنتها قد تكون حياتها في خطر أصلًا، استمع لها كريم باهتمام، وظل ينظر لشذي بين الحين والآخر مظهرًا اهتمامه الشديد ومحاولًا إظهار قوته من خلال أسئلته التي حاول من خلالها إظهار حنكته وشدة شكيمته، حالت الأم شرح كل شيء له لكنه قاطعها قائلًا "انظري يا طنط، شذى في مقام أختي وهي في حمايتي

بحكم الجيرة، وجودها هنا صار خطرًا، المشكلة أننا لا يمكننا القبض عليه حاليًّا لأن الأمر لا يتعدي مجرد خلافات عائلية بين زوجين، لكنها إن رفعت قضية خلع عليه ستكسبها بكل سهولة وتحصل على الطلاق منه، سجله المرضي معروف، والمستشفى الذي يتردد عليه معروف؛ إذن فالأمر سهل، لكن وجودها هنا خطر، عليها أن تختفي عن الأعين، أن تقيم في بيت آخر حتى تتم إجراءات الطلاق وحتي نجد حلًا، ربما لو وصلنا لطرف خيط، أي شيء ضده، هذا شخص عقله ملحوس وببعض التحريات ربما استطعنا حتى حجزه بمستشفى الأمراض العقلية".

قالت الأم مؤمنة على كلامه "عين العقل، أنت وجودك هنا يا ابنتي خطر عليك، اذهبي لعمك في الإسكندرية، وأقيمي معه شهرين حتى تستقر الأمور". قاطعها كريم قائلًا "ولمَ البعد كل تلك المسافة يا طنط، أنا عندي فكرة، أختي مريم متزوجة ومقيمة في وسط البلد، قريبة من مقر عملي بوسط البلد، بالتأكيد شذى ما زالت تذكرها من أيام الطفولة كنا نلعب جميعًا معًا، زوجها في السعودية حاليًّا؛ فلن تجدي أي حرج من الإقامة معها، وهي تحبك كثيرًا منذ أن كنا أطفالًا نلعب مع بعض، وستقدرين في نفس الوقت من رؤية أمك بكل سهولة، لن تطيلين كثيرًا، أسبوعين لا أكثر حتى نعرف ماذا ينتوي هذا المجنون، ما رأيك يا طنط؟".

لم تجد الأم شيئًا لتقوله، قطع عليها التفكير وصمم، وقال إن شذى لا يمكن أن تبيت هنا، وإن عليها أن تحضر بعض الملابس وسيقوم بتوصيلها بنفسه، قال إنه سيخرج للاتصال بأخته بينما تقوم شذى بتجهيز حقيبة ملابسها، اتصل بأخته وأفهمها كل شيء ووافقت على الفور ثم انتظر شذى والتي خرجت له بحقيبتها بعد وداع أمها التي كانت ما تزال قلقة ومكلومة على ابنتها لا تدري ماذا تفعل، استقلا

السيارة معًا، ظلت تلتفت حولها لا تدري ما تقول بينما هو ينظر إليها، يتأملها، كم كانت معشوقته منذ الصغر؟ ظل يحبها منذ أن بلغ فترة المراهقة والآن هي بين يديه، تستنجد به، لولا الظروف لمد يده ليلمس يدها، حبه لها لم يكن حبًّا نقيًا خالصًا، بل كان حب تملك كي يزهو بها وسط أصدقائه وأقاربه كأجمل فتاة رآها وسط جيرانه، قال لها برفق "لا تخافي؛ نحن في أمان الآن، لن أتركه يصيبك بأي أذي، هل تودين سماع أغنية ما؟". نظرت له ولم تجد ما تقوله، عدلت من خصلة شعرها ما زادها جمالًا أمامه، ابتسم وقال إنه سيشغل مجموعة من الأغاني الهادئة لها، طمأنها مرة أخرى وقال إنه لم يشعر منذ البداية بالراحة لتلك الزيجة، وأنها تستحق أفضل من هذا، نظرت له، كأنها رسالة تحذيرية، هي ليست معه لتبادل حديث رومانسي بل لأنها في ورطة، فتراجع في كلامه وصمت وواصل القيادة، هو لا يريد إفساد الأمور برعونة، لكل شيء وقته.

أغلقت شذى تلفونها المحمول لمدة يومين، ظلت تتصل بأمها على الخط الأرضي، أحضرت لها أمها بعض الملابس واستسلمت لبعادها عنها حتى تستقر نفسية شذى قليلًا وحتى تظل بعيدة عن الخطر وحتى يتم التوصل إلى حل يخلصها من زوجها، عندما وصلت شذى لبيت مريم أخت كريم استقبلتها مريم بالترحاب واسترجعت معها ذكريات الطفولة حينما كان الكل يجتمع للعب أمام البيت، أظهرت مريم تعاطفها تجاه ما حدث في زواجها، وحاولت مواساتها بأنها قد سمعت عن حوادث كثيرة تكتشف الزوجة بعد الزواج بقليل سوء أخلاق زوجها أو إدمانه للمخدرات مثلًا أو تعدد علاقاته النسائية أو اكتشاف تربحه للأموال بصورة غير قانونية كالنصب وغيره، لا تدري شذى هل سماع مثل تلك الأحاديث قد يعطيها

بعضًا من الراحة النفسية؟ أن تشعر أنها ليست وحدها التي تعاني، ولماذا لا بد لها أن تعاني؟ لماذا لم تكن سعيدة الحظ في زواجها خصوصًا بعد رحيل والدها معشوقها الأول والأخير؟ لماذا لم يكن من نصيبها أن تكون في النصف السعيد من الكرة الأرضية وليست مع التعساء و البائسين؟ هل تسرعت في الحكم عليه؟ هل نائل يحبها فعلًا لكن مرضه هو الذي يقف في الطريق بينهما؟ لم تشعر يومًا بحبّه الحقيقي لها، شعرت أنه كان دومًا ما يحاول إسعادها وربما إسكاتها بالهدايا الثمينة والتفاخر بمستواه المادي الذي صارت تعيشه هي أيضًا، أن يرشيها عاطفيًا وماديًا، هي شعرت أنه كان يريد السيطرة عليها وتقبل ولائها وخضوعها لا أكثر، حتى وإن كان يحبها فعلًا فليس من حقه أن يخدعها بإخفائه مرضًا خطيرًا كهذا عنها قبل الزواج، ليس مرضًا واحدًا بل مجموعة من الأمراض المستعصية ومصطلحات وأمور لم تكن لتسمع عنها من قبل، كان من حقها أن تعرف بدلًا من أن تتفاجأ به عندما وجدته ينتفض من قبل بالبيت غائبًا عن وعيه لا تدري ما به حتى عرفت من طبيبه النفسي أن له باع طويل من العلاجات والمضاعفات وخلافه.

فتحت تلفونها المحمول ناوية أن تحدث أمها أو صديقتها شذى أو رانيا وربما تحاول التحدث مع أحد من البنك لتشرح أسباب غيابها عن العمل و لمدة يومين وتبعيات ذلك، وفجأة تفاجأ به يتصل بها، زوجها نائل، لم تعد حتى تعرف هل هذا اسمه فعلًا؟ ربما، وربما لا؟ هو ذلك الشخص الذي تزوجها منذ شهور وعرفته من قبلها بشهور أيضًا صدفة في مكان عملها؟ بلا أهل ولا أقارب؟ ليس هناك إلا خالته التي اتخذت جانبًا بعيدًا عنها وعنه لأسباب لا يعلمها إلا الله، لم تدرِ هل ترد عليه أم لا؟ من الواضح أنه ظل يتصل بها ويحاول الوصول إليها كل دقيقة، حتى إنها

بمجرد أن فتحت الهاتف وجدت رقمه أمامها يتصل بها، هو ما زال زوجها وهي الآن في أمان على الأقل، لذلك ردت عليه وقالت باقتضاب "ألو". قال لها "حبيبتي، أين أنت؟". لم تعرف ماذا تقول، صمتت قليلًا ثم قالت "أنا عند صديقة لي، لا يهم أن تعرف أين أنا الآن". رد بعصبية حاول أن يكتمها قليلًا "هل يصح هذا؟ أن تتركِ بيتك بهذا الشكل وزوجك الحبيب، هكذا بلا سبب، هل قصرت معك في شيء؟ هل تأخرت في إحضار أي طلبات لك؟ هل آذيتك إلا عندما وجدتك بدأت تجرحينني وتصممين على إيذائي؟". صمتت قليلًا، هي ستقول كل ما يدور بداخلها، لم يعد هناك ما يستحق الصبر عليه أكثر من ذلك، قالت "أنت لم تصارحني بكل شيء عن حياتك من البداية، كذبت عليَّ كثيرًا، لم تذكر لي حقيقة مرضك وكل تلك الأدوية، أنت لست مصابًا بالضغط أو الأزمة الربوية، أنت مصاب بأمور لا يمكن لامرأة أن تتحملها، لم يكن هناك داعٍ من البداية للزواج وإهانة بنات الناس معك بهذا الشكل". قال بانفعال "أنا لست مجنونًا، كل ما في الموضوع أني أتعرض لضغوط كثيرة في العمل، أذهب للطبيب بين الحين والآخر، لا أدري لماذا تضخمين الموضوع، ارجعي للمنزل وسنتحدث أكثر وسأشرح لك كل شيء، لكنك الآن مخطئة ولا يصح أن تقيمي عند صديقة وربما هناك رجال يعيشون معك، هل يصح هذا أن تعيشي مع رجال غرباء؟". صاحت "أنت كل ما يهمك أن هناك رجالًا حولي أم لا؟ كل مشاعرك عبارة عن شكوك واتهامات، أنت إنسان مريض والضلالات المسيطرة عليك توهمك أني أحاول خيانتك أو أني مع رجل غريب".

وجدته صامتًا يحاول ترتيب أفكاره، باغتته بالقول "أنا عند أخت الرائد كريم رائد بالشرطة، زوجها مسافر وهو متولي حمايتي من الآن، ولن تستطيع الاقتراب مني وسأطلب من عمي أن يحضر من الإسكندرية حتى أحصل على حريتي منك

بالطلاق، أنا تسرعت في ارتباطي بك والحمد لله أني لم أحمل منك حتى لا يأتي للدنيا طفل يرى التعاسة مثلما رأيتها أنا منك...". قاطعها قائلًا بلهجة مخالفة تمامًا لما بدأ به من محاولة إظهار حنانه وولعه بها، قال بما يشبه السخرية والشماتة "هل تحسبين أني سأطلقك بهذه السهولة؟ تهربين مع رجل غريب لتقيمين معه علاقة غير شرعية ثم تطلبين مني أن أطلقك بهذه السهولة؟ أن تحلمين يا عزيزتي، أنا انتشلتك من مستواك المادي الوضيع، اشتريت لك سيارة لم تحلمي بها، أسكنتك في منطقة راقية، أخذتك معي لتزوري و تأكلي في مطاعم راقية واشتريت لك ملابس من ماركات لم تكوني لتحلمي أن تضعيها على جسدك، ثم تهربين مني بعد أن قمت بخيانتي مع ضابط شرطة، أنت لم تري وجهي الحقيقي بعد". ردت عليه بكل احتقار "اخرس يا حقير، أنا أشرف منك ومن كل أهلك يا مريض، لا تتصل بي مرة أخرى وإلا أخبرت كريم بأخذك للقسم وحبسك". ضحك بصوت عالٍ حاول إظهار سخرية أكبر في نبرته "يقبض عليَّ؟ هذا النكرة؟ أنا أعرف كل رؤسائه، أنتِ لا تعلمين من أنا، قلت لك أنا لم أظهر بعد وجهي الحقيقي".

أغلقت الخط بسرعة ثم الهاتف حتى لا يتصل بها مرة أخرى، جلست على الكرسي تبكي بحرارة، الآن تبددت أي شكوك بداخلها من أنها ربما قد ظلمته، إنسان وضيع يشعر بالعجز ويحاول تعويض عجزه بمستواه المادي والأموال التي يمتلكها والتي هي في الواقع ورث من أهله لم يتعب هو في تحصيلها، منذ متى والأموال تحدد قيمة الإنسان وقدره؟ حتى هذا الوضيع لم يبذل أي مجهود يذكر، كلها أموال موروثة يضعها في مشروع هنا أو هناك، علي ماذا التكبر والتفاخر والتبجح؟ دخلت عليها مريم ووجدتها في تلك الحالة، جلست بجوارها وحاولت

مواساتها حينما وجدتها تبكي هكذا، حاولت فهم أي شيء منها لكنها وجدتها لا تريد أن ترد، اتصلت بأخيها وأخبرته أن يأتي ليفهم منها سبب بكائها الشديد، وصل بعد نصف ساعة ودخل على شذى وعلى وجهه علامات القلق والتفكير، ألح عليها فلم ترِد أن تردّ وكانت في حالة نفسية سيئة، وصلت أمها بعدها فأخبروها بحالها، جلست الأم تحتضنها وسألتها فأجابت وحكت عن المكالمة التي دارت بينها وبين نائل، قالت الأم بغضب "هذا الخسيس يقول إنه قد أغدق أمواله عليكِ وأنك خائنة وغير شريفة، السافل الوقح، أنت بنت أصول، ليذهب هو إلى مصحة الأمراض النفسية التي ينتمي إليها ولا نريد منه شيئًا". تدخل كريم وعلى وجهه علامات القلق والتفكير"نحن كلنا سنقف بجوارك يا شذى ومسألة رجوعك إليه صارت محسومة بأنها مستحيلة، من الواضح أنه ليس بالإنسان السهل، البلد بها قانون وملفه المرضي سيخدمك كثيرًا وسيكون في صالحك وسبب للطلاق، أنت تستحقين من هو أفضل منه ألف مرة، أنت فقط لم تضعي مجهودًا كافيًا لانتقاء شريك حياتك المناسب".

نظرت له أخته معنفة إياه أنه لا وقت لهذا النوع من اللوم، أخته تعرف ما يدور بخلده، هو كان يريد شذى له منذ البداية، جمالها الخلاب ثم تمنّعها عليه جعلها مرغوبة لديه بشدة، التمنع يزيد من حلاوة المرغوب، والرغبة في ملاحقته تزيد، وأخوها عنيد، هي تعلم أنه لا يفعل كل هذا لأنه ملاك يحب فعل الخير، بل لأن الفكرة ما زالت تلاحقه، فكرة الرغبة القديمة في أن تكون شذى له، ما زال غير قادر على إزاحتها من رأسه، حاول أكثر من مرة الارتباط بأكثر من فتاة لكن الأمور لم تنجح ، كما أن مواصفاته في اختيار شريكة حياته لا بد في المقام الأول أن تكون فائقة الجمال، فائقة الأنوثة، ولا مانع من أن يتباهى بها أمام أقرانه كنوع من أنواع

إثبات الرجولة، أخته تعلم وهو يعلم وشذى أيضًا قد بدأت تفهم أن كريم لا يريد أن يساعدها لوجه الله وأنه يريد أن يظهر سلطته وسطوته من خلال وظيفته، وأنه يريد أن يوصل لها أنه قادر على حمايتها في مثل هذه الظروف العصيبة، هو من النوع الذي يعطي شيئًا لينتظر مقابلًا على الفور، قررت شذى في قرارة نفسها أنها مستعدة أن تتحالف مع الشيطان نفسه في ظل هذا الظروف حتى تتخلص من هذا الوحش الذي خرب حياتها ويبدو أنه لا ينتوي الرحيل بهذه السهولة.

****

لم يكن أمام شذى إلا أن تغيررقم تلفونها حتى تتخلص من ملاحقة زوجها لها، لكنها تذكرت أمرًا ما، تذكرت قبل أن تضيع عليها كل الأرقام المحفوظة على الهاتف، تذكرت ذلك الرجل الذي قابلته حينما كانت في الإسكندرية مع نائل وقابلته مرة أخرى صدفة وأخذت رقمه، ظلت تبحث في الهاتف عن رقمه بعد أن نسيت اسمه، بالتأكيد وراءه سر ما، وهي تريد أن تكشف كل المصائب التي خاضها زوجها حتى تستخدمها ضده، كان اسمه عماد، ترددت قليلًا ثم اتصلت به فرد عليها في الحال، ذكرته بنفسها وأنها من قابلته في الفندق بالاسكندرية عندما كانت مع زوجها يقيمان هناك، فرد عليها بأنه يتذكرها وأنه سيتحدث إليها بعد نصف ساعة، ظلت تنتظر قلقة لا تريد أن تتلقى أي مكالمة مزعجة من زوجها، هي تريد أن تتحدث إلى ذلك الرجل وحفظ رقمه ثم الذهاب إلى أقرب محل للتلفونات لتغيير الرقم.

اتصل بها الرجل ثم سألها عما تريد، لم تدرِ ماذا تقول، قررت في النهاية أن تحكي له كل شيء وزواجها من نائل مرورًا بكل المفاجآت وحتى وصولها إلى قرار الطلاق منه، صمت الرجل محاولًا وزن كلامه ثم قال "انظري يا أستاذة شذى، أنتِ اتخذتِ قرارًا صائبًا بالانفصال عن هذا الشخص، أنا عرفته لعدة أشهر كان يتنقل فيها بين الفندق وشقة استأجرها، كان يقول كلامًا كثيرًا عرفت فيما بعد أنه إنسان كاذب وغير متزن نفسيًا، أنا لم أرِد أن أذكر لك هذا كله؛ لأنك زوجته، ولم أرد أن أعكر عليكما صفو حياتكما؛ فأحيانًا يقرر الانسان أن يتوب ويستقيم في حياته، وساعتها من الخطأ أن نقلب المواجع والماضي والله غفور رحيم، لكن ما دامت الأمور قد وصلت لهذا الحد معه فنصيحة أن تبتعدي عنه فهو إنسان لا رجاء فيه". صمتت وهي لا تدري هل تستمر في الحديث أكثر من هذا؟ لقد أصبح الحديث عن زوجها أشبه بالبحث داخل صندوق قمامة كلما بحثت أكثر بيديها داخل صندوق القمامة لم تجد إلا المزيد من الوسخ، حاولت أن تنهي المكالمة مع الرجل لكنه قال لها "على فكرة، أستاذ حسام أو نائل أو أيًا كان اسمه عليه بعض المشاكل والتي قد تدخله تحت طائلة العقوبات القانونية، الموضوع يحتاج إلى الحديث وجهًا لوجه، أنا أعلم جيدًا أنه قد عبث مع بعض الرجال وتلاعب معهم، اتفقوا على صفقة ثم أخذ المال واختفى فجأة، وأعلم أنهم يبحثون عنه وأنه ليس بالإنسان السهل ويبدو أنه كان يستخدم أوراقًا مزورة؛ لأنهم حاولوا أن يصلو إليه لكنه كان قد غادر شقته التي استأجرها مسرعًا، وحينما سألوا البواب اكتشفوا أنه لم يتعامل مع البواب باسمه الحقيقي بل باسمه المستعار، احذري منه وأنا على استعداد لتوصيلك بهؤلاء الناس عسى أن نقدر على إيقافه قبل أن يعبث مع أحد آخر". وافقت شذى على تلك الفكرة وقالت إنها ستتصل به من رقم آخر، وأنه

ستقوم بتغيير رقم هاتفها حتى لا يلاحقها، طمأنها الرجل بأنه سيساعدها وأنه سينتظر اتصالًا آخر منها، قال لها في آخر المكالمة "الصراحة أنا حينما رأيتك معه لم أكن أدري من أنت وإن كنتِ صديقته أم زوجته حتى عرفت منك ومن إدارة الفندق، هو إنسان لم يكن سويًا أخلاقيًا وكان يرافق كل يوم فتاة جديدة، وأنتِ يبدو عليك أنك بنت أصول، لكني لم أرد التدخل وقتها وقلت أن كل إنسان حر في حياته، آسف يا ابنتي ربما كان هذا تقاعس مني لكن سامحيني". أظهرت تفهمها وأغلقت الهاتف، ها هو خيط جديد ربما سيساعدها في التخلص من هذا الكابوس الذي تعيشه.

****

عادت شذى من الخارج إلى البيت بعد أن ابتاعت خطًا جديدًا لهاتفها المحمول، وزعت الرقم على أمها وصديقتيها المقربتين وبالطبع كريم وأخته التي تقيم عندها حاليًا، اتصلت على الفور بكريم لتخبره بما سمعت، اهتز صوته فرحًا وإثارة لما سمعه وقال لها ليطمئنها أن تلك نقطة في صالحها وصالحهم جميعًا، قال إنه سيتخذ كل الإجراءات اللازمة لملاحقة زوجها قانونيًا والذي يبدو أنه ليس مختلًا عقليًا فقط، بل أخلاقيًا وقانونيًا أيضًا، قالت له إنها ستعتمد عليه في هذا الأمر؛ فهي تثق فيه الآن كأخ لها، وجزء من العائلة وتتمنى أن تسير في إجراءات الانفصال عنه، رد عليها كريم مؤكدًا أنها لن تجد من هو أفضل منه لتسند إليه، أغلقت معه الهاتف، كانت ما زالت فترة الظهر، هي غائبة عن البنك لمدة أربعة أيام وكل ما فعلته هو أن اتصلت بهم وتركت خبرًا أنها تمر ببعض الظروف القهرية، قررت أن تنزل لتستقل سيارة أجرة وتذهب هناك بدلًا من الحبس الانفرادي هذا، وصلت إلى

البنك فقابلها حارس البنك، تهللت أساريره وجرى عليها وكاد يحتضنها، كانت تلبس نظارتها الشمسية السوداء لتخفي الهالات السوداء حول عينيها والتي نمت إما من قلة النوم أو من من البكاء الحار في غرفتها حينما تكون وحدها، قال لها الحارس "حمدًا لله على السلامة يا مدام شذي، أنا قلقت عليكِ وظننت أنك مريضة، حاولت أن أسأل زملاءك لكني لم أجد إجابة شافية، هل أنت بخير؟". لم تعجبها كلمة مدام؛ ربما لأنها تريد أن تنسى أنها تزوجت من الأساس وتنسى أي شيء يربطها بزوجها، تريد أن تجد نفسها قد فاقت من الكابوس، ماذا لو كانت غائبة ذاك اليوم عن البنك ولم تقابله وبالتالي لم يحدث ما حدث؟ ماذا لو كانت قد قبلت أحد الشبان السابقين المتقدمين لها وكانت الآن متزوجة من شخص أفضل، من وسط كل رجال العالم يقع حظها العاثر على هذا المختل عقليًا! ردت عليه بصوت ضعيف حاولت أن تكتم دموعها "أنا بخير، مجرد مشاكل عائلية، أنا سعيدة أني رأيتك؛ فأنت رجل طيب ووجودك يشعرني أن الدنيا ما زالت بخير". رد عليها بمزيج من الحنان والقلق "أي مشاكل؟ لا تقولي لي أنه زوجك، قولي لي وأنا أحدثه وأعنفه، امرأة جميلة مثلك وبنت أناس كرام لا بد أن يقدرها زوجها ويحمد الله على نعمته". قالت "لا أريد الحديث عن هذا الآن، أنا سأدخل لأقدم على إجازة أسبوع أو اثنين، سأتحدث إلى المدير قبل أن يرحل".

أبدى الحارس تفهمه وشعر أن الأمور ليست على ما يرام مع زوجها، قال لها قبل أن تغادر "على فكرة، أعتقد أن زوجك قد جاء ليسأل عنك مرتين، مرة سألني ومرة دخل ليسأل الموظفين بالداخل، أنا بالطبع أذكره جيدًا حينما كان يأتي هنا ليأخذك بعد ساعات العمل بسيارته، كان يبدو عليه القلق والتوتر، شعرت كأنه يريد أن يتشاجر مع أحد ما، لكني قلت له إنك غائبة لمدة يومين".

نظرت له شذى صامتة، لا بد أن ينتهي هذا الكابوس، لا يوجد حل لهذا الأمر إلا أن تتحدث مع خالته، هي الوحيدة التي تعرفها من أهله، لا بد أن يتوسط أحد، تتبعه لها لن يحل أي شيء بل سيزيد الأمور تعقيدًا، هكذا هي المرأة حينما تحسم أمرها أنها سترحل، حينما يتتبعها الرجل لن يحل المسألة بل سيزد تتبعه لها الأمور سوءًا، إذن فعلى نائل أن يتوقف وللأبد، قاطع الحارس شرودها قائلًا "ابنتي، هل أنتِ بخير؟ أنا أشعر بالقلق عليكِ وأرى أن الأمور ليست على ما يرام، هل لهذه الدرجة تعقدت الأمور مع زوجك؟ أنا لا أعرف كيف يبدو من الداخل وما هي نياته، أنا دومًا أراه وهو يبدو عليه الوقار والرزانة مهندمًا رشيق الخطوة، يبدو يا ابنتي أن الأمور ليست على ما يرام".

التفتت إليه شذى، هي لا تريد أن تنبس ببنت شفة، فهي تعلم أن لسانه كالحمار الهائج لا يهدأ حتى يثير ضجة ليسمعها القاصي قبل الداني، رغم طيبة قلبه، لكن طيبة القلب لا تعني خلوه من العيوب، صمتت ولم ترد، فقط سارت إلى داخل البنك والحارس يتتبعها بشفقة وفضول، سمعت عبارات الترحيب والسؤال من زملائها من الدور الأرضي وأجابت باقتضاب عليهم بأنها بخير، وأنها فقط كانت تمر بوعكة صحية، وأنها جاءت لتقدم على إجازة حتى تستعيد صحتها، صعدت إلى الدور الثانية بسرعة لتجد آخر من تريد أن تراه في حياتها، أستاذ خالد، كان واقفًا ومعه اثنتان من الموظفات، لا تدري ما سر حبه لملاحقة الموظفات بالذات من الإناث دون الذكور، حياها بطريقته المصطنعة السخيفة "السلام عليكم آنسة، هاها، آنسة، أقصد مدام شذى، أين أنت؟ هكذا غياب بدون إذن؟ أنا فقط قلق عليكِ". زفرت بحرارة وقالت "أنا كنت أمر بظروف صعبة وصحتي لم تكن على ما يرام، أنا ذاهبة لمقابلة المدير الآن بعد إذنك حتى أشرح له موقفي". رد عليها ببرود

قائلًا "المدير غادر مبكرًا اليوم، وأنا الآن نائب المدير لشئون الموظفين، آه، لقد تم ترقيتي من يومين وأنتِ غائبة، إذن فالأمر يخصني، تعالي معي إلى المكتب لنتحاور قليلًا". سارت وراءه حتى دخلا مكتبه، جلست على كرسي جانبي، وجلس هو خلف المكتب واتخذ وضعية المدير التي تشعره بالنشوة والزهو على ما يبدو، فرد ذراعيه على ذراعي الكرسي وعاد بظهره إلى الوراء وهو يتأملها، لا تدري كيف شعرت أنه يريد أن يخترق ملابسها بعينيه ليراها كأنها عارية، لم تكن نظراته سليمة أو بريئة، انكمشت في كرسيها، سألها بحزم "أين كنت حتى الآن يا مدام شذى؟ أربعة أيام غياب، كل ما فعلتيه هو الاتصال للاعتذار بأسباب واهية! لاحظي أنك اعتذرتِ أكثر من مرة للانصراف مبكرًا أيضًا خلال هذا الشهر، من المفترض أن يكون هناك عذر صحي وهذا يكون بشهادة طبيب مرفق معه التحاليل والأشعات". ثم مال إلى الأمام متفحصًا إياها جيدًا بعينيه قائلًا "إلا لو كان هناك أمر ما، أنا بمكانة الأخ لك يا شذى، اسمحي لي أن أقولها بدون أي ألقاب، أنا أعلم أنك لا تحبين بعضًا من أقوالي أو تصرفاتي لكنك لم تفهميني جيدًا إلى الآن، أنا أعتبر كل بنات البنك كأخوتي البنات، أحاول دومًا الدفاع عنهن حينما تقع أي مشكلة، لأني أعرف جيدًا أن المرأة ضعيفة تحتاج إلى الرجل ليقف بجوارها". عاد في كرسيه إلى الوراء مرة أخرى وقال "زوجك أستاذ، نائل على ما اعتقد، سأل عليك من يومين، يبدو أن هناك أمرًا ما وأنا لا أريد أن أتدخل في حياتك الخاصة، لكني غير مقتنع بموضوع الوعكة الصحية هذه".

قام من كرسيه والتف حول المكتب ليقترب منها من الخلف، شعرت بيده تربت على كتفها، لكنها شعرت أنه ربت على كتفها بصورة مبالغ فيها، أشبه ما يكون بالتحرش الجسدي مستغلًا وضعه وموقفها، لكنها رفع يده سريعًا، جلس على الكرسي المقابل لها، قال لها بصوت هادئ "أنا أعلم أن الزواج لا يسير دومًا على ما يرام، صدقيني عندما تستشعرين أنه ليس الرجل المناسب لك فعليك أن ترحلي على الفور، لا تضيعي زهرة شبابك مع من لا يستحقك، أنت تستحقين أفضل منه، تستحقين من يتقي الله فيك". لا تدري إن كانت تتوهم أم لا، لكنها رأته يمرر نظره بعينيه على جسدها مرورًا بصدرها إلى فخذيها، كانت تلبس بنطالًا أسود وبلوزة وردية، وشعرها مفرود على كتفيها، شعرت أنه سيقوم في أي لحظة ليتهجم عليها، هل يظن أن منصبه الجديد سيسمح له بهذا؟ إذن فهو واهم، فهي آخر من تترك أحدًا يستبيح جسدها؛ لأنه أعلى منها وظيفيًا، التقت عيناهما فوجد في عينيها نظرة تحدٍ جعلت يفيق مما هو فيه، قام وعاد مرة أخرى إلى كرسيه، جلس ثم قال "أنتِ تعلمين أن الرفد هو مصير من يتصرف هكذا من الموظفين". شعرت بالغيظ الشديد حينما سمعت تلك الكلمة منه، قد تسمعها من أي شخص إلا من هذا الحشرة، أكمل قائلًا "إلا أن لك معزّة خاصة عندي يا شذى، لذلك سأتغاضى عما حدث ونعتبر أنك كنتِ تمرين بظروف قهرية، إذا أردت أخذ باقي الأسبوع إجازة لا مانع، أنا كما قلت لك نائب المدير الآن وهو يثق فيَّ ثقة عمياء، أتعلمين لماذا؟ لأني أراعي الله دومًا في حياتي وعملي، أنا إنسان مستقيم لا ألعب مع هذه أو تلك، وإذا أعجبتني مثلًا امرأة فطريقي إليها هو الباب وليس الشباك، أنا أخاف الله، هذا على سبيل المثال فقط لأوضح لك". قالت "حسنًا أنا أشكرك على الموافقة على الإجازة، سأكتب ورقة وأتركها لك". ضحك قائلًا "يبدو أنك لا تفهمين يا عزيزتي، أنا وافقت

لك على الإجازة فلا داعي لأي أوراق، بالمناسبة ما خطب تلفونك؟ حاولت الاتصال بكِ أكثر من مرة أنا ومجموعة من الزملاء بدون رد، هل غيرتِ هاتفك؟".

قالت "نعم، هذا رقمي الجديد، سأعطيه لزملائي أيضًا، أنا غيرت رقمي لبعض الظروف الخاصة". ابتسم في مكر وهو يأخذ الرقم، الصورة تتضح له الآن أكثر وأكثر والأمر بدأ يأتي على هواه، وهي الآن صيد سهل له، الأمر لا يحتاج إلى شرح، أنثى جديدة تنضم إلى قائمة نسائه، لكن كل يأتي في أوانه.

****

كانت مريم إنسانة كريمة في ضيافتها لها، لم تقصر معها، أعطتها كل ما تحتاج من وسائل الراحة كأنها تعيش في بيتها، كريم كان يأتي ليزورها بين الحين والآخر، أحيانًا يتحدث معها في وجود أخته وأحيانًا يستغل أن أخته غير موجودة ليأتي بينما شذى بمفردها، لم تكن تحب هذا فأظهرت له تأففها وأنها تفضل أن يزورها في وجود أخته، وافق على الفور واعتذر، وقال إن جدول عمله أحيانًا يضعه في مأزق فلا يقدر على إدارة وقته وزياراته بانتظام، لكنه يريد أن يراها دومًا ليطمئن عليها.

كانت جالسة في مرة مع مريم وأمها التي جاءت لتزورها ليأتي كريم يسلم عليهن ويجلس معهن قائلًا بحماسة "أنا استطعت التوصل إلى بعض الخيوط التي ستدلنا إلى ما يخفيه زوجك، أنا اتصلت بهذا الرجل من الإسكندرية واتصلت بإدارة المباحث هناك وسنقوم بعمل التحريات اللازمة، ربما لو وصلنا لما يدينه فعلًا سيتم القبض عليه وساعتها سيكون من حقك الطلاق مائة بالمائة، المسألة مسألة وقت فقط ثم تتخلصين منه". قالت الأم "نحن شاكرون أفضالك يا بني، يا رب أزح

عنا هذا الكابوس، وأنا ذهبت لمحامٍ حتى نبحث إجراءات الطلاق، سنحصل على ملفاته المرضية من ذلك المستشفى الذي تم حجزه به، من أين لنا كل هذا العذاب يا ابنتي؟ الحمد لله أنك بخير، هذا عندي بالدنيا كلها". احتضنت شذى وهي جالسة جوارها ثم قالت "لا بد أن تعودي معي اليوم يا شذى، أنا لم أعد أطيق غيابك ولا نريد أن نثقل على كريم وأخته". رد كريم مسرعًا "كيف ذلك يا طنط؟ هو ما زال طليق ولا نضمن ما يمكن أن يفعله مجنون مثله وأنتما تعيشان بمفردكما، لو أمكنني لتركت العمل والله وجلست أمام باب البيت لأحرس شذى لكني ملتزم بعملي والله".

ابتسمت الأم لكلامه، نظرت لشذى، كأنها أرادت أن تلومها بنظراتها، ألم يكن ذلك جارنا منذ زمان ونعرفه ويعرفنا؟ لماذا رفضتيه من قبل؟ ألم يكن أفضل من هذا المختل عقليًا؟ ضابط شرطة ووسيم وطول بعرض ومستقبل ومكانة اجتماعية، فهمت شذى مغزى نظراتها فنظرت للاتجاه الأخرى، ولما لا تفهم نظراتها؟ أم وابنتها، لغة النظرات بينهما تغني عن أي كلام، بينما كريم يرقبهما ويحاول أن يحصل على تفسير لنظراتهما وإن كانت في صالحه أم لا، قال كريم مقاطعًا الصمت والنظرات "على العموم يا طنط أعطيني أسبوعين مثلًا سأحاول أن أجد عسكري حراسة ليقف أمام منزلكم حتى يعطيك إحساسًا بالأمان، فقط كل ما نريده أن تثمر التحريات بالإسكندرية عن شيء حتى ننقض عليه ونتخلص منه، لا تقلقوا فأنا أقسم أني لن أتركه". قامت الأم لتهم بالمغادرة وقلبها ينفطر أن ابنتها لن تعود معها إلى المنزل وعليها أن تنتظر أسبوعين آخرين حتى تنفرج الأمور.

قبل أن تغادر قالت الأم بينما شذى تقف معها في الشارع حتى يأتي التاكسي لتستقله "ابنتي، أنت لا تبدين على ما يرام، وجهك شاحب، وهناك هالات سوداء

حول عينيك، ويبدو أن وزنك قد نقص". ردت شذى "بالفعل يا ماما، أنا لا أنام هذه الأيام، أشعر بالقلق وتنتابني الكوابيس وليس لي رغبة في الطعام". تنهدت الأم في حرارة وهي ترى زهرة شباب ابنتها تنطفئ أمامها، غمغمت شذى ولم تدرِ ماذا تقول، حاولت أن تهدئ من روع أمها فقالت "سأذهب إلى رانيا لأرى إن كان الطبيب النفسي الذي تعمل معه قد يصف لي دواءً مهدئًا للأعصاب لأنام". قالت الأم "حسنًا يا ابنتي، لا مانع، لكن لا تسرفي في تناول تلك الأدوية حتى لا تفسد لك أعصابك أكثر، اقرأي القرآن وتوكلي على الله يابنتي، خليها على الله". جاءت سيارة الأجرة وغادرت أمها.

عادت شذى إلى المنزل واستلقت على سريرها في غرفتها، تفكر كثيرًا، وتدعو الله أن ينتهي كل شيء على خير، وجدت الهاتف يتصل، رقم غير معروف، هو في الغالب أحد الزملاء في البنك بعد أن تركت رقمها الجديد هناك، ردت على الهاتف لتجده خالد، قال لها بصوت هادئ حاول أن يضفي عليه لمسة من الرقة لم تستسغها هي "شذى، كيف حالك الآن؟ أنا لا أتصل بصفتي مديرك، بل بصفتي أخ وصديق، أنا شعرت بالقلق عليكِ لما رأيتك في مكتبي، أنا أريدك أن تعتني بصحتك، لا يهم العمل، خذي إجازة أطول وأنا سأعتني بكل شيء".

ظل يحدثها عن نفسه، وكيف أنه يحب مساعدة الناس، ثم تطرق لمسألة أنه يبحث عن شريكة حياته منذ فترة وأنه حاول الارتباط بأكثر من فتاة من خلال العمل بالبنك، لكنه رفضهن لأنهن كلهن صغار السن متهورات، وهو يريد امرأة ذات خبرة في أمور الحياة، شرح لها أنه يريد امرأة أيضًا تعرف حجم المسئولية وطبيعة عمله خصوصًا بعد أن تم ترقيته وأنه ذو طموح عالٍ جدًّا ويعلم أنه سيترقى في المناصب أكثر فأكثر، وأنه يعلم أنه سيحقق أحلامه كلها بعد أن بنى نفسه بنفسه

من الصفر، لم تدرِ شذى ما تقول له، ساعة ونصف من الكلام لم تستطع إيقافه، والوقت تأخر وهي تريد أن تنام ولا يصح أن تتحدث مع رجل غريب هكذا وهي في حكم المتزوجة، حاولت أن تغلق الهاتف معه أكثر من مرة لعذرهنا أو هناك إلى أن استطاعت أخيرًا أن تفلت منه لتخلد إلى النوم.

لم تكن مكالمته تلك هي الأولى فقد ظل على مدار أسبوع يتصل بها يوميًا تقريبًا، بدأت تتأفف من مكالمته، إلي أن جاء في مرة ليعرض عليها أن يتقابلا في مكان ما هادئ؛ لأنه يريد أن يتقرب إليها أكثر بعد أن بدأ يشعر بأن هناك تجانسًا بينهما وهو سعيد بهذا الشعور، صرخت في التلفون "أستاذ خالد، أنا تحملت مكالماتك السخيفة لمدة أسبوع، يوميًا بداعٍ وبدون داعٍ، وأنا في النهاية ما زلت امرأة متزوجة، أظن أنه من العيب أن تكلمني يوميًا بهذا الشكل لتحدثني عن ماضيك وحاضرك ومستقبلك وأنا غير مهتمة بكل ذلك". شعرت كأنها بهذا الكلام قد أخذت بحقها من هذه الشخصية المثيرة للاشمئزاز، شعرت بأنها قد صفعته ألف صفعة بكلماتها الحادة والتي يستحقها بكل صدق، صمت قليلًا، بدأ يتنفس بصعوبة بينما كرامته تنزف من الداخل لتسيل على شكل قطرات عرق تنزل على وجهه، قطرات حارة كماء النار، استجمع نفسه وقال "مدام شذي، أنا أحاول أن أساعدك، اليوم كان المدير مصممًا على رفدك وأنا وقفت مدافعًا عنك وقلت إني على اتصال دائم بك حتى تعودي لعملك على أقصى وجه وبدون مشاكل، فبدلًا من أن تصرخي في وجهي كان من الأفضل أن تشكريني". ردت بحدة "أنا لا أريد مساعدتك وأنا سأذهب لمقابلة المدير بنفسي وأشرح له كل شيء وأفضحك أمامه". وأغلقت الهاتف، نعم، ستذهب إلى المدير وتشرح له ظروفها وتكشف له أنه أخطأ بتعيينه، إنسان انتهازي يدعي التدين ليستطيع الوصول إلى أغراضه الدنيئة، وهي تعلم رغم أنها لا تمارس

الصلاة والعبادات مثله إلا أنها تملك قلبًا أنقى من قلبه الأسود المتسخ بكل القاذورات.

تلقت اتصالًا من أمها ردت عليها لتجد أمها تقول لها "شذي يا ابنتي، أنا وجدت خالته تتصل بي، نعم خالة نائل، تقول إنها تريد أن تأتي لزيارتي وأن تكوني موجودة لنجلس ونتحدث ونرى ما يمكن فعله، تقول إن نائل اتصل بها كثيرًا حتى تأتي للتحدث معي ومعكِ، ما رأيك يا بنتي؟ هي كانت تتحدث بأدب شديد ويبدو عليها أنها تريد المساعدة فعلًا، علَّنا نحل المشكلة وديًا ويحدث الطلاق بدون قضايا أو محاكم، تعالي الآن وهي قالت لي إن الأمر يستغرق منها أقل من ساعة لتكون عندنا". قالت شذى "وهل نائل سيكون موجودًا؟ أنا لا أريد رؤيته مطلقًا". قالت الأم "خالته أقسمت أنه لا يعرف أنها آتية الآن وهي متفهمة للموقف، تعالي يا بنتي لعله خير". اتجهت شذى إلى مريم وشرحت لها ما حدث وقالت إنها ستذهب لأمها وتعود على نهاية اليوم، استقلت شذى سيارة أجرة لبيتها ووصلت، وبمجرد أن وصلت بكت أول ما رأت بيتها الذي نشأت فيه، مملكتها التي خرجت منها حينما كانت ملكة معززة مكرمة بإرادتها على سفينة لم تكن لتعلم أنها ستأخذها إلى رحلة من العذاب، بعد أن كانت محروسة في بيتها، لتنقلب عليها الأمور لتؤول إلى ما هي عليه الآن، شعرت أنها حينما عادت إلى مملكتها قد استعادت مجدها القديم، غرفة المعيشة والمطبخ وغرفة نومها وصورة أبيها على الحائط كما هي تتملك فؤادها حينما تقع عيناها عليها، جلست في غرفة المعيشة بعد أن أخذت جولة في المكان، إلي أن جاءت الخالة، جاءت وحدها، دخلت وسلمت عليهما وجلست، اتخذت الخالة ركنًا في الكرسي وهي منكمشة على نفسها، تبدو على وجهها علامات القلق

والخجل، هي في موقف لا تحسد عليه، وتعلم أنها كأنما من يزور العدو على أرضه لدفع المفاوضات والوصول إلى اتفاق سلام.

نظرت لها شذى وأمها لا تدري أي منهما ماذا يقال، هل يتحدثان معها أم يستمعان أولًا إلى ما ستقوله وما الرسالة التي أتت بها من نائل، قالت خالته "أنا والله أعلم أن المشكلة قد تفاقمت بينكما يا شذي، هل يوجد حل للأمر يا ابنتي؟ هل أنت مصممة على الطلاق؟ هو يحكي لي القصة من وجهة نظره ويؤكد لي أنك لم تصبري عليه وقت ما مر بأزمة في العمل وأنت تحكين لي مواقفًا قد سمعتها منه بطريقة أخرى لا تطابق ما تقولين، أنا لا أقدر أن أقول عليك كاذبة حاشى لله". قالت شذى "طنط، أنا لن أجادل كثيرًا وكما قلتِ أنتِ فالحكاية ستتغير من الجهتين وهي ليست حكاية واحدة، أرجوك، أنا مثل ابنتك، إذا أمكن أن ننهي الموضوع وديًا وأحصل على حريتي وأنا متنازلة على كل حقوقي، فقط أريد حريتي". أومأت المرأة متفهمة لما تسمع، قالت "والله يا شذى أنا متفهمة لكل ما تقولين، أنا عندي بنت وولد مقبلين على الزواج وأنا أعتبرك مثل ابنتي وأشعر بك، أنت محقة في كل ما تقولين". صمتت قليلًا مترددة ثم قالت "والله يا بنتي أنا طلبت منه أكثر من مرة أن يمتنع عن الزواج، أنا لا أريد أن أحكي لأني لو حكيت سأحكي أهوالًا وأمورًا لن تسعدي لسماعها، حاولت أكثر من مرة أن أثنيه عن الزواج، نائل يا بنتي إنسان ليس متزنًا نفسيًا، ولا يصلح للعيش مع أحد، ولا يصلح أن يكون زوجًا أو أبًا، حتى إني كنت أحاول أن أتملص من درجة قرابتي به أحيانًا إذا وقع في مشكلة من مشاكله التي لا تنتهي، أنا عندي بنت وأريد الحفاظ على سمعتها، ربما هو مظلوم فهو ابن أختي -رحمها الله- ولا بد أن أتعاطف معه ولا بد أن تعذريني، قد تكون

تصرفاته خارجة عن إرادته، لكن في النهاية لا داعي لتعذيب بنات الناس معنا". وقفت شذى غاضبة لما سمعته وقالت "إذن أنتِ تعرفين أنه لا يصلح للزواج فلماذا لم تحذريني منه من البداية؟ ما دمتِ أنك تشعرين بالذنب وتقولين إن لك ابنة مقبلة على الزواج، ألا تخافين عليها من عقاب الله وأن يحدث لها ما حدث لي؟ أنت إنسانة لا تقلين كذبًا وحقارة عنه". صاحت بها أمها معاتبة "عيب يا شذي، هي في بيتنا". قالت المرأة مسرعة "والله حاولت كثيرًا يا ابنتي، كل مرة يأتي ليبكي أمامي، يشكو أنه بلا أب أو أم، وأنه سيتغير، وأنه يتابع مع الطبيب وأموره قد تحسنت وأنه قد افتتح شركة وصار ملتزمًا سويًا مستقيمًا، ماذا عساني أن أفعل؟ أذهب لكل بنت يتقدم لها لأحذرها وأقول لها لا تتزوجي ابن أختي فهو مريض نفسيًا لا يصلح للزواج؟ ضعي نفسك مكاني يا ابنتي".

أشارت شذى بيديها (أخرجي من البيت، الكلام انتهي ووقتك انتهي، إذا لم يطلقني من نفسه فسأتخذ كل الإجراءات بنفسي، مع السلامة)، قامت خالته وهي تجر رجليها من قمة الإحراج لا تدري ماذا تقول ولا متى ستنتهي مشاكل ابن أختها.

خرجت لتركب سيارتها وقبل أن تديرها أجرت اتصالًا بهاتفها تحدثت فيه لمدة دقيقة انتهى الكلام سريعًا وبدت عليها علامات التوتر بعد المكالمة، نزلت من سيارتها، لتجده قادمًا، نائل، كان يسير بغضب وذهب للتحدث معها بصوت عالٍ غاضب "أنا لن أطلق أحدًا، هي زوجتي وسأدخل لجرها من شعرها إلى سيارتي حالًا". صرخت المرأة محاولة إرجاعه عن قراره بلا فائدة، إذن فهو كان مختبئًا بالخارج ينتظر خالته لتقنع شذى لتصطحبها معها حتى يأخذها إلى البيت، هذا ما كان يتمناه والذي رفضته شذى من الأساس، لكن هل خالته كانت تعرف أنه ينتظر

بالخارج وقد كذبت على شذى وأخلفت وعدها بأنها ستأتي بمفردها؟ أم أنه هو من تتبعها بدون علمها؟ اتجه نائل إلى الباب وظل يصرخ بصوت عالٍ وهو يضرب الباب بكل قوته يكاد يكسره "اخرجي يا شذى، أنا نائل زوجك، لن أطلقك، عودي إلى بيت زوجك، تريدين أن تخونيني مع سيادة الضابط، أنا صبرت عليك كثيرًا، لكن لن أصبر عليك يا عديمة الشرف، تقيمين مع رجل غريب في بيتي وبدون إذن زوجك، أنا سأؤدبك بطريقتي". كل هذا وخالته تحاول جذبه إلى الشارع مرة أخرى، بينما شذى تبكي في الداخل وأمها ترد "ارحل يا ابني وإلا طلبنا الشرطة لك".

فجأة ظهر كريم، توقع ما سيحدث فقد شعر بحسه الأمني أن نائل سيظهر وأنه تتبع خالته سواء بعلمها أم لا، أما كريم فبعد أن عرف من أخته أنها ذاهبة لتقابل خالته تحرك مسرعًا متجهًا لبيت أمها، جاء مسرعًا من القسم بعربة الشرطة بالبدلة الرسمية، وقد حدث ما توقعه ليسمع الضجيج ويجري إلى الشقة، هجم كريم عليه بسرعة خاطفة وقال "أنا الرائد كريم، تفضل معي إلى القسم". جذبه من رقبته بعد أن طوقها بذراعه، حاول أن يفلت منه نائل وهو يقول "أنا لم أقم بأي جريمة، أنا أريد زوجتي". استمر كريم في شده والسيطرة عليه بذراعه الملفوف حول رقبته، حتى وصلا إلى باب العمارة وخالة نائل واقفة على مسافة تشاهد ما يحدث بلا حول ولا قوة، فتح الباب ليدفعه إلى داخل سيارة الشرطة في المقعد الخلفي، إلا أن نائل دفعه بقوة ليفلت منه وليسقط كريم على الأرض، حاول كريم القيام مسرعًا، للحاق به إلا أن نائل التقط حجرًا من على الأرض بسرعة وألقاها على رأسه ليسقط مرة أخرى مصيبًا جرحًا في جبهته، أخذ كريم بعض الوقت ليستعيد اتزانه وهذا ما استغله نائل ليذوب في الزحام بينما

جرت خالته على سيارتها لتقودها وتختفي هي أيضًا مسرعة، قام كريم بعد أن استعاد اتزانه، وقف بعض المارة يشاهدون ما يحدث بينما بعض الجيران واقفون في شرفات منزلهم يشاهدون بكل شفقة وحزن ما يحدث لجارتهم بنت الأصول التي لا تستحق كل هذه الفضائح، صعد كريم إلى شقة شذى وطرق الباب لتفتح له الأم بينما شذى واقفة بعيدًا عن الباب مذعورة، دخل وبعض الدماء ما زالت تسيل من جبهته فجلس وأحضرت الأم بعض الضمادات الطبية لتطهير الجرح بينما جلست شذى بجواره لتطمئن عليه، قالت له "أنا آسفة لكل ما حدث لك، أشكرك لأنك أنقذتني، أنا أحمد الله أنك ظهرت في الوقت المناسب". قال لها بعصبية "قلت لك لا تأتِ هنا بمفردك هكذا، هذا إنسان مختل عقليًا، كيف يمكنك أن ترضين بالزواج من هذا المعتوه؟". عادت الأم ببعض الضمادات وقالت "والله يا ابني لم يكن ليظهر عليه أي من ذلك، الناس صارت لا تطاق، لا تدري من يدخل عليك الباب و ماذا يجلب وراءه وما يخفيه لك، صرنا لا نثق في أحد يا بني". قال كريم بصوت خلطه بكثير من الحزم "طنط، أنا أريد شذى لي، بعد أن تحصل على الطلاق منه وتقضي شهور العدة سنتزوج، أنا أصلح واحد لها، صحيح أنها رفضتني من قبل ولكن الظروف تغيرت وأنا أيضًا تغيرت وصرت إنسانًا مسئولًا، أنا أريد الارتباط منذ فترة ولن أجد أفضل من شذى جارتي بنت منطقتي، ما رأيك يا شذي؟". صمتت شذى لا تدري ماذا تقول، هي أصلًا تريد أن تزيل فكرة الزواج من حياتها، وكل ما تريده هو التخلص من المأزق الذي تمر به، وهي لم تحصل حتى على الطلاق ليتقدم إليها الآن شخص لخطبتها، ردت الأم "أنت جارنا ولم نرَ منك إلا خيرًا، ربنا يسهلها أولًا ونتخلص من زوجها". قام كريم وقال بنغمة تعلوها الجدية والحسم "لا تقلقي يا طنط، أنا سأجده، أنا متأكد أنه سيختفي عن بيته المعروف للناس، هو

الآن تعدى على ضابط شرطة، وكل المصائب التي ظهرت ستقوي موقفنا، هي مسألة وقت، تعالي معي يا شذى سأوصلك بسيارتي لبيت أختي، الآن ليس الوقت المناسب لتعودي إلى منزلك". ودعت شذى أمها والتي تساقطت دموعها خوفًا عليها وحزنًا على فراقها، ركبت معه وهي تفكر بينما هي تجلس بجواره، من قبل كانت ترفضه، أما الآن فكيف سترفضه وهي في موقف ضعف، ترى هل هو بهذا الشكل يستغل ما تمر به للزواج منها؟ أن يستغل سلطته ونفوذه ليتخذ موقعًا أعلى من غيره للظفر بها؟ وكيف تتأكد أنه يحبها فعلًا؟ هي لا تريد أن تخرج من تجربة مريرة لتجربة أكثر مرارة، هي تعلم كريم منذ الصغر وتعلم أنه شخص غير مسئول لا يتحمل مسئولية بيت ولا يظهر احترامًا للمرأة وللناس بصفة عامة، وأن دخوله كلية شرطة لم يكن لخدمة الشعب والوطن، بل للوصول إلى مركز قوة يستطيع من خلاله ممارسة سلطاته على الناس ليس أكثر.

وصلا إلى البيت واستقبلتها مريم والتي حكت لها أنها أبلغت أخاها؛ لأنها شعرت بالقلق عليها، وحمدت الله أنه جاء في الوقت المناسب.

****

استمرت محاولات أستاذ خالد للاتصال بشذى مرة أخرى والتي تجاهلتها، قررت أن تنزل إلى البنك وتتحدث إلى المدير مباشرة، وصلت البنك وحيت الحارس بسرعة دون أن تتحدث معه وصعدت إلى الدور الثاني، ردت على عبارات التحية باقتضاب وهربت منهم، لم تعد تهتم بنظرات الفضول التي تتبعها، وصلت إلى مكتب المدير لتجده غير موجود أيضًا، حتى أستاذ خالد ولحسن حظها لم يكن بالبنك أيضًا، قابلت إحدى مساعدات المدير، امرأة طيبة تعرفها منذ زمن، دخلت عندها المكتب بعد أن تم دعوتها، فكرت أن تجلس معها حتى يعود المدير لتقابله في مكتبه تشرح له الظروف التي تمر بها وتطلب منه إجازة حتى تستقر حياتها، لم تكن تتوقع من مساعدة المدير أن تسمع منها هذا الكلام، قالت المرأة إن أستاذ خالد يتحدث عنها بكلام غير طيب مؤخرًا، وأنه قد أوصل للمدير كلامًا ما جعله يستشيط غضبًا منها، كلام مثل أنها منحلة أخلاقيًا وقد حاولت إيقاعه عن طريق الهاتف أكثر من مرة ليساعدها في العودة للعمل والترقية ولكنه رفض، قالت إنها لا تطيق خالد منذ زمن طويل وتعلم نياته القذرة لكنه ذكي وماكر واستطاع الوصول لمنصب أعلى ليحوز ثقة المدير والقيادات العليا؛ لذلك فهي تتجنب الصدام معه، ظلت شذى بعدها تسب فيه، توعدت أنها عندما تراه الآن ستصفعه على وجهه مثلما فعلتها من قبل وهو يحدثها مرارًا وتكرارًا فصفعته بكلماتها، نصحتها الموظفة ألا تفعل ذلك لأن خالد؛ لن يتركها وسيسوء موقفها أكثر، صمتت شذى قليلًا ثم قررت أن تغادر البنك، وقبل أن تغادر شكرت الموظفة على مساعدتها لها وقالت إنها ستصرف أمورها بطريقة ما، اتصلت بكريم على هاتفه فرد عليها بسرعة، قالت له إنها عائدة من البنك وستحدثه في أمر مهم حينما ينهي عمله وطلبت منه أن يمر عليها عند أخته، وافق على الفور.

حينما وصل كانت في انتظاره، قالت له "هناك من يزعجني في البنك وأنا أريد مساعدتك". قال لها بكل حماسة تنم عن سعادته الداخلية أنها تلجأ إليه وتثق فيه "قولي لي من هو وأنا سأمحوه من على وجه الأرض". حكت له كل شيء عن أستاذ خالد منذ أن بدأت العمل معه إلى آخر التطورات وملاحقته لها واتصالاته وعرضه أن تتناول الغداء معه في مكان هادئ إلى ما سمعته من مساعدة المدير من تعرضه لسمعتها، هز كريم رأسه بقوة وقال بصوت قوي "تعالي معي حالًا". لم تفهم ماذا ينتوي بالضبط، ركبت معه سيارته، حتى وصلا إلى قسم الشرطة الذي يعمل به، استقل سيارة الترحيلات وطلب منها أن تركب معه وأخذ معه اثنين من العساكر واتجه إلى البنك، نزل من السيارة وطلب منها أن تنزل معه وأن ترافقه إلى داخل البنك، لكنها رفضت رفضًا، وقالت إنها ستنتظره بالسيارة، نزل هو ودخل البنك، حاولت هي ألا تظهر نفسها وهي تجلس بالمقعد الأمامي وكانت أمنيتها ألا يراها أحد من العاملين بالبنك في هذا الوضع، دخل كريم وطلب مقابلة خالد والذي نزل إلى الدور الأرضي وهو في توتر حذر، سأل كريم "هل هناك أمر ما يا حضرة الضابط؟". رد عليه كريم بقوة "أنت متهم بالتعرض للأستاذة شذى التي تعمل هنا معك بالبنك، والاعتداء عليها بالسب والقذف، تفضل معي على القسم". رد خالد بغلظة "ما هذا الذي تقول ومن أين جئت بتلك المعلومات المضللة؟ أنا أفهم في القانون جيدًا، أرجوك يا حضرة الضابط تأكد من المعلومات المغلوطة قبل أن تتخذ إجراءات غير محسوبة العواقب". رد عليه كريم بسخرية "أنا أعلم القانون جيدًا، في الحقيقية الموضوع ليس موضوع شذى، وصلتنا معلومات أنك تنتمي لجماعة إرهابية وأنك تعمل على نشر الفكر الديني المتطرف بين زملائك في البنك، مما يكدر الأمن العام، تفضل معي". رد خالد وهو يحاول مقاومة جذب كريم له "أي

معلومات وأي هراء هذا الذي تقول؟". استمر كريم في دفعه حتى ألقى به في سيارة الترحيلات من الخلف، التقت عينا خالد مع عيني شذى وهي جالسة في المقدمة، حاولت إخفاء عينيها بيدها حتى لا تنظر إليه مباشرة حتى تم الزج به في العربة من الخلف، عاد كريم إلى مقعد القيادة وقاد السيارة بينما ينظر إلى شذى بزهو بعد أن أنهى عمليته التي أراد أن يثبت بها أمامه كم يقدروكم يستطيع، بمجرد وصولهم إلى القسم نزلت من السيارة بسرعة واتجهت إلى سيارة كريم الخاصة تنتظره هناك، صحيح أنها سعيدة تشعر بالشماتة لما يحدث لخالد إلا أنها لا تريد أن تختلط بجو الأقسام والمجرمين وتريد فقط أن تشاهد من بعيد، دخل كريم إلى القسم ثم عاد إليها وهي تنتظر عند سيارته، سألها عن سبب انتظارها بالخارج قالت "أفضل أن أظل هنا في الهواء الطلق، أنا أريد أن أعود إلى المنزل فأنا أشعر بالارهاق الشديد بعد هذا اليوم الطويل". طلب منها أن تنتظر بالداخل أو حتى في سيارته حتى ينهي بعض الإجراءات بالداخل، لكنها رفضت فأوقف لها سيارة أجرة وودعها، بعد اصطدام كريم مع خالد ظلت تردد تلك المقولة المشهورة "اللهم اضرب الظالمين بالظالمين وأخرجنا منها سالمين".

****

قررت أن تزور رانيا صديقتها في العيادة، دخلت عليها وسلمت عليها بعد أن انتظرت لحين الانتهاء من أحد المرضى، حكت لرانيا أنها لا تشعر أنها متزنة نفسيًا في الفترة الأخيرة وأنها تنام ساعات قليلة جديدًا، تتقلب في السرير بدون رغبة حقيقية في النوم، وأنها صارت منعزلة عن الناس لا تتحدث لأحد، تشعر أن هناك أفكار بين الحين والآخر تتمنى لو أنها تموت في الحال، وأنها بدأت تشعر بأن الدنيا كئيبة سوداء تسير أحداثها ببطء، تسأل نفسها لماذا ولدت وجاءت لهذا العالم من

الأساس، سألتها رانيا إن كانت قد فكرت في الانتحار فنفت ذلك وقالت إنها مجرد أفكار لكنها لم تكن لتؤذي نفسها فعلًا، قالت لها رانيا إن تلك أعراض اكتئاب، كتبت لها اسم أحد الأدوية على هيئة أقراص (فلوكستين) وقالت إنها من الممكن أن تبدأ بجرعة متوسطة غير عالية، قالت لها رانيا إن مفعول الدواء الحقيقي لن يظهر قبل أسابيع، وأنه سيبدأ بالتدريج، وأن عليها أن تنتظم عليه حتى يأتي بنتيجة فعالة، قالت لها إنها من الممكن أن تشارك في جلسات علاج جماعي لتتحدث عن نفسها وسط مجموعة من المصابين بالاكتئاب وأن هذا النوع من الجلسات يأتي بنتيجة فعالة، رفضت شذى شاكرة وقالت إنها تفضل الأدوية حاليًا والراحة بالبيت، بعدها بدأت شذى الالتزام بالدواء، في نفس الوقت استطاعت الوصول للمدير عن طريق التلفون وطلبت منه إجازة مفتوحة فوافق على الفور، بعد كل هذا اللغط واقتياد خالد من البنك وانتشار أخبار عن أن الضابط له صلة من نوع ما معها، علي ما يبدو أنها صارت غير مرحب بها بالبنك وأن عليها أن تبحث عن عمل في مكان آخر، هي استنتجت هذا من طريقة كلام المدير، لكن ما يشفي غليلها هو أن نفس الشيء سيحدث لخالد على الأقل، هو أيضًا لم يعد مرحب به هناك كما عرفت من إحدى الزميلات على الهاتف.

استمرت إقامتها عند مريم أخت كريم لمدة أسبوعين آخرين قررت بعدها أنها ستعود إلى أمها مهما كانت العواقب، هي مقيمة عند مريم قرابة الشهر وهذا أكثر من المعقول، قررت أن ترى صديقة عمرها ندى، لتستعيد الذكريات الحلوة معها، زارتها في بيتها، كان بطنها قد بدأ يمتلئ أكثر فأكثر من الحمل، أخيرًا سيكلل زواجها بمولود يملأ عليها وعلى زوجها حياتهما لتزداد سعادة، جلست شذى في الجهة المقابلة لهما بينما ندى وزوجها سامح يجلسان بجوار بعضهما، ينظران إليها بحب

ممزوج ببعض من الشفقة على ما آلت إليه، وهي تنظر إليهما، تتمنى لهما السعادة من قلبها بلا ضغينة، ندى كانت وستظل صديقة عمرها وهي تستحق كل خير، وزوجها إنسان مسئول يقدس بيته، وصديقتها تحبه، مثل هذا النوع من البيوت هو الذي لا بد أن يستمر حتى تستمر الحياة، حاولت شذى إخفاء بعض من نظرات الحسرة وهي تتحدث إليهما وحاولت ألا تظهر بأي شكل من الأشكال أنها تحسدهما أو أنها تتمنى لو كانت في مكانهما، قالت لها ندى "شذى، أنت أختي العزيزة، والله ستنفرج الأمور عليك، أنت طيبة القلب وما حدث قد حدث وستنسيه مع مرور الوقت، ستجدين ابن الحلال الذي يعوضك عن كل هذا، ولا تقولي إنك كرهتي الزواج بسبب ما حدث، نحن نسمع يوميًا عن حوادث ومواقف مشابهة، الحياة تستمر ولن نتركها تقف بسبب شخص ما جاء لحظنا العاثر في طريقنا". في النهاية سلمت عليهما شذي، شددت عليها ندى أنها إذا أرادت الإقامة معها فهي مرحب بها، رفضت شذى العرض بكل تهذيب وقالت إنها ستعود للعيش مع أمها في أقرب وقت مهما كلفها الأمر.

بدأت شذى تشعر بتحسن مع استمرارها على الدواء بعد أيام من البدء عليه، كان تحسنًا تدريجيًا لكن كان ملحوظًا، شعرت أنها صارت قادرة على أن تنام أكثر، شهيتها ازدادت، بدأت على الأقل في الابتسام بعد أن ملأ الحزن وجهها بالتجاعيد، شعرت أن نظرتها للحياة صارت أكثر تفتحًا، هل من الممكن أن تتوقف سعادة الإنسان أوتعاسته على حبة دواء؟ إذن فالسعادة ليست عملية روحانية فقط بل تشمل أيضًا عملية كيميائة وتفاعلات تحدث داخل الدماغ وقد تؤثر فيها الأدوية سلبًا أو إيجابًا، لكن السعادة التي تأتي عن طريق الأدوية هي سعادة صناعية، مثل

باقة الورد الصناعية، يبدو أن كل شيء في الحياة صار صناعيًا حتى السعادة، إلا الحزن بقي طبيعيًا لا يحتاج إلى من يصنعه.

****

تمر الأيام ولا جديد هناك، شذى منتظمة على دواء الاكتئاب منعزلة عن من حولها، تقضي وقتها بين التلفزيون والقراءة والحديث مع أمها على الهاتف، وتلفون يأتي من هنا أو هناك، اتصل بها عمها من الإسكندرية، لم تكن علاقته بأبيها ممتازة لوجود خلافات في الماضي، لكنه على الأقل كان يدعمها معنويًا ويحاول بين الحين والآخر، يقوم بعمل اتصالات بها أو إسداء بعض النصائح لها فيما يخص موضوع الطلاق وإجراءاته، أما كريم فكان دائم الاتصال بها يوميًا تقريبًا، كالعادة كل كلامه يحمل معنى واحد هو معنى الاعتداد بالنفس والتعالي والتكبر، لم تكن تدري كيف ستتحمل العيش معه إذا تزوجا فعلًا، كريم مريض بمرض من نوع آخر، النرجسية، عشق الذات، لا يرى في الوجود إلا نفسه، هي تشعر أنه لا يحبها وأنه فقط يريد الزواج منها لكسر كبريائها، وربما أنه لن يكون أمينًا فعلًا عليها، هو ليس من النوع الذي يقدس الزواج والحياة الزوجية، هي تعلم جيدًا نظرته الدونية للمرأة، وأنه يعتبرها وسيلة للمتعة لا أكثر، وأنه تحدث لها أكثر من مرة عن رفضه لفكرة عمل المرأة بعد الزواج، ليس تدينًا ولا رجولة لا سمح الله، لكنه حب السيطرة، ماذا لو نجحت ووصلت لمرتبة أعلى منه؟ هو لن يتحمل حتى مجرد افتراضية الفكرة في حد ذاتها حتى إن لم تتحقق، ظل يحدثها بين الحين والآخر عن التحريات المستمرة عن نائل وماضيه في الإسكندرية ونشاطات مكتبه الذي كان

يديره منذ وقت قريب، لم تكن تشعر أنه مكترث كثيرًا لهذه القضية، كان كل همه أن تبقى هي مقيمة عند أخته طوال الوقت، ليحذرها من العودة للعيش مع أمها لوجود خطر على حياتها بسبب تتبع زوجها لها، وعندما ذكرته بفكرة العسكري الذي قد يقف للمراقبة والحراسة كما وعد من قبل، تملص من الفكرة متعللًا بنقص عدد أفراد الخدمة وصعوبة إيجاد أحد لهذه المهمة، دعاها مرتين للغداء معه في أحد المطاعم الهادئة بحجة تغيير الجو وإخراجها من الجو المشحون الذي تعيشه، لم تجد ما تقوله حينما حاول إمساك يدها أثناء جلوسهما لتناول الطعام، أو محاولته وضع ذراعه على كتفها والتي انتهت باضطرارها لإزاحة ذراعه حتى لا يتمادى، حاول مرة أخرى أن يتجول معها قليلًا بسيارته بأحد الأماكن الهادئة المهجورة لكنها تهربت منه.

بعد مرور ما يقرب من الشهر ونصف من الإقامة عند أخته، قررت شذى مغادرة المكان، تحججت أن أمها متعبة وضغطها مرتفع وتحتاج لها بشدة، ورغم ضغط كريم عليها إلا أنها صممت وقالت إنها ستقيم عند أمها أسبوعًا وربما تعود للإقامة مع أخته ثانيةً، وأنها ستتخذ حذرها ولن تفتح الباب لأي أحد، كانت إجراءات الطلاق تسير في الاتجاه الصحيح، كانت أقوى أسلحة شذى هي الحالة المرضية لزوجها وتاريخ حجزه بالمستشفى وشهادة طبيبه النفسي والذي تعاون بشكل تام مع المحامي بما يفيد أن حالته المرضية قد تمثل خطرًا على حياة زوجته وأنه من خلال وقائع سابقة مثبتة من خلال تقرير الطبيب فالأمر في صالحها، أما كريم فلا أحد يعلم إن كانت هناك تحريات من الأصل قد تمت في الإسكندرية أم لا، هو كلام لكسب الثقة والوقت لا أكثر، ولولا تعاملها هي وأمها مع محامٍ محنك، ونصائح وتوجيهات واتصالات عمها عن بعد لوقفت القضية في مكانها محلك سر،

لا تنسَ أيضًا خدمات زوج ندى والذي أخذ توكيلًا منها للتعامل مع المحامي، كانت حبيسة المنزل تخاف أن تعتب بابه للخارج، ظلت في حالة سبات عميق متقوقعة على نفسها حتى تستعيد توازنها.

استيقظت من نومها متأخرة كعادتها، نزلت مريم لقضاء بعض الحاجات في ذلك اليوم تاركة إياها بمفردها، قامت شذى من السرير لتعد كوبًا من النسكافية، لتعود بعدها إلى غرفتها لتقوم بتجهيز أمتعتها استعدادًا للعودة إلى بيتها آخر النهار حيث تنتظرها أمها، كان الترتيب أن شذى ستنتظر عودة مريم من الخارج لتوصلها بسيارتها، دخلت الحمام لتستعمله وتغسل وجهها وتمشط شعرها، خرجت لتسمع صوت الباب يفتح، لم تكن تتوقع عودة مريم مبكرًا فهي نزلت منذ ساعة واحدة فقط، وجدت كريم يدخل الباب، معه نسخة من المفتاح إذن، وقفت مترددة لا تدري سبب زيارته المفاجئة، هي لا تتوقع زيارته إلا في وجود أخته غالبًا، حياها قائلًا "إذن فهو قرار نهائي، ستعودين إلى منزلك اليوم، أنا قلق عليك بشدة". قالها وهو يجلس على الكرسي بغرفة المعيشة، قالت "نعم، اعذرني، ماما بحاجة إليَّ بشدة، هي بحاجة إلى أن تشعر بوجودي بجوارها في هذه الأيام العصيبة". تنهد بحرارة وهو جالس ليبتسم لها ابتسامة لم تفهم مغزاها، قالت بصوت متقطع "مريم ذهبت لتنهي بعض الأمور لتعود لتوصلني بسيارتها". قال لها "آه، إذن هي غير موجودة الآن، اعذريني لو جئت في وقت غير مناسب، نحن لم يعد بيننا أي تكليف، فأنا صرت واحدًا من العائلة أليس كذلك؟". ردت شذى بنفس الصوت المتقطع "بالفعل يا كريم، أنت كأخي، أقصد أكثر من أخي، تحب أن أعد لك كوبًا من النسكافية؟". قال "بالطبع أكون شاكرًا". اتجهت إلى المطبخ حتى تتخلص من

المواجهة المباشرة معه، لا تدري لماذا ظل جالسًا أمامها هكذا، من المفترض أن يغادر المكان بمجرد معرفته أنهما بمفردهما، أو ربما هو كان يعرف من البداية.

دخلت المطبخ ليدخل وراءها واقفًا على الباب، نظرت له نظرة تجمع بين التوتر والترقب، قال لها وهو يسند يده على حرف الباب كأنما يسد الطريق عليها "أتعلمين أنهم قاموا بتحويلي للتحقيق لأني أخذت سيارة الترحيلات وقبضت على خالد مديرك في البنك، يدّعون أني فعلت ذلك لمصلحة شخصية وليس لتأدية مهام عملي، أنا لا أريد أن أشعرك بالذنب لكن فقط لأوضح لك كم أتحمل من أجلك، أنا لا أحتمل أن يؤذيك أحد أو يدوس لك على طرف". التفتت له لا تدري ماذا تقول، قالت "أنا آسفة جدًا لكل ما حدث، أنا لن أنسى وقفتك معي وكل ما تحملته من أجلي وكل المجهود الذي بذلته أختك لاستضافتي، والله لا أدري كيف أرد الجميل". ثم عادت مديرة ظهرها لتكمل عملها لكوب النسكافية، بينما هو واقف يتأملها ويتأمل جسدها، كانت تلبس ملابس النوم (بيجاما)، لم تكن قد غيرت ملابسها بعد أن طب عليها فجأة، ظل يتفحص جسدها الرشيق بداية من ظهرها وانحناءات جسدها مرورًا بمؤخرتها ثم رجليها، تحرك بسرعة منقضًا عليها من الخلف، محاولًا احتضانها بخفة وقوة في نفس الوقت قائلًا "سأفتقدك كثيرًا، أنا أحبك يا شذى ولم أعد قادرًا على الصبر أكثر من هذا". فزعت لانقضاضته، حاول وضع يديه على ظهرها ورقبتها ليقبلها لكنها حاولت دفعه لتصرخ "ماذا تفعل؟ كريم؟". تراجعت للخلف فتبعها محاولًا وضع يديه على ذراعيها مرة أخرى لتكبيلها وقال "ماذا بك يا شذي؟ لماذا تدفعينني؟ لا تقولي لي إنك ما زلت لا تحبينني، أنا فعلت كل شيء من أجلك، كدت أدفع حياتي لحمايتك، والآن أنا محول للتحقيق، أليس من حقي أن

أروي ظمأي قليلًا، لا أحد بالبيت". ظلت تدفعه بذراعيها وعيناها متسعتان من الرعب وقالت "قلت لك ابتعد عني، أنا ما زلت متزوجة، أرجوك، أنا، أنا لا أنكر أنك فعلت كل شيء من أجلي، لكني لست مستعدة الآن لفعل ما ترغب أنت به، أرجوك، أنت قلت لي إننا سنتزوج بعد أن أحصل على الطلاق، ألم يكن هذا وعدك؟". قال لها وهو يصرخ بجنون "نعم، إذن فلمَ تقاوميني؟ سنتزوج إذن فاتركِ نفسك لي، أنا فقط أشعر برغبتي الشديدة في معانقتك، أرجوك". جرت لتحمل سكينًا كبيرًا كان على منضدة المطبخ ورفعته في وجهه محذرة، نظر لها بغضب قائلًا "ماذا؟ ستقتلينني؟ أنا لا أظن أنك تقدرين على فعل ذلك، أنت تحبينني ولا تقدرين على إيذائي". ظلت تدور في مكانٍ رافعة السكين بينما هو يحاول المحافظة على المسافة ليقترب منها محاولًا الانقضاض على فريسته في اللحظة المناسبة.

استطاعت أن تصل إلى الباب أخيرًا ونظرت له محذرة "أنت لم ولن تفكر في الزواج مني، ولم تكن تحبني من البداية، أنت إنسان شهواني حقير". نظر لها بسخرية قائلًا "وما المشكلة في ذلك، أنت الآن متزوجة هاربة من زوجك، تحتاجين إلى من يحميكِ، ولن تجدي أفضل مني لحمايتك، من يحتاج إلى الزواج؟ هل تظنين أني أفعل كل ذلك من أجمل جمال عيونك؟ أنت مثلك مثل أي فتاة، كلكم متشابهون، وأنا أحذرك إذا لم ترضخي لي فلا حماية لي عليك، فهمتي اللعبة أم لا؟". نظرت له بنظرة بها مزيج من الغضب والغيظ، دموعها على وشك السيل من عينيها، جرت على غرفتها بسرعة وأغلقت الباب بالقفل من الداخل، جرى وحاول دفع الباب حتى لا تغلقه لكنها كانت أسرع منه، ظل يطرق على الباب بجنون قائلًا "افتحي الباب، قلت لك افتحي، أنا سأرميك في الشارع وأطلق عليك هذا الكلب

نائل، لن تجدي من يحميك بعد الآن". قامت بجذب منضدة المكتب لتضعها خلف الباب حتى لا ينكسر من طرقاته العنيفة، كان من حسن حظها أن هاتفها المحمول ما زال بغرفتها وما زال مشحونًا، اتصلت على الفور بمريم، صرخت قائلًا "مريم تعالي حالًا؛ أخوك يريد الاعتداء عليَّ". سمع كريم محادثتها وصراخها على الهاتف فتوقف عن الطرق، أغلقت الهاتف وجلست على السرير وهي تبكي، لم تسمع أي صوت منه فخمنت أنه قد غادر، قامت بتبديل ملابسها بسرعة، وأخذت معها حقيبة أمتعتها، لم يكن يعنيها إن كانت ستنسى شيئًا هنا أو هناك؛ فهدفها الأساسي هو الهرب بأي شكل، فتحت الباب فوجدته قد غادر فعلًا، جرت على السلم ووقفت على الشارع حتى ظهرت لها سيارة أجرة استقلتها في الحال متوجهة إلى بيتها حيث تنتظرها أمها، اتصلت بها في الطريق وصوتها متهدج "ماما أنا في الطريق إليكِ، لا أنا في التاكسي لم آتِ مع مريم، سأشرح لك كل شيء حينما أصل".

****

حينما وصلت استقبلتها أمها بالأحضان، عرفت منها ما بدر من كريم، ظلت تسبه وتدعو عليه أنه لم يحفظ الأمانة ولم يكن رجلًا معها، ظلت شذى تبكي في حضنها، قالت إنها كرهت الزواج وأنها لن تتزوج ما دامت حية، كانت المرة الأولى التي توافقها أمها، قالت لها الأم أنها لا تدري ماذا جرى للناس، قالت إنها تفكر أن تأخذها لشيخ ليقرأ عليها حتى ينفك نحسها وتبتعد عنها شياطين الإنس والجن، لم يكن لدى شذى أي رغبة في محاورة أمها أو مجادلتها، هي فقط تريد أن تعود إلى منزلها القديم لتستعيد حياتها الأولي كما كانت، أما العمل ففي الغالب ستترك البنك لتبدأ بداية جديدة في مكان آخر، حاولت مريم الاتصال بشذى بعدها لعدة أيام لكنها لم ترد، اتصلت بالأم فردت عليها، حكت لها الأم كل شيء فشعرت مريم بالاستياء الشديد، حاولت أن تسأل الأم إن كان من الممكن أن تتحدث لشذى لتعتذر لها لكن شذى رفضت، هي لا تريد أن تتحدث لأي إنسان من طرف كريم، تريد أن تنسى ما قد حدث، كررت مريم اعتذارها للأم وقالت إنها قاطعت أخاها من وقتها، وأنها عرفت أنه قد تم إيقافه عن العمل لقيامه بالعديد من التجاوزات في عمله وسوء استخدامه لسلطاته وتهوره.

أما شذى فقد كان أملها الكبير في أن تحصل على الطلاق من زوجها لتشعر بحريتها مرة أخرى. كانت قد توقفت عن أخذ دواء الاكتئاب فعادت لأخذه بجرعة أعلى، وبمجرد أن عادت للانتظام عليه حتى شعرت ببعض التحسن، صار كل أملها في حبة الدواء التي تتناولها يوميًا لتعينها على مقاومة الشعور بالاكتئاب والوقوف على قدميها مرة أخرى، حتى تشعر أنها إنسانة بدلًا من أن تكون كسر إنسان، أرادت أن تبحث عمن اخترع هذا الدواء لتشكره بشدة لأن مفعوله أكيد معها، تخيلت

حبة الدواء على شكل كائن وهمي تقبع حبة الدواء في مكان صدره وبطنه بينما يبرز الذراعان والرجلان منه، وأنها حين تتجه لتناول حبة الدواء فكأنها ترقص مع هذا الكائن الخرافي رقصة رقيقة هادئة مفعمة بالحب الحقيقي، شعرت كأنها تقول لهذا الكائن أمامها بجسد يتكون من حبة الدواء وأطراف إنسان "عزيزتي حبة الدواء، أشكرك أنك صرت جزءًا من حياتي تمنحيني كل هذه السعادة لتخلصيني من سواد مشاعري وتقلبات مزاجي العنيفة، لتجعليني امرأة سوية مرة أخرى، أنت كالعكاز بالنسبة لي، كمن قام من حادثة سير هتكت كل مفاصله فصار كالمعاق الأعرج الذي صار غير قادر على التحرك من مكانه إلا بكرسي متحرك، لا يعنيني إن كنت الآن أعتمد عليك لأشعر أني أنسانة مرة أخرى قادرة على الكلام والضحك والنوم والقيام بكل وظائفي الطبيعية البشري، هذا أمر لا يدعو إلى الخزي والعار، وأنا متقبلة وجودك في حياتي من الآن إلى النهاية، ياحبيبتي العزيزة".

****

حاولت شذى قتل وقتها بأي شكل، حاولت زيارة رانيا بين الحين والآخر لتفضي بما بداخلها وتتلقى منها النصائح عن كيفية الخروج من حالة الاكتئاب التي سقطت فيها، شعرت أن تأثير الدواء رغم فاعليته فإن مفعوله قصير، حاولت زيادة الجرعة لكنها خافت بعد أن شعرت أنه يسبب المزيد من الرغبة في النوم فخافت أن تنام أكثر فتنزلق مرة أخرى إلى الاكتئاب، حاولت تغيير نوع الدواء بمساعدة صديقتها، تتحسن حالتها أيامًا ثم تنتكس مرة أخرى، حينما تسوء حالتها تشعر بخمول عام، رغبة في النوم اليوم كله، عدم الرغبة في الاستحمام، تشعر أنها قد لبست نظارة سوداء مرة أخرى بعد أن خلعتها قليلًا لتجعل الألوان من حولها قاتمة، أما بعد أخذ الدواء فتشعر بالنشاط مرة أخرى وأن الدنيا ليست بهذا السوء وأنه هناك أمل دائمًا، وأن ما تعرضت له هي من أهوال بعد تجربة زواجها وما تبع ذلك من محاولة تحرش في العمل ومن جارها عدوها اللدود هو أمر وارد الحدوث لأي شخص، شعرت أن الدواء يغير من فلسفتها ونظرتها للحياة، ظلت تفكر، هل ظلمت نائل؟ هل المرض النفسي فعلًا عذر للتتصرف بحماقة ورعونة، بل وبتبجح لدرجة إلقاء الإهانات وجرح المشاعر؟ متى يفرق الإنسان بين أن يكون من أمامه مريضًا نفسيًا أم مريضًا أخلاقيًا؟ هل لو كان زوجها قد التزم فعلًا بالدواء لكانت في وضع أحسن؟ هي تذكر أنه حينما التزم بالأدوية والعلاج تحسنت حالته وصار إنسانًا مستقيمًا وزوجًا صالحًا، لكن ما ذنبها أنه لا يلتزم بعلاجه، هي تريد زوجًا سندًا لها في حياتها لا مريضًا تجري وراءه لتعطيه حبة دوائه قبل أن يرجع إلى اكتئابه وهلاوسه وضلالاته، يا ليته كان مرضًا عضويًا على الأقل كانت لتعرف حدوده وتكوينه وكيفية التعامل معه، أما المرض النفسي فهو كالوحش الهلامي لا

حدود له، يتسرب من كل زاوية فلا تدري كيف تغلق عليه الأبواب، يختبئ في ركن مظلم حتى إذا انصرفت عنه ظهر من مكانه ليهاجمك، ثم أنها كانت لتقدر مساعدته فعلًا لو أنه صارحها من البداية، وهل لو صارحها من البداية بكم الأمراض التي عنده وزياراته للطبيب النفسي بل وحجزه بالمستشفى، هل كانت لتوافق عليه؟ سؤال صعب، والنتيجة أن ما حدث قد حدث وما أراده الله كان.

حاولت الالتزام بإحدى صالات الرياضة البدنية (الجيم)، لم تشعر بتحسن كبير، كانت أمها تشجعها على الخروج من المنزل لعمل أي شيء، لكنها لم يكن لديها الرغبة، الناس هم الناس والوجوه هي الوجوه لا جديد، حاولت أن تفكر في البحث عن عمل جديد بعد أن أنهت عملها بالبنك، قامت بعدة مقابلات لم تنته بالنجاح إما لأنها لم تقتنع بتلك الوظيفة المتدنية نسبيًا بعد أن كانت وظيفتها أعلى مقامًا بالبنك، أو لأنها لم تؤدِ أداءً جيدًا أثناء المقابلة للتقديم على الوظيفة، حيث بدت علامات الاكتئاب عليها أثناء المقابلة فلم تتم على خير.

أما ندى فقد ابتعدت عنها شذى نهائيًا ولا تدري لماذا، كانت دومًا تلاحظ نوعًا من المنافسة بينهما رغم صداقتهما طيلة العمر، كانت شذى دومًا في وضع أحسن منها عندما كانت تعيش في كنف أبيها الراحل وما كانت تلقي من معاملة خيالية تفوق رومانسية كل الأفلام بينما ندى تذوق الأمرين من أبيها، الآن انقلبت الآية فصديقتها ندى متزوجة من زوج ليس مثاليًا لكنه مسئول عن بيته يعاملها باحترام والآن سيرزقهما الله بطفل قريبًا، ورغم أن صديقتها حاولت أن تدعوها عدة مرات لمقابلتها أو إخبارها بوجود وظيفة شاغرة في مكان ما إلا أن شذى كانت تتهرب منها،

شذى كانت في أسوأ حالتها منذ أن ولدت على وجه الأرض، لم ترد أن تراها ندى بهذه الوضعية، لم ترد أن يتغير الانطباع الذي كانت قد اتخذته عنها صديقة عمرها، عن الفتاة الجميلة الرقيقة المدللة من قبل أبيها، إلي الزهرة المنطفئة التي لم تعد مقبلة على الحياة كما كانت وصارت علامات الاكتئاب ظاهرة على وجهها جلية، لا تدري شذى لم كانت تتهرب منها؟ هل لغيرة شذى منها وإحساسها أنها الآن في الجانب التعيس بعد أن كانت في الطرف الأسعد من الحياة وكانت هي التي تدعمها في أوقاتها الصعبة؟ لم تعد تتقبل أن تدور الحياة لتصير هي في الجانب المظلم تنتظر صديقتها لتربت على كتفها وتغرقها بعبارات الأسف والتعاطف، ربما كانت شذى فعلًا تفكر هكذا، فكلنا بشر نغير من بعضنا بعضًا مهما بلغت عمق الصداقات بيننا، وربما هي فعلًا لا تريد أن تنقل شعور الاكتئاب الغارقة فيه حتى قدميها لصديقة عمرها، ربما حينما تتحسن الأمور ستعود إليها في يوم من الأيام.

****

أخيرًا حصلت على الطلاق، حصلت على حريتها، لم يعد يعنيها فكرة الزواج من أحد، صار كل تفكيرها أن تعيش مع أمها ما بقي من عمرها وأن تحقق ذاتها وطموحها الوظيفي، وأن تغسل نفسها من كل ما مرت به خلال كل الشهور التي مضت منذ أن قابلت هذا الإنسان، شعرت أنها كان من المفروض فعلًا أن تترك العمل بهذا البنك والذي جلب لها كل هذه الذكريات السيئة، عادت في سيارة أجرة إلى المنزل وبينما كانت تسير رأته ففزعت، كريم، واقفًا أمام عمارته التي تبعد عنها ناصيتين، ينظر لها نظرة غير مريحة، ابتسامة ماكرة كمن يراقبها، جرت إلى الداخل مسرعة، فتحت الباب بالمفتاح وجرت إلى غرفتها وأغلقت الباب على نفسها وارتمت على السرير وظلت تنهج وتتنفس بسرعة من فرط الانفعال.

سمعت صوت أمها وهي تحاول فتح الباب لتجده مغلقًا بالترباس فطرقت الباب ونادت عليها، ظلت شذى متجمدة في مكانها متكورة على نفسها لا تتحرك، تذكرت ما بدر منه، هجومه عليها ومحاولة اغتصابها، جذبها من ذراعها ومحاولة تقبيلها وتمرير يده على جسدها، كان جريها هربًا منه وإشهار السكين لتدافع عن نفسها من الأمور التي لا تنسى ولم يخطر على بالها أنها ستمر بكل هذا في يوم من الأيام، ذكريات جاءت على شكل ومضات متسارعة، شعرت أنها تغرق في تلك الذكريات المخيفة، الأم ظلت تطرق الباب بصوت أعلى بعد خوفها على ابنتها التي لا ترد، أفاقت شذى أخيرًا من كوابيسها وقامت لتفتح الباب، دخلت عليها أمها وقلبها ملتاع واحتضنتها وقالت "ما بك يا ابنتي؟ لماذا لا تردين؟". جلست شذى على السرير وجاءت الأم تتبعها، قالت لها شذى "لقد رأيته، كان يراقبني، أنا لا أدري ما الذي يريده مني مرة أخرى؟". قالت الأم "من تقصدين؟". قالت "كريم، جارنا، كان

واقفًا أمام بيته يراقبني وينظر لي بكل شر، لا أدري ما الذي يريده؟ هل يظن أني بالفعل سأتزوج منه بعد طلاقي؟ هل فقد عقله بعد كل ما فعله بي؟". ردت الأم بتوتر مصحوب ببعض الغضب "كيف هذا وكيف يجرؤ؟ ألم يكفه ما فعله بك؟ لقد اتصلت بي أخته مرات عديدة وأبدت اعتذارها عما بدر منه وطلبها السماح ووعدها ألا يقترب منك مرة أخرى، أنا حتى لم أعد أراه في الفترة الأخيرة وقلت إنه قد سافر إلى غير رجعة، أنا سأتصل بها حالًا، لن نسكت على هذه المهزلة، البلد بها قانون".

ذهبت لإحضار التلفون وبحثت عن رقم مريم واتصلت بها، ردت مريم عليها وسمعت شذى كلام أمها في التلفون وهي تقول "أنت متأكدة أنه ليس هنا؟ حسنًا يا ابنتي أنا سأصدقك، لكن اعلمي أننا سنصبر عليه بحكم الجيرة لكن والله لن أسكت على أي شخص يحاول الاقتراب من ابنتي". عادت الأم بعد أن أغلقت الهاتف لتقول لها "ابنتي، مريم تقسم بالله أنه لم يعد مقيمًا بجوارنا ولم يعد مقيمًا حتى بالقاهرة بعد أن تم نقله لأحد محافظات الصعيد بعد أن تم التحقيق معه، تقسم لي أنها قد اتصلت به اليوم صباحًا وهو يبعد عنا بساعات طويلة وأن مسألة وجوده هنا مستحيلة، أنا أشعر أني أصدقها يا ابنتي، أنا أعرف مريم جيدًا، هل متأكدة أنك رأيتِه يا ابنتي؟ ربما كان واحد يشبهه". سكتت شذى لا تدري ما تقول، هل هو بالفعل شخص يشبهه؟ هل جنت هي أيضًا؟ صارت ترى هلاوس وأمورًا غير حقيقية وأشخاصًا لم يعودوا موجودين؟ قالت مستسلمة "حسنًا يا أمي، ربما أن أعصابي متعبة، سأحاول النوم قليلًا". قبلتها أمها على جبهتها وخرجت وتركتها لترتاح.

مرت الأيام واستطاعت شذى الحصول على مقابلة للتقديم على وظيفة في أحد البنوك، استقلت سيارة أمها لتذهب بينما كانت الأم في إجازة من عملها، بعد أن وصلت نزلت شذى من السيارة بعد أن ركنتها أمام البنك المقصود، بينما تسير إلى داخل البنك سمعت من ينادي عليها "شذى، شذى". نظرت حولها في دهشة فلم تجد أحدًا، كان الصوت مألوفًا لها، هذا صوت زوجها السابق نائل. ظلت تتلفت في عصبية بحثًا عن مصدر الصوت، سارت إلى الجانب الآخر من الشارع علَّه يختبئ هنا أو هناك، وبالفعل وجدته واقفًا أمام أحد أكشاك البقالة يدخن سيجارة، كان واقفًا مديرًا لها ظهره لكنها تعرفته من قوام جسده، جرت عليه وهي متحفزة، كانت عفاريت الدنيا تقفز أمامها من الغضب والعصبية، لماذا يتتبعها؟ هل وصل به الجنون أن يسير وراءها ويتتبعها من منزلها حتى وصلت للبنك؟ جذبته من ذراعه بشدة، لكن المفاجأة أنه لم يكن هو، نظر لها الشخص الواقف في دهشة، اعتذرت وقالت إنها كانت تظنه شخصًا آخر ثم مشت بعيدًا، عادت للبنك مرة أخرى وهي تتلفت حولها، استسلمت في النهاية ودخلت ثم سألت على مكتب المدير وانتظرت بالخارج حتى يسمح لها بالدخول، نادى عليها العامل فدخلت وسلمت على المديرة، جلست شذى بينما المرأة تقوم بتصفح ملف تقديمها لترى كيف تبدأ معها لسؤالها عن خلفيتها التعليمية والوظيفية، سألتها لماذا تركت العمل بالبنك السابق؟ تلعثمت شذى ولم تدرِ ماذا تقول، قالت إنها لم تحب الجو العام هناك، وأن نائب المدير هناك لم يكن يعاملها معاملة تليق بها؛ لأنه بمعنى أصح عدو للمرأة، ابتسمت المديرة وبدأت تسأل أسئلة أخرى، سرحت شذى بعينيها إلى النافذة خلف مكتب المديرة، النافذة مطلة على البوابة الأمامية للبنك، رأت من بعيد الكشك الذي كانت قد ذهبت إليه ظنًا منها أن زوجها السابق واقف

هناك، مهلًا شخص واقف في نفس المكان يدخن سيجارة، كان بظهره أيضًا لكنه التفت إليها بكل جرأة كأنما عرف أنها تنظر إليه من النافذة، إنه نائل، نعم هو هذه المرة، ينظر إليها نظرة جنونية ويبتسم ليعلن عن سعادته بعد أن ظفر بها، أخيرًا وجدها بعد أن ظل يبحث عنها، لم يرد أن يصطادها أمام منزلها كما حدث من قبل؛ لأنها محاطة بأهلها وجيرانها، إذن فالحل أن يتتبعها لمكان بعيد عن المنزل لينقض عليها ويختطفها، لا تدري إلى أين لكنه شخص خطير لا أمان معه، ربما سيأخذها إلى الإسكندرية لينتحل اسمًا جديدًا كما فعل من قبل ويبقيها أسيرة عنده.

شعرت بمن يهزكتفها بقوة، التفتت، كانت المديرة قد قامت من مكانها وافقة بجوارها تسألها في قلق "هل أنت بخير؟ ماذا بك؟". التفتت لها شذى بحركة حادة وقامت من مكانها وتراجعت للوراء، نظرت مرة أخرى من خلال النافذة فلم تجد أحدًا واقفًا بالشارع، اختفى نائل، هل كان موجودًا أصلًا؟ هل كان اسمه نائل فعلًا أم كانت بطاقته مزورة؟ نظرت لها المديرة بقلق لا تدري كيف تتصرف، لم تمهلها شذى فقد جرت إلى الباب وفتحته تاركة المرأة خلفها تضرب أخماسًا في أسداس من تصرفاتها.

خرجت شذى إلى الشارع تلتفت حولها علَّها تعثر عليه هذه المرة، لا أحد هناك، حتى أمام الكشك لم يعد هناك من يقف أمامه، جرت إلى سيارتها واستقلتها وطارت بها إلى البيت، بحثت عن أمها فلم تجدها، اتصلت بها فردت عليها فطلبت شذى منها أن تأتي حالًا، شعرت الأم بالقلق من صوت ابنتها وقالت لها أن تقوم بشراء بعض الحاجيات وستعود في الحال، ظلت شذى تتجول في البيت ذهابًا ومجيئًا، تنظر من النافذة بين الحين والآخر لترى إن كان هناك من يراقبها بالخارج

أم لا؟ وأخيرًا وصلت أمها، حكت لها شذى ما حدث وكيف أنها رأت نائل واقفًا بالخارج بعد أن تتبعها من البيت إلى المكان الذي ذهبت إليه، سكتت الأم لا تدري ماذا تقول؟ هل ابنتها على ما يرام؟ هل صارت سجينة ماضيها تهرب من ذكرياتها الأليمة فتتعثر في هلاوس سمعية وبصرية لتسقط في وحل الجنون في النهاية، شعرت الأم بالقلق الشديد على ابنتها وخافت عليها وكاد الخوف والحزن يفطران قلبها، جلست مع ابنتها تقرأ القرآن عليها وتربت على كتفها بكل قوة، قامت شذى من مكانها وقالت "ماما، أنا سأسافر من هذه البلد، إذا بقيت هنا سأجن، سأبحث عن مكان ما أرتاح فيه قليلًا، سأكلم عمي واستسمحه أن أقيم عنده فترة من الزمن، أنا بهذا الشكل سأفقد عقلي، أشباح من آذوني تتبعني في كل مكان كاللعنة التي لا تنتهي، ربما صرت أفضل إذا بدلت المكان، سأختبئ منهم بعيدًا" ردت الأم "ابنتي أنا لست على استعداد لفراقك مرة أخرى، أنا صرت أعيش من أجلك، إذا تركتِني مرة أخرى قد أموت كمدًا، أنا لن أتركك تذهبين لأحد". ذهبت الأم بسرعة لإحضار الهاتف، كانت ما زالت تحفظ رقم خالة نائل، اتصلت بها على الفور ولحسن الحظ ردت عليها في الحال، سألتها عن نائل ومكان وجوده وأن شذى قد رأته يتتبعها، لم تكن تسألها بنفس الحدة التي سألت بها أخت كريم حينما ظنت أنه يتتبعها؛ لأنها الآن صارت تشك في كلام ابنتها، أرادت التأكد أولًا من صحة كلامها، ردت عليها الخالة بأن نائل بعد موضوع الطلاق قد سافر مرة أخرى إلى الإسكندرية عند بعض أصدقائه القدامى وأنها لا تعرف عنه شيئًا إلى الآن لمدة شهر أو أكثر، شكرتها الأم وعادت إلى شذى لتخبرها، دفنت شذى وجهها في يديها وجلست على الأريكة، تريد أن تنفصل عن الجو المحيط بها حتى تستعيد توازنها، لا بد من السفر، لم يعد هناك مفر، قالت شذى "ماما، أنا لم أعد أنتمي إلى هذا المكان، إلي

تلك البلد، صرت غريبة في داري لا آمن حتى على نفسي، سأترك المكان هنا وأبدأ رحلة جديدة مع أناس جديدة، محملة بذكريات مريرة، وخبرات اكتسبتها قد تساعدني أن أبدأ هذه المرة بداية صحيحة، صحيح أني لن أعيش في مجتمع مثالي يعج بالملائكة؛ فالخير والشر في كل مكان، لكن دومًا تحمل البدايات الجديدة آمالًا جديدة للتغيير نحو الأفضل، دعيني أجرب حظي فالحال هناك لن يكون أسوأ من هنا فلا يوجد أسوأ من هنا".

****

لم تستطع الأم أن تكتم دموعها وهي ترى ابنتها تحزم حقائبها متجة إلى المطار، لم تعد شذى تطيق المكان أو البلد بأكملها، أجرت اتصالات واستطاعت الوصول إلى صديقة قديمة تخرجت في نفس كليتها وسافرت إلى دبي، دعتها صديقتها للإقامة معها لمدة شهر أو شهرين وفي نفس الوقت ستستطيع تدبير تقديمها لعدد من الوظائف ببعض البنوك والشركات للحصول على وظيفة مناسبة، طلبت شذى من أمها أن تبقى بمصر بينما هي هناك تبحث عن عمل وأنه بمجرد وصولها لوظيفة ستستأجر شقة منفصلة هناك لتستخرج إقامة لها هناك لتأتي وتعيش معها في دبي، بعد مقاومة طويلة من الأم رضخت في النهاية لها، رغم أن الأم لم تكن قادرة على تحمل الفراق إلا أنها أيضًا لا تريد أن تشاهد ابنتها وهو تنزلق نحو هاوية الجنون أو أن تكون في دائرة الخطر، كان الحل الباقي والأخير هو تغيير المكان والجو والابتعاد عن كل تلك الذكريات المريرة التي مرت بها سواء مع زوجها أو زميلها في العمل أو جارها، صار الأمر حتى أكبر من هؤلاء الثلاثة، صار يتعلق بالبلد والمكان والهواء والأرض والناس والمواصلات والطرق والضوضاء والمارة، صار هناك حاجة ملحة للبحث عن هواء جديد وإلا اختنقت بلا مزاح، الحل أحيانًا يكمن في تغيير

المكان، لا أدوية ولا علاج ولا كلمات مهدئة ستجدي، الحل في تنفس هواء جديد يغذي العقل بأفكار جديدة تغسل الأفكار القديمة العفنة القابعة في قاع المخ لا تتحرك مهما استخدمت من منظفات.

استقلت شذى سيارة الأجرة وألقت نظرة أخيرة على بيتها الذي نشأت فيه وعاشت فيه أحلى ذكريات عمرها، لم ترد إطالة النظر حتى لا تتذكر الذكريات الرديئة التي مرت بها مؤخرًا فتفسد عليها الصورة التي حفظتها عن بيتها، ستعود إليه فيما بعد عندما تستقر من داخلها وتمحو ما يعتمل بها الآن، جلست في سيارة الأجرة وحيدة بينما السائق يتجه إلى المطار، لم تأتِ معها أمها فكلتاهما رفض لحظات الوداع الأخير المعتادة عند المطار، المسألة مسألة وقت والأم ستلحق بها بعد أن تستقر الأمور هناك.

نزلت شذى من سيارة الأجرة تجر حقيبتها سائرة نحو مبنى المطار، بينما هو واقف على الجانب الآخر من داخل سيارته يلبس نظارته الشمسية، جالس في زاوية تسمح له برؤيتها بينما هي لا تستطيع، بعد أن دخلت المبنى لتبدأ بإجراءات السفر نزل من سيارته واقترب أكثر ليراقبها بحذر، ظل يتابعها وهي تسير في الصف الخاص برحلة طيران القاهرة - دبي، وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة تحمل معاني كثيرة، السعادة لمعرفته أنها لن تهرب منه وأنه سيتتبعها ويعرف طريقها، الخبث والمكر وهو يضحك عليها حينما ظنت أنها يمكنها الهرب منه، سيجدها ويواجهها بكل ما أوتي من قوة حتى وإن مات أحدهما، إما أن تعود له أو أن تنتهي حياتهما معًا، أن يعيشا معًا أو يموتا معًا، فهو يعلم جيدًا أنها لن تجد من يحبها ويغرق في حبها حتى الثمالة مثله، فهو حبيبها وعشيقها، وزوجها، نائل.

تمت - ١يونيو ٢٠١٩

الكاتب في سطور

دكتور شريف الطوانسي

مقيم بأمريكا

Alanine40@hotmail.com

Alanine40@icloud.com

مواليد ٣ أغسطس ١٩٨١

خريج طب القصر العيني ويعمل كطبيب بأمريكا

حساب الفيس بوك:sherif.m.ali.73

صفحتي على الفيس بوك

https://m.facebook.com/profile.php?id=161381807845212&ref

أعمال سابقة:-

رواية الحديقة الخلفية - دار روافد للنشر والتوزيع.

جائزة عن قصة قصيرة عن الخيال العلمي من أكاديمية البحث العلمي.

مجموعة من القصص القصيرة لم تنشر بعد.